



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

# مِيقَاتُ الْحَجِّ

تَهْتَدِي بِهَا سَكِينَةُ نَفْسٍ وَالشُّهُورُ وَالنَّجْمَاتُ  
وَالشَّرَائِعُ وَالْأَسْبَابُ وَالْأَحْيَاءُ وَالْمَيِّتُونَ وَالسَّجَّ



- « الرسول الرحمة والرحمة لسراجاً » « إيمان أجداد الرسول ﷺ »
- « الصلاة في حجة الوداع - » « حجية الفعل النبوي »
- « معجزة النبي في كونه نبياً أرسلت آياته »
- « سيرة المصطفى ﷺ »
- « حكمة القضاء »
- « مشاهد البعثة النبوية الشريفة من خلال نهج البلاغة »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

## الفهرس

٥	الفهرس
١٣	مبقات الحج المجلد ٧
١٣	مشخصات كتاب
١٣	الحج فى أحاديث الإمام الخمينى - رضوان الله تعالى عليه -
١٨	الحج فى أحاديث الإمام الخامنئى - مد ظله العالى -
٢٢	فلسفة الحج وأسرار مناسكه
٢٩	مصادرنا فى الحصول على فلسفة الحج وأساراه
٣٠	ما الذى نستشفه من فلسفة الحج
٣١	العلم بفلسفة الأحكام لا يتنافى وروح التبعّد
٣٣	البعد المعنوى والمسيرة الزوحانية للحج
٣٨	الدور الخلاق للحج فى الرقى والتطور الثقافى
٤٤	البعد السياسى والاستعدادات البطولية فى الحج
٤٧	الحج دافع لنهضة العالم
٥١	الحج اختبار الله الكبير
٥٣	البعد الاقصادى للحج
٥٦	تجلى نظام الأمة والإمامة فى الحج
٦٢	مناسك الحج (منسك مختصر فى أعمال الحج والعمرة)
٦٢	تمهيد
٦٤	ترجمة المؤلف
٦٥	منزلته العلمىة ومؤلفاته
٦٧	وفاته
٦٧	المخطوط
٦٨	المقدمة

٦٩	تعريف الحج
٧٠	أنواع الحج
٧٠	١- حج التمتع
٧٠	المواقيت
٧٠	الفصل الأول: في عمره التمتع
٧٣	الفصل الثاني: في أفعال الحج
٧٦	أفعال العمرة المفردة
٧٧	الخاتمة
٧٧	وورد في آخر نسخة ب
٧٨	مصادر التحقيق
٨١	بيعة العقبة
٩١	مقام ابراهيم
٩٥	مكانه
٩٩	وصفه
١٠٠	مع الآيتين
١٠٠	القراءة
١٠١	من المأمورون
١٠٤	معنى المقام
١٠٦	مُصَلَّى
١٠٧	المقام والطواف وصلاته
١١٥	وقفات
١١٦	الآية (وَاتَّخِذُوا ... ) ووجوب الركعتين
١١٨	ادلة إيقاع صلاة الطواف عند المقام
١١٩	مكان الطواف عند الفرق الإسلامية

- ١٢٠ ..... مكان صلاة الطواف عند باقى الفرق الإسلامية
- ١٢١ ..... ما يجب أن يكون عليه الطواف فى الفتاوى
- ١٢٢ ..... وقفه قصيرة مع «وافقت ربى!»
- ١٢٥ ..... المكافآت
- ١٢٥ ..... فى آيات بينات مقام إبراهيم
- ١٢٧ ..... الاذان
- ١٢٧ ..... وفى فضل المقام ورد أيضاً
- ١٢٨ ..... افضل مكان
- ١٢٩ ..... الحرم المكى فى مرآة الفقه
- ١٣٤ ..... حدود الحرم المكى
- ١٣٦ ..... الحرم الآمن
- ١٣٦ ..... اشارة
- ١٣٧ ..... ١- حرمة القتال فى الحرم
- ١٤١ ..... ٢- حكم الجانى فى الحرم
- ١٤١ ..... أ- حدّ الجانى
- ١٤٤ ..... ب- دية المقتول فى الحرم
- ١٤٦ ..... ج- دية المقتول فى المدينة المنورة
- ١٤٦ ..... ٣- استحباب دفن الميت فى الحرم المكى
- ١٤٦ ..... اشارة
- ١٤٦ ..... احكام صيد الحرم
- ١٤٩ ..... ٤- أحكام شجر الحرم
- ١٥٠ ..... أ- الكفارة
- ١٥٠ ..... ب- وجوب الإعادة
- ١٥١ ..... آداب الحرم وخصائصه الأخرى

- ١٥١ ..... ١- حكم لقطه الحرم
- ١٥٢ ..... ٢- استحباب الغسل
- ١٥٣ ..... ٣- كراهه مطالبه الغريم
- ١٥٣ ..... ٤- كراهه سؤال الناس
- ١٥٤ ..... ٥- كراهه إنشاد الشعر فى الحرم
- ١٥٤ ..... تعمير الكعبه ومراسمه
- ١٥٨ ..... المقدمه
- ١٦٨ ..... كرامات ومعجزات بيت الله الحرام
- ١٧٢ ..... واما الجواب عن تلك الادعاءات
- ١٨٦ ..... تاريخ اللوح
- ١٨٧ ..... الحج البذلى
- ١٩١ ..... آراء الفقهاء فى المسأله
- ١٩٤ ..... اهل السنه وأقوالهم فى المسأله
- ١٩٤ ..... المذهب الشافعى
- ١٩٤ ..... المذهب الحنفى
- ١٩٥ ..... المذهب الحنبلى
- ١٩٦ ..... المذهب المالكى
- ١٩٧ ..... روايات الباب
- ١٩٧ ..... ١- روايات أهل السنه
- ١٩٨ ..... ٢- روايات الإمامية
- ٢٠١ ..... بذل العين او بذل الثمن
- ٢٠٢ ..... وينبغى التنبيه على أمور
- ٢٠٦ ..... الحج فى الادب العربى
- ٢١٧ ..... القرامطه وفتنتهم فى مكه



- ٢٢١ ..... كلمة القرامطة
- ٢٢٣ ..... معتقدات القرامطة
- ٢٢٥ ..... قيام دولة القرامطة في الإحساء والبحرين
- ٢٢٩ ..... هجوم القرامطة على مكة وقصة الحجر الأسود
- ٢٤٠ ..... مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٤)
- ٢٤١ ..... عَيْنُ زُبَيْدَةَ
- ٢٤٢ ..... غَيْنَاءُ
- ٢٤٣ ..... فَحٌّ
- ٢٤٤ ..... قُعَيْقَعَانِ
- ٢٤٥ ..... كَذَاءُ
- ٢٤٦ ..... المازمان
- ٢٤٧ ..... مُحَسَّرٌ
- ٢٤٨ ..... الْمُحَصَّبُ
- ٢٤٩ ..... لاجج
- ٢٥٠ ..... مسجد
- ٢٥٠ ..... مسجد إبراهيم الخليل
- ٢٥١ ..... مسجد الاجابة
- ٢٥١ ..... مسجد أبى بكر
- ٢٥٢ ..... مسجد البيعة
- ٢٥٢ ..... مسجد التنعيم
- ٢٥٣ ..... مسجد الجن
- ٢٥٣ ..... مسجد خديجة
- ٢٥٣ ..... مسجد الارقم
- ٢٥٣ ..... مسجد الخيف

- ٢٥٣ ..... مسجد ذى طوى
- ٢٥٥ ..... مسجد الرابة
- ٢٥٥ ..... مسجد سوق الغنم
- ٢٥٥ ..... مسجد سلسبيل
- ٢٥٧ ..... مسجد الشجرة
- ٢٥٧ ..... مسجد قنفذ
- ٢٥٧ ..... مسجد
- ٢٥٧ ..... المعابدة
- ٢٥٨ ..... المعلاة
- ٢٥٩ ..... يأجج
- ٢٥٩ ..... واقعة الحرة
- ٢٦٢ ..... العوامل والاسباب البعيدة للواقعة
- ٢٦٦ ..... العوامل والاسباب القريبة للواقعة
- ٢٦٦ ..... أولاً: تشجيع حياة المجون والانحراف
- ٢٦٧ ..... ثانياً: مقتل الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته
- ٢٦٨ ..... ثالثاً: الاستهانة بالمفاهيم والقيم الاسلامية
- ٢٦٩ ..... رابعاً: السخط العام على الحكم الأموى
- ٢٧٠ ..... العوامل والاسباب الفعلية للواقعة
- ٢٧١ ..... أولاً: الاعتداء على بعض أهل المدينة
- ٢٧١ ..... ثانياً: التحولات الادارية
- ٢٧١ ..... ثالثاً: الاطلاع المباشر على ممارسات يزيد
- ٢٧٢ ..... رابعاً: مصادر الأموال وردود الأفعال الحكومية
- ٢٧٣ ..... سير الاحداث
- ٢٧٤ ..... نتائج الحقد الأموى على المدينة وأهلها

- أولاً: عدد القتلى ..... ٢٧٤
- ثانياً: الاعتداء على النساء والأطفال ..... ٢٧٥
- ثالثاً: النهب والسلب ..... ٢٧٥
- رابعاً: انتهاك المقدسات ..... ٢٧٦
- النتائج البعيدة للواقعة ..... ٢٧٧
- أولاً: تنامي الحركات المسلحة ..... ٢٧٧
- ثانياً: زوال الدور السياسي لأهل المدينة ..... ٢٧٧
- ثالثاً: انكشاف حقيقة الحكم الأموى ..... ٢٧٨
- تقييم أسباب الانتكاسة العسكرية ..... ٢٧٩
- أولاً: فقدان الموقع الاستراتيجى ..... ٢٧٩
- ثانياً: عدم التنسيق مع الأمصار الأخرى ..... ٢٧٩
- ثالثاً: تعدد القيادة العسكرية ..... ٢٨٠
- رابعاً: عدم التكافؤ بين القوتين ..... ٢٨٠
- خامساً: التسرع وعدم اتخاذ التدابير اللازمة ..... ٢٨١
- سادساً: وجود المثبطين للعزائم ..... ٢٨١
- المساجد والاماكن الاترية المجهولة (٥) ..... ٢٨٢
- لزائر المدينة المنورة الميمونة ..... ٢٨٢
- اشارة ..... ٢٨٢
- مقدمة ..... ٢٨٥
- اشارة ..... ٢٨٥
- ٢٣- بئر غرس ..... ٢٨٧
- ٢٤- مسجد الفقير ..... ٢٩٠
- ٢٥- مشربة أم إبراهيم ..... ٢٩١
- ٢٦- مسجد الفضيخ ..... ٢٩٤

- ٣٠٢ ..... وقفه قصيرة مع «وافقت ربي!» أبرز هذه
- ٣٠٢ ..... ١- حرمة القتال في الحرم به الالتقاط
- ٣٠٢ ..... ٤- كراهة سؤال الناس: وجب المذهب المالكي
- ٣٠٥ ..... تعريف مركز

## میقات الحج المجلد ۷

## مشخصات کتاب

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج [بیابند: مجله]  
 مشخصات نشر : تهران: منظمه الحج و الزیارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -  
 فاصله انتشار : شش ماه یکبار

یادداشت : عربی

فهرست نویسی براساس سال ۳ شماره ۵ سال ۱۴۱۷ ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می شود

یادداشت : مدیرالمسؤول: محمد محمدی ری شهری

رئیس التحریر: علی قاضی عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردبیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی ... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص: ۱

الحج فی أحادیث الإمام الخمينی - رضوان الله تعالی علیه -









ص: ٥

العدد السابع

الحج في أحاديث الإمام الخميني - رضوان الله تعالى عليه -

... بيت الله الحرام أول بيت بنى للناس، هو بيت للجميع، الجميع سواسية هناك. فأهل البادية، وسكان الصحارى، الذين يحملون بيوتهم على أكتافهم، متساوون مع العاكفين في الكعبة وسكان المدن، ورعايا الدول. هذا البيت شيد للناس ولأجل نهضتهم ومنافعهم.

\*\*\*

إن المسجد الحرام والمساجد الأخرى في زمان رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كانت مراكز عسكرية وسياسية واجتماعية، ولم يكن مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأجل الأمور العبادية فقط كالصلاة.. بل كانت المسائل السياسية هي الأغلب، حيث كانت الأمور التي تتعلق بإرسال الرجال إلى الحرب وتعبئة الناس إنما تبدأ من المسجد في أى وقت يحتاجون فيه لذلك.

\*\*\*

ص: ٦

إن الطواف حول الكعبة المشرفة يعني أن الإنسان لن يطوف لغير الله. ورجم العقبات هو رجم شياطين الإنس والجن، وأنتم عندما ترجمون عاهدوا الله أن تقتلعوا شياطين الإنس والقوى العظمى من البلاد الإسلامية. اليوم كل العالم الإسلامي أسير بيد أمريكا، احملوا من الله رسالة إلى مسلمي القارات المختلفة للعالم الإسلامي رسالة أن لاتخضعوا لغير الله ولا تكونوا عبيداً لأحد.

\*\*\*

لقد وفقتم أنتم لزيارة البيت الذي جعله الله قياماً للناس وجعله الله لأجل جميع البشر وتفضل قائلاً:  
(إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَبَكَّةَ)

. وهذا دليل على أن الله تبارك وتعالى دعا العالم كله إلى الإسلام، وجعل هذا البيت لجميع العالم منذ زمن البعثة وحتى النهاية. هذا بيت للناس، ولاتوجد أولوية لأحد على أحد، أو لمجموعة على أخرى، أو لطائفة على أخرى، الجميع بشر. الموجودون في جميع أنحاء الدنيا في مشارق الأرض ومغاربها، مكلفون أن يصبحوا مسلمين، وأن يجتمعوا ويزوروا هذا البيت الذي جعله الله للناس.

**الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مد ظله العالی -**

ص: ٧

الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مد ظله العالی -

... إن الحديث عن الحج أمرٌ عظيم، خاصية عن قدراته - لو أدى كما فرضه الله - على معالجة الأمراض الأساسية وإزالة بؤر التخلف. وهذا العلاج لا يأتي دفعة واحدة، إلّا أنّ اجتماعاً مليونياً، على مرّ السنين، من الرجال والنساء الوافدين من كلّ فج عميق، في بقعة واحدة، وعلى صعيد أعمال متناسقة مليئة بالمعاني، وتحت لواء التوحيد العظيم، وفي أجواء عبقة بذكريات صدر الإسلام من بدر وأحد، وصعيد زيارة مسجد لا تزال جدرانته تعيد إلى الأسماع صدى التلاوة القرآنية العطرة منطلقاً من حنجره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يزال نداء تكبير المجاهدين في صدر الإسلام يهتف في أجوائه، كلّ ذلك في جو مفعم بالذكر والاستشعار ومناجاة الله عزّ وجلّ، جو ينتشل الإنسان من ضعفه وذاتيته واعوجاجه؛ ليرفعه إلى معدن المجد والعظمة وقدره ربّ العالمين .. كلّ ذلك كافٍ في أن يكون بلسماً شافياً يبعث القوّة في القلوب والرفعة في الهمم، والصلابة في

ص: ٨

الإرادة، والاعتماد فى النفوس، والسعة فى الأفق، والسرعة فى تحقق الآمال، والاتحاد بين الأخوة. ويجعل الهوان فى الشيطان، والضعف فى كيده.

نعم، الحجّ الصحيح والكامل .. الحجّ التوحيدى .. الحجّ حين يكون منطلق حبّ الله وحبّ المؤمنين والبراءة من الشياطين، ومن الأصنام والمشركين .. يعمل أولاً على وقف اتّساع دائرة مشاكل الأمة الإسلامية، ثمّ يستأصل هذه المشاكل، ويعود على الإسلام بالعزّة، وعلى حياة المسلمين بالازدهار، وعلى البلدان الإسلامية بالاستقلال والتحرر من شرّ الطامعين. واستناداً إلى هذا الفهم الصحيح للحجّ، وضعت هذه الفريضة، بعد انتصار الثورة الإسلامية الكبرى، فى رأس قائمة اهتمامات الجمهورية الإسلامية على الساحة الدولية، وركّزت هذه الدولة المباركة على تقريب الحجّ مما كان عليه فى صدر الإسلام، وذلك بالمواءمة بين الجانب السياسى الإلهى لهذه الفريضة وهو مظهر عزّة الحى القيوم وقدرته، والجانب العبادى، وهو مظهر غفران الربّ ورحمته، ولتجسيد هذا الاقتران أحييت شعيرة البراءة من المشركين ثانية فى الحجّ، وهى تواصل العمل بهذا الواجب الإسلامى رغم كلّ المعوّقات السياسيه، ورغم كلّ المضايقات الناشئة عن دوافع غير إسلامية.

الجمهورية الإسلامية باعتبارها النظام الذى أثبت قدرة الإسلام على إدارة المجتمعات البشرية الكبرى، ورغم كلّ ما شاع تجاه هذه القدرة من تشكيك وإعلام مضادّ خلال القرن الأخير، تنظر إلى الحجّ، لا كوسيلة لتكريس الذات، بل باعتباره ساحة توعية المسلمين، وغرس روح التقوى والإيمان والاندفاع نحو تطبيق الشريعة الإسلامية، ونحو تحقيق العزّة والاستقلال فى نفوسهم.

إنّ أولئك الذين يرفضون روح الحركة والنظرة الشمولية فى الحجّ إنّما يرفضون فى الواقع عزّة المسلمين واستقلالهم ونجاتهم من براثن الاستكبار

ص: ٩

والصهيونية، كل فتوى ورأى فى مجال هذا الرفض إنما هو حكم بغير ما أنزل الله، صادر- على أغلب الظن- عن جهل بحقائق العالم وعن انعدام البصر والبصيرة فى أمور المسلمين.

كل مطلع على ما تعانيه الشعوب المسلمة اليوم من وضع مرهق ومن سيطرة أمريكية متجبرة عليهم ..

كل من يعلم بما يرتكبه الصهاينة من جرائم، وما يحكونه من مؤامرات خفية ضد البلدان الإسلامية.

كل من يحس بخطر انتشار هذه الغدة السرطانية الخبيثة فى الأجهزة الاقتصادية والسياسية لدول المنطقة ..

كل من يشاهد ما يعيشه الشعب الفلسطينى من وضع متأزم فى مخيمات الغرب، ومن احتلال الجلادين لأرض هذا الشعب ..

كل من يعلم بما يجرى فى جنوب لبنان وفى مناطق المحتلة بيد الصهاينة وفى أراضيه المعرضة دائماً للهجوم ..

كل من سمع بالمأسى المفجعة فى لبنان حيث الصهاينة بدعم حكومة أمريكا يقصفون بين فترة وأخرى هذا البلد من الجو والأرض والبحر، ويقتلون بشكل جماعى الأطفال والنساء والمدنيين ..

كل من يطالع على أوضاع البوسنة وأفغانستان وكشمير وتاجيكستان والشيشان ..

كل من يدرى بما تدبره أمريكا الطاغية والصهيونية عدوة البشرية من مؤامرات متواصلة وأعمال عدوانية ضد الجمهورية الإسلامية التى تمثل اليوم مظهر حاكمية القرآن والإسلام.

نعم .. من يعلم كل هذه الحقائق وهو يتحلى بغيره إسلامية ويحس بمسؤولية

ص: ١٠

ديتية، لا- يتردد في الحكم على أن تضييع رصيد الحجّ العظيم، وفقدان هذا السند الإلهي المستحکم للإسلام والمسلمين خسارة لا تعوّض وذنوب لا يُغتفر.

إنّ ما تعانيه الدول الإسلامية من ضعف، وما يوجد بينها من تمزّق مؤلم حقيقة لا يمكن كتمانها أو إنكارها. العالم العربي دفع بنفسه اليوم إلى حالة لا- يستطيع معها- مع الأسف- أن يدخل ساحة الحرب حتّى ليوم واحد مع العدو الغاصب لأراضيه، وأن يدافع عن الشعب اللبناني الذي أضحي ضحية جرائم الكيان الصهيوني الغاصب.

نحن نرى المعدّات الحربية الجويّة ومعدّات الدفاع الجويّ المشترية بأثمان خيالية من مصانع الغرب تملأ مستودعات هذه البلدان، بينما تقصف طائرات الصهاينة بحرية بيوت الشعب العربي اللبناني، وتهدم عليهم منازلهم، ولا يستطيع أيّ واحد من هذه الدول أن تقطع الطريق أمام هذا القصف الوحشي وتمنعه.

هذه الحقائق المرّة لو أضفت لها ما تمارسه القوى الاستكبارية من نفوذ سياسي، ومن هجوم دون مانع للسيطرة الثقافية التامة على كثير من هذه البلدان، وما تشهده الساحة من مصائب فادحة تنذر بالخطر، فإنّها كافية لكلّ ضمير حيّ وعقل سليم أن يتوصّل إلى أن البلدان الإسلامية والشعوب الإسلامية والعينية الإنسانية المجتمعة حول الكعبة المشرفة، والمواقف المباركة في أرض الوحي بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى معنى الحجّ وروحه وقوّته المودعة فيه، ولا بدّ لها من أن تستثمر عطاءه. هذا هو حديثنا عن الحجّ وهذا هدف دعوتنا إلى إحياء الحجّ وسائر شعائر الإسلام الحياتية.

**فلسفة الحجّ وأسرار مناسكه**

ص: ١١

شمارش پاورقی در این مقاله به وسیله شمارنده صورت گرفته است

فلسفه الحجّ وأسرار مناسكته

عباس على عميد الزنجاني

إنّ البحث في مسألة الحجّ ومكانته في الشريعة الإسلامية وإن بدا مختصراً وموجزاً، وكذلك البحث في موقعه من الأحكام والفرائض الإسلامية والاهتمام البالغ الذي أبداه الوحي والقرآن والسنة تجاه الحجّ، ودراسة ماهية وعمق أحكام الحجّ وشعائره والتقدم التاريخي الذي يمتنع به الحجّ، والعلاقة الوثيقة والصّحيحة التي تربط الحجّ بأصل التوحيد، كلّ ذلك يمكنه أن يوضّح لنا الخلفية لأفق الفلسفة الواسعة التي يمتلكها الحجّ، وبحور أسرار العميقة الأغوار والمكونة في مضمون هذه الشعيرة والعبادة.

لاشكّ في أنّ الحجّ هو أحد أكبر الفرائض الإسلامية (١)، وأعظم شعائر الدين (٢)، وأفضل الأعمال التي يُراد بها التقرب إلى الله تعالى (٣)، وهو ركنٌ من أركان الدين (٤)، وتركه ارتكابٌ لكبيرة من الكبائر (٥)، ممّا يتسبّب في خروج المرء عن جادة الإسلام والمسلمين (٦)، ويؤدّي إلى كفره (٧).

١-١ «ليس شيء أفضل من الحجّ إلّا الصلاة، وفي الحجّ هنا صلاة»، علل الشرايع: ١٥٦. وسائل الشيعة ٨: ٧٧، الحديث ٢.

٢-٢ جواهر الكلام ١٧: ٢١٤.

٣-٣ جواهر الكلام ١٧: ٢١٤.

٤-٤ قال الباقر عليه السلام: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية». وسائل الشيعة ١: ٧ و ٨، أصول الكافي ١: ٣١٥، المحاسن للبرقي: ٢٨٦.

٥-٥ تحرير الوسيلة ١: ٣٧٠، وسائل الشيعة ٨: ١٩، ٢١.

٦-٦ المصدر نفسه.

٧-٧ «قال الصادق عليه السلام في تفسير قول الله عزّ وجلّ: «ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين» يعني من ترك». وسائل الشيعة ٨: ٢٠.

ص: ١٢

ذلكم هو الحج الذي يكافح ويناضل المسلم في سبيل أداء مناسكه، ويتمرغ على تراب الذل ويحمل نفسه مشقةً وتعباً عظيمين، ويعانى مرارة الغربة والهجران، ويمسك عن جميع ميوله ولذاته، ويمتنع عن كثير من عاداته وطبائعه، باذلاً القدر الأكبر من مصاريفه لذلك، ويتحمل أعباءً حجةً مهما بلغت صعوبتها من أجل تنفيذ أمر من أوامر البارئ عز وجل (١).

ومع أن الحج يبدو وكأنه عبادة من العبادات الأخرى، إلا أن هذه العبادة تجمع في جنباتها- في الواقع- عبادات كبيرة عمدة (٢)، ولا يمكن لأي عبادة أن توازيه في ذلك (٣)، ولا ثواب لهذه الفريضة سوى حيازة رضوان الله ودخول جنته (٤)، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو أنفقت في سبيل الله بحجم جبل أبي قبيس ذهباً، فإنك لن تصل مرتبة الحاج وما يحوزه من القدر»

(٥).

إنه الحج الذي يزيح عن كاهل المؤمن الكثير من المعاصي الكبيرة بأدائه هذه الفريضة، يمحو عن قلبه كل صدإ سببته سيئاته فيكون كمن ولدته أمه تواءً (٦)، ولا تكتب ضده سيئة أخرى حتى مرور أربعة أشهر ما دام الحاج لم يرتكب كبيرة إثر ذلك، وتكتب له عوضاً عن ذلك حسنات كثيرة (٧).

لقد كان الحج فريضة مفروضة في أولى الشرائع الإلهية، وأذاه الملائكة وآدم وحواء وأنبياء الله جميعاً على أكمل وجه (٨) وأدخل إبراهيم إمام الموحدين تعديلات عليه وجدده (٩) وأمر إسماعيل بالتمهيد لإقامة تلك الشعيرة المقدسة (١٠)، وقد أدى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم شعائر هذه الفريضة مرات عديدة رغم كل الصعوبات التي واجهته (١١) وسعى مدى سنوات طوال لتثبيت هذه الفريضة، وتهيئة المسلمين لإقامة الحج الحقيقي. ووفقاً أخيراً وبعد الحوادث المريرة، والغزوات المتعددة. وبعد جهاد بالنفس والمال والزوح، وبذل أغلى الشهداء والأعزاء، وقادة ورواد الإسلام، وفق بالدخول إلى مكة في السنة

١- ٨ جواهر الكلام ١٧: ٢١٤.

٢- ٩ جواهر الكلام ١٧: ٢١٤.

٣- ١٠ «قال الصادق عليه السلام: ما يعدله شيء»، وسائل الشيعة ٨: ٧٧ و ٧٨، الحديث ٣ و ٧.

٤- ١١ مستدرک الوسائل كتاب الحج، الباب ٢٤، الحديث ٢٢ و ٢٤، صحيح مسلم ٤: ١٠٧.

٥- ١٢ وسائل الشيعة ٨: ٧٩، الحديث ١، التهذيب ١: ٤٥١.

٦- ١٣ ثواب الأعمال: ٢٧، وسائل الشيعة ٨: ٨٣، الحديث ١٥.

٧- ١٤ المصدر نفسه: ٧٩، الحديث ١.

٨- ١٥ من لا يحضره الفقيه ١: ١٥٩، علل الشرايع: ٣٩٩-٤٠٦.

٩- ١٦ «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم»، البقرة: ١٢٧.

١٠- ١٧ «وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود»، البقرة: ١٢٥.

١١- ١٨ في صحيح البخارى: «حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة وبعدها، ولم يعرف عددها ولم يحج بعد الهجرة إلا لحجة الوداع». وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرين حجة مستقرة.



ص: ١٣

الثامنة من الهجرة، وتم فتحها من قبل المسلمين، فأدى صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع بعد ذلك في السنة التاسعة للهجرة بصحبة آلاف مؤلفة من المسلمين والصحابة (١)، بكل إجلال وأبهة في جو تملأه المعنويات الطاهرة، والإخلاص التام ممزوجاً بالقدرة والسلطان الكبيرين للإسلام (٢).

ومع وجود نفى الإكراه في الدين (٣)، وطبقاً لسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم المبيّنة على أساس ترك إجبار الناس على فعل يكرهونه (٤)، وقول أمير المؤمنين عليه السلام الواضح في هذا المجال وهو «لست أرى أن أجبر أحداً على عمل يكرهه» (٥)، فإنّ الوالى والحاكم بإمكانه إجبار جماعة بالفعل؛ ذلك من أجل إحياء حج بيت الله الحرام (٦).

حقاً إنّ الحجّ اختبارٌ كبير لعباد الله (٧)، إذ يتعامل الإنسان في الحجّ مع الحجارة والصحراء والصحور والحصى التى لاتضرّ ولاتنفع (٨) وظلت الأعمال التى يمارسها الحاجّ موضع دهشة الكثير من العقائد الضالّة (٩).

الحجّ هو زيارة بيت الله الحرام (١٠)، البيت الذى يبدو وكأنه يُعبد كما تلوح به الأعمال في الحجّ (١١)، ومثابة للناس وأمناً وقبله يتوجه نحوها الجميع في عباداتهم (١٢)، وشعبه من جنة الرضوان (١٣)، والطريق المؤدى إلى غفران الله (١٤) ومجمع عظمتة وجلاله (١٥)، وأول بقعة خلقت في الأرض (١٦).

وكان إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام المنادى للحجّ (١٧) حيث لبث نداءه كلّ النطف الطاهرة عبر التاريخ (١٨) وكانت الملائكة تؤدى ذلك قبل آدم أبى البشر بآلاف السنين الطويلة (١٩).

ويجذب الحجّ نحوه، كما هو الحال مع متشابه آى القرآن مقارنة مع محكمه، كلّ الأفكار عبّر زوايا ومنعطفات وأبعاد مختلفة، فيخلف وراءه الخلود والأثر البالغ والتهذيب والحدائث الدائمة في بؤر التاريخ المندثرة.

١- ١٩ سفينة البحار ٢: ٣٠٦.

٢- ٢٠ نقل الكليني في الكافي والطوسى في التهذيب والشيخ العاملى في وسائل الشيعة خبر حجة الوداع عن الإمام الصادق عليه السلام، وكذلك نقله مسلم وأبو داود وابن ماجه والدارمى والنسائى والترمذى في صحاحهم وسننهم عن الجابر عن الإمام الصادق عليه السلام.

٣- ٢١ «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي»، البقرة: ٢٥٦.

٤- ٢٢ فروغ أبديت باللغة الفارسية: ٣٨٨.

٥- ٢٣ نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ٥: ٣٥٩.

٦- ٢٤ فروع الكافي ١: ٢٣٧-٢٤١، علل الشرايع: ١٣٨، التهذيب ١: ٤٥٢.

٧- ٢٥ نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩٢.

٨- ٢٦ نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٩٢.

٩- ٢٧ علل الشرايع: ٤٠٣.

١٠- ٢٨ وسائل الشيعة ٨: ٦، سورة الحج: ٢٧.

١١- ٢٩ وسائل الشيعة ٨: ٦، سورة الحج: ٢٧.

١٢- ٣٠ «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً»، البقرة: ١٢٥. «فلنولينك قبلة ترضاها»، البقرة: ١٤٤.

- ١٣ - ٣١ «فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه منصوب على اسواء الكمال ومجمع العظمة والجلال خلقه الله قبل دحو الأرض بألفى عام». فروع الكافي ١: ٢١٩.
- ١٤ - ٣٢ «فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه منصوب على اسواء الكمال ومجمع العظمة والجلال خلقه الله قبل دحو الأرض بألفى عام». فروع الكافي ١: ٢١٩.
- ١٥ - ٣٣ «فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه منصوب على اسواء الكمال ومجمع العظمة والجلال خلقه الله قبل دحو الأرض بألفى عام». فروع الكافي ١: ٢١٩.
- ١٦ - ٣٤ «فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه منصوب على اسواء الكمال ومجمع العظمة والجلال خلقه الله قبل دحو الأرض بألفى عام». فروع الكافي ١: ٢١٩.
- ١٧ - ٣٥ سورة الحج: ٢٧.
- ١٨ - ٣٦ وسائل الشيعة ٨: ٥، الحديث ٩.
- ١٩ - ٣٧ المصدر نفسه، الحديث ٦.

ص: ١٤

وليس الحجّ لغّة عقيدة معيّنة، أو دستوراً مُحدّداً أو قيماً متفرّقة فحسب، بل هو مرآة تعكس وجهات النظر لكلّ المدارس والمذاهب، وصورة مُصغّرة لكلّ ما يحتويه الإسلام، ذلك الإسلام الذى خرج بشكل قرآن مجيد مُبين الكلمات، وواضح الأسلوب، وتجلّى فى قالب الإمام والإمامة فصار حركات وملاحح تمثلت فى الحجّ. ويبدو أنّ كلّ ما أراد الله تلقينه للبشر وتفهمه إياه، قد صبّه فى قالب يُدعى الحجّ.

ذلكم هو الحجّ الذى يسير فيه مخلوق فى منتهى الصّغر نحو اللّانهاية عبر سبّغٍ لا ينتهى، فتجسّد خلاله فلسفة خلق بنى آدم فيصوغه مشابهاً للتاريخ والعقيدة والأمة، والمخرج لكلّ تلك الأحداث هو الله سبحانه، ولغّة التمثيل هى الحركة، وشخصياتها وأبطالها هم آدم وإبراهيم الخليل وهاجر وابنها إسماعيل، ومن ثمّ إبليس الدّليل، والماكياج والملابس هما الإحرام، والممثل فى المشهد الفردى ذاك الذى هو قطرة فى وسط اليمّ هو أنت أياً كنت (١).

نعم، إنّ الحجّ هو انموذج مصغّر من هيكل الإسلام ككلّ، كما سمّاه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه بأنّه الممثل الوحيد لكلّ شريعة الإسلام (٢).

ومع أنّ كلّاً مسؤولاً عمّا انفق (٣)، وصرف فى يوم يُحاسب فيه حتّى الأنبياء (٤)، إلّا أنّه لا يُسئل عن المال المصروف فى سبيل تأدية الحج وإقامته شعائره (٥)، ذلك لأنّ ترك هذه الفريضة يؤدّى إلى بروز الفتن وتسعيها (٦) وإيجاد المهلكة والفجائع بصورة عامّة (٧).

فالحجّ تفسيرٌ (٨) لآية ( )

ففرّوا إلى الله إنى لكم نذيرٌ مبين)

(٩) وبيانٌ ومصداقٌ (١٠) ل ( )

ربّ لولا أخرتنى إلى أجلٍ قريبٍ فاصدّق)

(١١) وأخيراً فهو ( )

قياماً للناس)

(١٢) ورمز قوتهم وعزّتهم (١٣).

وهكذا، فلا يمكن للحجّ أن يكون مجرد عمل عادى، وعبادة بسيطة،

١- ٣٨ نقلًا عن كتاب الحجّ، للدكتور على شريعتى.

٢- ٣٩ «والخامسة الحجّ وهى الشريعة». علل الشرايع.

٣- ٤٠ «ولنستلنّ المرسلين»، الأعراف: ٦٧.

٤- ٤١ «ثمّ لتستلنّ يومئذ عن النعيم»، التكاثر: ٨.

٥- ٤٢ بحار الأنوار ٩٩: ٥.

٦- ٤٣ المصدر نفسه.

٧- ٤٤ «قال علىّ عليه السلام: لا تتركوا حجّ بيت ربّكم فتهلكوا»، ثواب الأعمال: ٢١٢.

٨- ٤٥ تفسير القمى: ٤٤٨، معافى الأخبار: ٢٢٢، بحار الأنوار ٩٩: ٦.

- ٩-٤٦ الذاريات: ٥٠.
- ١٠-٤٧ تفسير القمّي: ٦٨٢، بحار الأنوار ٩٩: ٦.
- ١١-٤٨ المنافقون: ١٠.
- ١٢-٤٩ المائدة: ٩٧.
- ١٣-٥٠ «قال الصادق عليه السلام: لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»، الكافي ٤: ٢٧١، الحديث ٢٤. «فرض الله الحجّ تقويةً للدين»، نهج البلاغة، المواعظ والحكم، رقم ٢٤٤.

ص: ١٥

وشعيرة ظاهرية بحتة. إنّ سبر أغوار ما ذكر من الأمور سابقاً يُجسّد لنا هذه الحقيقة وهي: أنّ الحجّ يمتلك روحاً وعقلاً وفلسفة عميقة وراقية، وله أسرارٌ وحكمٌ ولطائف قيمة جمّة وأهداف وفوائد ونتائج حياتية كبيرة، ألقت بظلالها على حياة الإنسان في البعدين المادّي والمعنوي، وبالنفوذ ببصيرة إلى أعماق تلك الأعمال الظاهرية. وبالوصول إلى باطن تلك الأعمال يمكننا تفهّم إشاراتها والمشار إليه فيها على السواء.

(إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

(١).

## مصدرنا في الحصول على فلسفة الحجّ وأسراره

مصدرنا في الحصول على فلسفة الحجّ وأسراره:

إنّ ميزة التفكير والتعقّل اللتين هما رسول الإنسان في باطن وجوده، وإن كانتا غير عاجزتين عن البحث في فلسفة الحجّ وأسراره المعقدة والعميقة، والآثار الحياتية الكبيرة له وأهدافه في مختلف أبعاده، وكذلك بواسطة تحليل منطقي بعد التنبّه إلى ماهية هذه المراسيم والمناسك والعناصر الأساسية المُشكّلة لها، والعلائق والكنيات والإشارات الخاصّة به، كلّ ذلك سوف يمكننا حتماً من التعرّف على الكثير من هذه الحكم والأسرار. ولكن ونظراً لكون المعطيات والنتائج الحاصلة من ذلك هي عقلية بحتة، لا تخلو أن تكون تلك المعطيات ملوّثة بالإشكالات والبهفوات و«دين الله لا يصاب بالعقول» (٢)، ولذا فإنّنا اتّبعنا خطّ سير أكثر أماناً للحصول على فلسفة الحجّ وأسراره، وسنقوم ببحث وتقضيي أحكام وأسرار الحجّ بالاعتماد على نفس المصادر التي استخرجنا منها أحكامه ومناسكه.

ولحسن الحظّ فإنّ الوحي (الكتاب والسنة) لم يتركنا سدّى في هذا المجال، حيث وضّح لنا قسماً كبيراً من أسرار هذه العبادة وآثارها وأهدافها السامية في

١- ٥١ سورة ق: ٣٧.

٢- ٥٢ بحار الأنوار ٣: ٣٠٣، الحديث ٤١.

ص: ١٦

الحياة الإنسانية.

ولن نستند فى بحثنا هنا- فيما يتعلّق بفلسفة الحجّ وأسراره- على النظرة العقلية والتفسير والتوجيه العقلانيين، بل سنسعى إلى توضيح جزء من بحر لطائف وأسرار وأهداف ونتائج الحجّ الواسع مستفيدين من النصوص التى بحوزتنا والمستخرجة من آيات الكتاب، ومتون الأحاديث وتعرّف على جانب من روح وعقل هذه العبادة الجماعية.

### ما الذى نستشفه من فلسفة الحجّ

ما الذى نستشفه من فلسفة الحجّ؟

عندما تعرّف على فلسفة وأسرار روح الحجّ، ونحصل على الأهداف العليا لشريعة الإسلام المقدّسة من خلال هذه الفريضة المهمة، فإننا حينئذ لن نسمح لأنفسنا بالاكْتفاء فى أداء مراسيم شكلية وأعمال جافة تنقصها الروحانية المطلوبة، فنشهد سنوياً هدر كثير من الطاقات والإمكانات دون الاستفادة من الآثار العظيمة التى تخلفها هذه المراسيم الجليلة فى نفوسنا.

إنّ بحث فلسفة الحجّ يمكننا من التعرّف على أنّ هذا الحجّ هو حجّ صوريّ لا حياة فيه وعارٍ من الحقيقة والعبودية، وأنّه حجّ جاهليّ، أو أنّه هو الحجّ الإسلامى النبويّ المطلوب، وأنّه حجّ يُمكنه بحقّ أن يكون حجّة الإسلام، ومحتويّاً على تلك الروح العظيمة والتأثيرات الإيجابية فى طريق تحقيق الأهداف المتوخاه من حجّة الإسلام، وحجّاً يكون معلماً وحلاً جذريّاً للفرد والأمة على سواء للوصول إلى الأسرار والنتائج الرفيعة.

لكنّ الحجّ الذى يقام كلّ سنة، بتشريفاته وتشكيلاته وأصدائه الرنانه وزخرفته الجذاب، هذا الحجّ ليس فاقداً للروح المعنوية المطلوبة والمتوخاه منه، وليس خالٍ من الفلسفة وعارٍ من كلّ نوع من النتائج الإيجابية الخلاقة وحسب،

ص: ١٧

بل إنَّ مثل هذا الحجّ الذي يكون مخالفاً للأصول والأهداف الإسلامية، وملوّثاً بارتباطاته المشبوهة، ويركن إلى الاستكبار والغطرسة العالمية، ويقام في جوٍّ من الميولات الدنيئة للروح الفاسدة في عالم المادّة والنسيان والجهل والمظالم والظُّلم والتُّفاق، والاعتماد على كلّ الإمكانيات والوسائل لعزل الإسلام العظيم المُعين للمظلوم والمعادي للظالم، إنَّ حجّاً كهذا لا يمكن اعتباره حجّاً إسلامياً مقارنةً مع بحثنا لفلسفة وأسرار الحجّ، ولن نرضى بحجّ جاهلي كهذا لأن يكون بديلاً للحجّ الإسلامي الواقعي والحقيقي (١).

يقول ابن عتيّاس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وقد أمسك بباب الكعبة، فالتفت نحو الناس وذكر حوادث تقع في المستقبل لأناس آخر الزمان، وذكر ضمن حديثه شيئاً عن حج آخر الزمان قائلاً:

«يُحجُّ أغنياء أمتي للنزهة، ويحجُّ أوساطها للتجارة، ويحجُّ فقراؤهم للرياء والسّمع» (٢).

لقد كان قلق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من حيث إنَّ الحجّ بهذا الشكل سيفقد عناصره وروحه وحقيقته، وبدل من أن يكون الحجّ خلاقاً وبنّاءً، سيّخذ سبيلاً للوصول إلى الأهداف الدنيئة.

فإذن، ما هو ردّ فعلنا على وضع الحجّ الذي يؤدّيه المسلمون اليوم، والذي تسعى بعض الجهات إلى تحويله عن أهدافه الإسلامية الأصيلة، بعد أن أبدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلقه حول تبدّل الحجّ العبادي وتحوّله إلى سفرة ورحلة استجمام؟ ما هي المعايير والأسس التي نستطيع بواسطتها تمييز الحجّ عن غيره، وأنّه قد غير مسيره وهدفه المنشود أم لا، وأنّه أي الحجّ، هو نفسه الحجّ الذي أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف يتسنى لنا تمييزه عن الحجّ الذي أفلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آنذاك؟

هل يمكننا ذلك ببحث فلسفة الحجّ وأسراره وآثاره الحياتية وحسب،

## العلم بفلسفة الأحكام لا يتنافى وروح التعبد

١- ٥٣ مستدرک الوسائل ٢: كتاب الحجّ، الباب ١٧، الحديث ٥، سفينة البحار ٢: ٧١.

٢- ٥٤ تفسير الميزان ٥: ٤٣٤.

ص: ١٨

فيرتد الشيطان على عقبيه ويخسأ الخاسئون؟

العلم بفلسفة الأحكام لا يتنافى وروح التعبد:

إن سيرنا قدماً للتحقيق في فلسفة الأحكام يتأتى بعد تسليمنا ودون جدل بأن الحجج وفرائض الإسلام الأخرى هي أوامر إلهية علينا تنفيذها دون تردد أو نقاش، فيكون بحثنا هذا لا لتضعيف روح التعبد بل تقويته لامحالة.

إن تعرّفنا على فلسفة الأحكام ليست من أجل الحصول على تلك النتائج والمنافع والجلل عبر أدائنا للفرائض، بل لكي تُنفذ أوامر الله- والتى نريد بها قصد التعبد والتقرب من الله عزوجل وهو الدافع الأساس لعمَلنا هذا- بشكل يدّر علينا بالنتائج والآثار المذكورة آنفاً.

فهذا التفكر لا يؤثر لا على الإخلاص ولا على روح التعبد ولا يتسبب في تضعيفه، ذلك أن معرفة فلسفة ونتائج حكم ما ليست دليلاً على العمل ولا هدفاً أو غاية له. إن دليل العمل هو أمر الوحي، وهدفه وغايته هما التقرب إلى الله وإطاعته أمره وعبادة الخالق (١).

علاوة على ما قيل، فإن الوحي نفسه قد فتح هذا الطريق أمام العقل، وقد ذكر الكثير من الأمور الفلسفية والآثار والغايات والمنافع المختلفة في القرآن الكريم لأحكام كثيرة، كتحرّيم الخمر، والقمار، والزّبا، والغيبة، وتشريع الحجاب، والقصاص، والشهادة، والحج، والصلاة، والصوم، وكذلك وردت تلك الأمور في مختلف الأحاديث النبوية الشريفة، ولعل كتاب علل الشرائع للمؤلف القدير الشيخ الصدوق عليه الرحمة كان مثلاً حياً لنماذج من هذه الأحكام.

والواقع أننا لا نعدّ ما توصلنا إليه عن هذا الطريق نهايةً لمطافنا، ولانطبع ما نصل إليه عن طريق العلم والعقل بطابع الأصالة، كما لا يمكن لفلسفة الحج أن

١- ٥٥ «قال الإمام زين العابدين عليه السلام: ولا يصاب الدين إلّا بالتسليم»، بحار الأنوار ٣: ٣٠٣، الحديث ٤١.



ص: ١٩

تكون مدعاة لأبسط تغيير في شكل الحج.

فمما لا شك فيه أن أعمال الحج وأحكامه ومناسكه قد اتخذت قالباً وشكلاً تعبدياً ثابتاً وغير قابل للتغير، فحلال محمد صلى الله عليه و آله وسلم حلالاً إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة (١).

ولكن في الوقت الذي تُرفض فيه عملية التمسك بظاهر العبادة ونفى روحها وفلسفتها، فإن أي تدخل أو تصرف لتغيير الشكل الظاهري لتلك العبادة والأعمال والمراسم المتعلقة بالحج، بحجة التفلسف والوصول إلى أسرار وأهداف الحج ونتائجه القيمة، محكوم بالرفض ومردود كذلك.

إن مانغيه في بحثنا هذا هو الابتعاد عن الإفراط والتفريط، واتخاذ مسلك وسط بينهما والمبنى على الصراط المستقيم للتعبد في جميع ظواهر الشرع.

وبالرغم من سكوت الوحي في الإفصاح عن بعض تلك الأحكام وبيان حكماتها، وكذلك الحال بالنسبة إلى الحج وأبعاده المجهولة وجزئيات أحكامه التي لم نتعرف بعد على فلسفتها وأسرارها. فإننا لا نتيج المجال للشك من الولوج إلى داخلنا لمجرد أن فلسفة هذه الأحكام ليست واضحة، ولن نسمح لها بمساس إيماننا بحقائقه وضرورة التبعية وحتى التقيد بقالب وشكل لغة الوحي الخاصتين.

وبالرغم من أن العلم والتفتية في الوقت الحاضر كشفت عن كثير من الأبعاد التي ظلت مجهولة في الأحكام الإلهية هذه، وفلسفة وأسرار قوانين السماء وفتحت - في هذا المجال - آفاقاً واسعة وجديدة أمامنا، فإننا لانعلم حدّاً لفلسفة الأحكام والقرارات الإلهية أو كونها نهاية المعرفة على الإطلاق (٢).

## البعد المعنوي والمسيرة الروحية للحج

البعد المعنوي والمسيرة الروحية للحج:

حين نطالع سيرة إبراهيم عليه السلام وحرسته كما بينها لنا القرآن الكريم، ونتابع

١- ٥٦ تاريخ اليعقوبي ١: ٩٠، أصول الكافي ١: ٣٣٢.

٢- ٥٧ تاريخ اليعقوبي ١: ٩٠، أصول الكافي ١: ٣٣٢.

ص: ٢٠

كيفية جلبه لولده وزوجه إلى صحراء مكّة، ومن ثمّ قضيته ذبح إسماعيل ووصول الذبح السماوي، وبناء الكعبة المشرفة، وما تبعها من أعمال الحجّ، فإننا نحصل على دورة كاملة للمسيرة العبادية والسلوك الروحاني والمعنوي للإنسان خروجاً من مُخْتَنِقِ الذّات وعبادتها ووصولاً إلى التقرب إلى الله، ونبذ متعلقات النفس الماديّة، والاتحاق بمقام الربّ، والركون إلى دار الكبرياء (١).

مع أنّه يبدو للوهلة الأولى أنّ الأحداث التي واجهت إبراهيم، وكذلك أعمال ومناسك الحجّ تتألّف ظاهرياً من أحداث منفصلة عن بعضها البعض، إلّا أنّ مطالعة دقيقة في هذا المجال، تبين لنا حقيقة أنّ هذه المناسك إنّما هي سلسلة متّصلة تلاحق هدفاً واحداً، يُعبّر عنها العرفاء بمراحل السير والسلوك الروحانيين، ومراتب الطلب والحضور ومراسيم الحبّ والعشق والإخلاص، وأخيراً خروج المرء من جلده والاتحاق ببحر وجود الخالق اللامحدود، كلّ ذلك يكون في باطن تلك المناسك، ويحصل الإنسان بذلك على نقاط اللطف كلّما دقّق في تلك الأمور (٢).

هذا هو السلوك الروحاني الذي يُمثّل عقل وروح العبوديّة في كل العبادات (٣). لكنّه يتجلّى في الحجّ أكثر من غيره من العبادات، وأنّ الأشكال الظاهرية لمناسك الحجّ يمكنها توضيح ذلك أكثر من باقي العبادات (٤).

ويُشترط في مسيرة الإنسان نحو الربّ الخروج من دائرة العالم المادي، وتبني طريقة السالكين إلى الله، كما تفضّل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً:

«إذا أردت الحجّ فجرّد قلبك لله تعالى من كلّ شاغلٍ، ثمّ اغتسل بماء التوبة الخالصة من الذنوب، ودع الدنيا والراحه والخلق» (٥).

وما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام مخاطباً الشبلي:

فحين نزلت الميقات أنويت أنّك خلعت ثوب المعصية ولبست

١- ٥٨ تفسير الميزان ١: ٣٠١.

٢- ٥٩ تفسير الميزان ١: ٣٠١.

٣- ٦٠ جامع السعادات ٣: ٣٣٢.

٤- ٦١ البقرة: ١٩٦، آل عمران: ٩١.

٥- ٦٢ مصباح الشريعة، الباب ٢١١.

ص: ٢١

ثوب الطاعة؟ ... فحين تجردت عن مخيط ثيابك أنويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ ... فحين اغتسلت أنويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ ... فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج أنويت أنك تنظفت بنور التوبة الخالصة لله تعالى؟ ...

فحين أحرمت أنويت أنك حرمت على نفسك كل محرّم حرّمه الله عزّوجلّ؟ ... فحين عقدت الحج أنويت أنك قد حللت كل عقدٍ لغير الله؟ ...

وهكذا حتى يصل الإمام عليه السلام إلى مسأله التقصير حيث يقول:

أنويت أنك تطهرت من الأدناس ومن تبعه بنى آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟ ... فعندما ذبحت هديك أنويت أنك ذبحت حنجره الطمع بما تمسكت به من حقيقه الورع، وأنك أتبتت سيئه إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمره فؤاده وريحان قلبه؟ ... فعندما رجعت إلى مكه وطفت طواف الإفاضه أنويت أنك أفضت من رحمه الله تعالى ورجعت إلى طاعته؟ ...

فختم كلامه عليه السلام قائلاً:

«ارجع فإنك لم تحج»

(١).

ولهذا كان الأئمة عليهم السلام - وهم العلماء والهداة إلى الصراط المستقيم السالك إلى الله - يتغير لونهم وتتبدل أحوالهم عند وقوفهم في الميقات وقولهم لبيك، وهو الحال الذي كان يهتأهم للانتقال إلى مرحلة التحليق في العلياء، وتبين على وجوههم آثار خشية القلب، وقد تمر دقائق وكأنهم لا يستطيعون أن يقولوا:

لبيك (٢).

وحينما يسأل الإمام زين العابدين عليه السلام عن تلك الحالة التي تعتريه،

١- ٦٣ مستدرک الوسائل ٢: كتاب الحج، الباب ١٧، الحديث ٥.

٢- ٦٤ المحجّة البيضاء ٢: ٢٠١.

ص: ٢٢

يقول عليه السلام:

«أخشى أن يقول لى رَبِّي: لَأَلْتِيَنَّكَ وَلَا سَعْدَيْكَ»

(١).

يقول سفيان بن عيينة، وهو الزاوى لهذا الحديث:

«فَلَمَّا لَبَّى غُشِيَ عَلَيْهِ وَسَقَطَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَلَمْ يَزَلْ يَعْتَرِيهِ ذَلِكَ حَتَّى قَضَى حَجَّه»

(٢).

وتستمر روح العبودية هذه والسلوك الروحاني والتقرب، وترك الدنيا والانسلاخ عن عالم المادّة، والالتحاق بالملكوت والاستغراق فى الله، تستمر هذه الحالة حتى انتهاء مراحل وأعمال الحجّ ومناسكه، فيحسّ بها الحاجّ عبر تلك اللحظات. إنّ الحجّ بهذا البعد المعنوي الواسع والجاذبية الروحانية العظيمة هو بمثابة دورة كاملة من البناء الذاتى والتريّض والزّهانية؛ للتخلص من العوائق وتشذيب وتهذيب النفس من كلّ صنوف الدّنس، وللتزيّن بمظاهر الأسماء والصفات الإلهية، وحين سئل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن الرهبانية، قال:

«أبدلنا بها الجهاد والتكبير على كلّ شرف» يعنى الحجّ

(٣).

ويّضح لنا ذلك بصورة أكثر تجلياً فى قولنا «لبيك ... تعبداً ورقاً» عند التلبية فى حكم تكبيره الإحرام فى الصلاة (٤). كانت تلك نظرة موجزة عن البعد المعنوي والتربوي للحجّ الذى فرضه الإسلام، وأداه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستوت على أساسه سيرة أئمة الدّين. لاشكّ إذن فى كون أى حجّ يفتقد هذه الروح وذلك العقل، وتعوزه المعنوية والطهارة والخلوص والرّقى الروحاني مهما بلغت درجة سطوع ظاهره وتزيّنه بالمظاهر البرّاقة، لا يتعدى كونه ضجيجاً وحسب. وهنا نتوقف عن البحث للحظة، ونطرح السؤال التالى على كلّ المفكرين

١- ٦٥ المصدر نفسه.

٢- ٦٦ المصدر نفسه.

٣- ٦٧ سنن أبى داود ٢: ٥، نقلًا عن المحجّة البيضاء ٢: ١٩٧.

٤- ٦٨ مجمع الزوائد ٣: ٢٢٣.

ص: ٢٣

المسلمين وعلماء الدين الحريصين والمسلمين الغيارى، وكل المهتمين بشؤون الإسلام ومصير المسلمين، ثم نُعرض عليهم اقتراحاً بعد ذلك:

إثر إلقاء نظرة واقعية خالية من العنصريه والتحيز، وبعد التمعّن في مسألة الحجّ، ما هي نسبة الاستفادة الروحانية والمعنوية التي تحصل عليها سيول المسلمين المتعطشين للإسلام، والعاشقين لشريعة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمتدفقة تجاه بيت الله الحرام، هذا السفر الذي يستغلّ عادة الكثير من الإمكانيات المالية والمعنوية اللازمة لقطعه؟ ما هو الدور الذي يلعبه علماء الإسلام ومفكرو الدين، والذين تقع على عاتقهم المسؤولية الايدولوجية والفكرية، والإرشاد والتعليم والأمر بالمعروف ومراقبة المجتمعات الإسلامية كافة؟

أقول: ما هو دورهم حال التحضير لقوافل الحجّ بالنسبة إلى المعنوية العظيمة ورفع تلك المعنوية إلى أقصى درجاتها الممكنة؟ ما هي التدابير التي تتخذها الدول وحكّام الأقطار الإسلامية- وهم المسيطرون الفعليون على دين المسلمين وديناهم- والذين لا يحق الحكم إله الله ولهم باعتبارهم المنفذين والراشدين إلى أوامر الله، وأنهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام والخلفاء؟

هل يتسببون في إخراج الحجّ من محتواه الحقيقي لكونهم لا يستطيعون فعل شيء ما إزاء ذلك؟ ماهو العمل الإيجابي الذي قام به متولو الحرمين الشريفين سوى فسح المجال لبروز الزوى الضيقة والجاهلية العمياء، والتسبب في تفرقة المسلمين ومضايقة حجاج بيت الله الحرام، وتسلبهم اللامشروع على أرواح وأموال وأعراض وشرف هؤلاء الضيوف (١)؟

١- ٦٩ «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمراء يكونون بعدى يميّتون الصلاة»، سنن الترمذى.

ص: ٢٤

نعم فهم تارة وتحت عنوان حفظ قدسية الحجّ وحماية معنوياته يمتنعون عن توفير الوسائل الصحية مع كون الطهارة والنظافة جزءاً لا يتجزأ عن الدين (١) وتتكون كلّ سنة مناظر قبيحة تشمئز لها النفوس وتعصر قلب كلّ مسلم.

وأما اقتراحنا فهو لا يتعدى أمراً واحداً وهو عودة علماء الإسلام إلى مكانتهم الطبيعية الأصيلة في المجتمع، وتمثل في المركزية الايدولوجية للمجتمع الإسلامي (٢).

وبتحقق هدف كهذا، فإنّ الجموع الإسلامية الغافلة ستستيقظ من غفلتها، وتذوق التجارب القيمة الموجودة في تاريخنا، وباعتمادهم روح الأمل فإنهم سوف يسировون خلف عالمهم، ممّا سيضطرّ الحكّام إلى تغيير مسارهم مقابل التعبئة المعنوية للشعب والمركزية العقائدية للمجتمع، ويتطهر بذلك بيت الله ويتهياً لاستقبال زائريه:

إنّ مسؤوليه وواجب )

وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)

(٣) تقع اليوم على عاتق العلماء الربانيين والمفكرين الحريصين على الإسلام؛ ليقوموا وينهضوا فيحيوا روح الحجّ الإسلامي، ويلبسوا المجتمعات الإسلامية تلك الحياة بعد أن غدت هيكلاً لا روح فيه.

### الدور الخلاق للحج في الرقي والتطور الثقافي

الدور الخلاق للحج في الرقي والتطور الثقافي:

عندما يُذكر بيت الله الحرام بكونه علماً وراية للإسلام: «جعل الله سبحانه وتعالى للإسلام علماً» (٤) وأنّ ترك الحجّ يعني الكفر لامحالة، حيث يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً عليّاً عليه السلام في حديث صريح: «يا علي تارك الحجّ وهو مستطيع كافر» (٥) ويستدل بالقرآن لتأكيد ذلك (٦):

ولله على الناس حجّ

١- ٧٠ «النظافة من الإيمان- إنّ الله... نظيف يحبّ النظافة»، سنن الترمذى، ٤١.

٢- ٧١ «صنّفان من أمتي إن صلحا أصلحت الأمة وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله من هما؟ قال: الفقهاء، والأمرء»، سفينة البحار ١: ٣٠. «وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ويل للأمرء، ويل للفقهاء»، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٥٢.

٣- ٧٢ البقرة: ١٢٥.

٤- ٧٣ نهج البلاغة، الخطبة ١.

٥- ٧٤ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٣٥، الخصال للصدوق رحمه الله ٢: ٦١.

٦- ٧٥ آل عمران: ٩٧.

ص: ٢٥

(البيت)

، ويقول: (

ومن كفر فإنّ الله غنى عن العالمين)

. ولا يكتفى بذلك بل يوضح أكثر حيث يقول: «يا على من سوف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً» (١). وهنا يتضح دور الحج في تغذية الإيمان والارتقاء الثقافي للمسلمين أكثر من أي مكان آخر.

كأنى بالحج وهو يمثل دورة تعليمية في الدين، حيث لا يصل المسلمون إلى حقيقة الإيمان إلّا بدخول تلك الدورة على الأقل مرة واحدة في حياتهم (٢).

ويوصى الإمام على بن الحسين عليه السلام - وهو أحد المسارعين دائماً إلى حج بيت الله الحرام - أصحابه قائلاً: «حجّوا واعتمروا... يُصلح إيمانكم» (٣).

وتنصهر الرؤى الدينية والإيمانية والثقافة الإسلامية وتفكير المسلمين في بوتقة الأعمال الخالصة عبر الحج ومناسكه فيصل الحاج إلى الثقافة الإسلامية الأصيلة.

وحين يسأل هشام بن عبد الملك الإمام الصادق عليه السلام عن فلسفة الحج، يجيب الإمام عليه السلام عند ذكره لحكمة الحج قائلاً: «فجعل الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا... ولتُعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتُعرف أخباره ويُذكر ولا ينسى، ولو كان كل قوم يتكلمون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد وسقطت الجلب والأرباح وعميت الأخبار ولم تقفوا على ذلك فذلك علة الحج» (٤).

إنّ الحج بحق رجوع إلى التوحيد وتاريخ حماة هذه الفريضة، آدم وإبراهيم وإسماعيل وصولاً إلى الإسلام ونبية صلى الله عليه وآله وسلم، وصدام متواصل بين الإيمان من جهة والكفر والنفاق من جهة أخرى، وبقاء الكعبة شامخة سيظل هذا التاريخ متجسداً وعاكساً للتوحيد وعلماً ومعلماً نشأت عنه حقائق الدين؛ فيخلد بذلك التوحيد وثقافته ويحيا حياةً أبدية (٥).

١- ٧٦ وسائل الشيعة ٨: ٢١.

٢- ٧٧ المحجّة البيضاء ٢: ١٤٥.

٣- ٧٨ وسائل الشيعة ٨: ٢١.

٤- ٧٩ علل الشرايع: ٤٠٥، الحديث ٦.

٥- ٨٠ «قال الصادق عليه السلام: لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»، الكافي ٤: ٢٧١.

ص: ٢٦

ويكون الإنسان في الحجّ مُخاطباً من قِبَل الحرم والميقات والإحرام ومكّة، والكعبة، والطواف، والسعي، والصفاء والمروة، والتقصير، وعرفات، والمشعر الحرام، ومنى، والمذبح والجمرات، والمبيت، كلّ تلك المشاهد تخاطب الإنسان وتجعله يغطّ في تأمل طويل، وتمنحه نظرة جديدة توحيدية خالصة، وترجع به إلى الثقافة الإسلامية الأولى.

إنّ الظلم والحروب والجهالة والغرور والظلمات في الحياة الإنسانية، كلّها تنبع من طريقة تفكير الإنسان ومدى تعقله. ولأجل استئصال كلّ تلك الآفات والمفاسد على الاصلاح أن يبدأ من فكر وعقلية الإنسان أولاً. ولغرض إقامة العدل والسلام والأخوة والنمو ورفق الإنسان والأسس الفكرية والجذور العقلية، وتقوية هذه الأسس وتلك الجذور لا بدّ من اعتمادها التفكير المتبادل والتعاون البناء للبشر والشعوب على حدّ سواء.

إنّ الحجّ تعليم عمليّ لثقافة المساواة والأخوة والتعاون نحو الخير ومصالحه الإنسانية، وهو فرصة ذهبية للتبليغ ونشر الثقافة الإسلامية الغنية في الطبقات الواسعة من المسلمين حيث يبتّ عامل القوّة في المجتمعات الإسلامية والذي له دور فاعل وأساسيّ.

ولأريب في أنّ المقدمات الأولية للذهاب إلى الحجّ تتمثل بتعلّم الكثير من المسائل الإسلامية والتفقه الابتدائي، وهي أرضية مناسبة تُتيح لعلماء الإسلام إرشاد جموع غفيرة من المسلمين، ونشر الثقافة الإسلامية وإشاعة التفقه في الدين. وبالتأكيد فإنّ روحانية الحجّ هي نفسها عامل مهم يُهيأ القلوب لتعلّم الحقائق والمعارف الدينية للإسلام.

يقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مخاطباً الفضل بن شاذان (١):

«مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّفَقُّهِ وَنَقَلَ أَخْبَارَ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى كُلِّ



ص: ٢٧

صقع وناحية كما قال الله عزوجل: (فلولا- نقر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)»

(١).

ولا تقتصر نعمه وبركة نشر المعارف والثقافة الإسلامية في مراسم الحج على المسلمين القادمين من أقصى البقاع أو أقربها، ذلك أن كلاً من هؤلاء المسلمين سينقل معه تلك الثقافة وماتعلمه إلى بلده ويعمل على نشرها هناك وبثها في أوساط المسلمين كافة، وعلى هذا يتخذ دور الحج أبعاداً أوسع وخصوصاً بتكرار عمليته الحج كل عام، ويجعل من الدين أقوى آصرة تلم المسلمين وتضمن خلود الإسلام.

وقد وردت هذه الحقيقة في حديث قصير وبلغ للإمام على عليه السلام حيث يقول: «فرض الله ... والحج تقوية للدين» (٢). والإمام الصادق عليه السلام إذ يقول:

«لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة» (٣).

إنّ النمو الثقافى هو الهدف الذى ينشده الإسلام فى مراسم الحج البهية، ويقوى هذه الأرضية ويعزز الحقيقة القائلة: إنّ جميع البشر على الرغم من الاختلاف فى اللون والبشرة والعنصر واللغة والميزات الإقليمية والتاريخية والطبقية وغيرها يتمتعون بفطرة واحدة، وإنّ هذه الفطرة متساوية عند كل البشر، والتي تمنح الثقافة الإنسانية وحدتها، وترسم صورة عامة وشمولية تامة لماهية أصل الثقافة، مبيناً أنّ ثقافتها التوحيد وهى نفسها ثقافة الفطرة هى ثقافة مشتركة بصورتها العينية والرمزية.

وأثناء المسيرة التي تقطعها مناسك الحج تتحرر الثقافات الثائرة، وتخرج عن نطاق العادات والسنن القومية والإقليمية ودائرة الهوية الوطنية، وتنتمى إلى الهوية الإسلامية الجامعة والعامة حيث الثقافة الفطرية الإنسانية الناتج عن

١- ٨٢ التوبة: ١٢٣.

٢- ٨٣ نهج البلاغة، المواعظ والحكم، رقم ٢٤٤.

٣- ٨٤ الكافي ٤: ٢٧١، الحديث ٤.

ص: ٢٨

المكانة الثابتة للثقافة الفطرية داخل كيان الإنسان.

ويدرك الإنسان في الحجّ أصالة البنية التحتية للثقافة الإنسانية، التي هي نفسها الثقافة التوحيدية الإبراهيمية الخالصة دون أن يفقد الإنسان أيّاً من القيم الثقافية والعادات والتقاليد الخاصّة به، فيما يتعلّق بالمسائل والأشكال التي تولّف حياته الطبيعية - لا من حيث المحتوى ولا من حيث البرامج - مهما كانت جنسيته وقوميته وعرقه، فيجذبه ذلك نحو الفكرة والعقيدة الخاصّة به.

والحقّ أن الحجّ دورة تعليمية تتيح انتقال الثقافات، والتعرّف على الثقافة الإنسانية الفطرية للحصول على هوية ثقافية إسلامية مشتركة، فتكون الملايين المتعلّمة شجرة طيبة ثابتة عند رجوعها إلى أوطانها. وبعد ارتداء الملابس الخاصّة بها والرجوع إلى أشكالها وقومياتها، تتزيّن تلك الشجرة بثمار يافعة وأغصان نضرة فتؤتى أكلها في كلّ حين وزمان وتزداد وحده وسيادة وقدرة وتعالٍ (١).

ونستنتج في نهاية بحثنا الموجز هذا شيئاً ونختمه باقتراح نرجو أن ينال رضا الجميع. حيث نصل إلى نتيجتين من خلال النظر إلى البعد الثقافي للحجّ واللّتين تعتبران من الأسرار والنتائج الحياتية والحكم والأهداف الأصيلة لهذه الفريضة العظيمة:

١- يجب أن تقام مراسم ومناسك الحجّ بطريقة يتمّ بواسطتها انتقال ثقافات الشعوب الإسلامية، وتثبيت الرابطة والآنصره فيما بين الثقافات والتراث والهويّات الوطنية على أساس من التفاهم المنطقي وتتهيأ الأرضية المناسبة للتعاون والمشاركة الثقافية؛ لتقوية وتعزيز التعرّف على الثقافة والهويّة الإسلامية، ومعرفة القيم الثابتة والخصائص المُستندة على الفطرة الواحدة، وتوسيع السبيل الخاصّة بتطبيق الجغرافية الثقافية الخاصّة بالشعوب وآثارها

ص: ٢٩

المتخلفه عن ذلك على أساس المعايير والموازين الأصيلة المشتركة للثقافة الإسلامية، فيزول بذلك كلّ جهل وتعصب، كما تزول الشعوبية والمعايير غير المنطقية الموجودة في الفطرة الإنسانية الداعية للفرقة عن كلّ المجتمع الإسلامى الكبير، ويتحرّر عموم المسلمين من القيود التي فرضها الاستعمار الغربى باسم الوطنية وإحياء الثقافة الوطنية ويُسقطها عن كاهله.

إنّ التجارة التاريخية والتوصيات الدينية (١) تبعث فينا الطمأنينة من عدم وجود مخاطرة تذكر باستخدام هذه الطريقة المستقاة من الثقافة التكاملية للحجّ على الوجود الثقافى والتراث الخاصّ بالشعوب على الرغم من الضجيج والإعلام المعادى الذى يصطنعه الاستكبار العالمى وعملاؤه في هذا المجال، بل بانتقال القيم المشتركة، وبالمشاركة الفعلية للثقافة، والحصول على الهوية الإسلامية المشتركة ستزول الخصوصيات الثقافية لشعب ما التي لم تحمل في ثناياها القيم الفطرية الأصيلة والتوحيدية المشتركة؛ فتحفظ مكانتها بصورة تراث تاريخى ضمن التكامل الوطنى.

٢- يجب أن تبدأ مراسيم الحج باستتصال جذور الثقافة الاستعمارية، والارتباط الثقافى للشعوب الإسلامية بالغرب والشرق وكلّ المصادر التي تمت بصله إلى روح الاستعمار والاستثمار.

إنّ الحجّ رجوعٌ وعودٌ عقلاّنّى إلى الإسلام الأصيل، وتعليم لإصلاح الإيمان ومعرفة لآثار وتراث الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتذكّر للتفكّر التوحيدى الفطرى.

لذا وجبّ على الحاجّ تجريد فكره وروحه وعقله ونفسه عن الثقافات اللاتوحيدية، والارتباطات الثقافية التي تبعده عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والخلق أجمعين والتي تجذبه نحو خدمة المصالح الغربية والشرقية.

على الحجّ أن يكون عاملاً لإحياء التفكّر هذا، ومحاربة التشريفات

ص: ٣٠

الاستعمارية بلا هوادة، والابتعاد عن كلّ مظاهر الارتباط الثقافي الاستعماري. ونقصد بذلك رفض تلك الثقافة الاستعمارية التي تحاول فرض تجاربها هي، وتضع آثار ثقافتها الغريبة على الآخرين، التي لا تُعدّ انتخاباً حُرّاً ومنطقياً للتجارب العلمية والتقنية للآخرين في المستوى العالمي (١). ونقترح هنا:

- ١- يجب أن يكون هناك تفاهم وتقارب ثقافي على المستوى العام للناس، وبالأخصّ بين المفكرين والمتخصّصين في مجال إقامة مراسم الحجّ، إذا أُريد للهدفين المذكورين أن يتحقّقا على أكمل وجه، وأن يُخصّص الحجاج جزءاً من وقتهم لذلك.
- ٢- إيجاد وإنشاء المراكز الخاصّة بانتقال الثقافات والوصول إلى ثقافة إسلامية موحّدة، والتخلّص من الثقافة الاستعمارية في مختلف الأقطار، وتهيئة أرضية مناسبة لمركز عالمي ثقافي إسلامي.
- ٣- إرشاد الدول الإسلامية أو إجبارها بالوسائل المتاحة على اتّباع سياسة ثقافية في المجالين المذكورين أعلاه، واعتماد سياسات ثقافية واقتصادية من أجل التنمية الثقافية للشعوب المسلمة.

### البعد السياسي والاستعدادات البطولية في الحجّ

البعد السياسي والاستعدادات البطولية في الحجّ:

يذكر الإمام علي عليه السلام في حديث له أن ترك حجّ بيت الله مدعاةً للهلاك والفناء: «لا تتركوا حجّ بيت ربكم فتهلكوا» (٢)، وفي حديث آخر يُدكّر فيه القادة من بعده والمسلمين عموماً بأنّ عدم إحياء الحجّ سيجعلهم يفقدون عزّتهم وشخصيتهم وسيادتهم مقابل الغرباء وبالتالي لن تكون لهم مكانة ضمن الشعوب الأخرى:

١- ٨٧ في فتح مكة كسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأصنام وخرجها من الكعبة.

٢- ٨٨ ثواب الأعمال: ٢١٢. بحار الأنوار ٩٩: ١٩.

ص: ٣١

اللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا تَخْلَوْهُ مَا بَقِيتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكْتُمْ لَمْ تَنَظَرُوا»  
(١).

وفى حديث للإمام الصادق عليه السلام يذكر فيه مضمون الحديث السابق:  
«أما أن الناس لو تركوا حجّ هذا البيت لنزل بهم العذاب وما نوظروا»  
(٢).

إنّ الرابطة بين الحديثين السابقين هي ترك الحجّ والذي يُعدّ نموذجاً للعذاب الدنيوي أو على الأقلّ هذا ما يعنيه، وهو العذاب الذي نشهده اليوم بين معظم الشعوب والأقطار الإسلامية ممّا جعلهم عبيد السياسة والعساكر.  
ونطالع فى حديث آخر للإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:  
«لو كان كلّ قوم إنّما يتكلّمون على بلادهم وما فيها هلّكوا وخربت البلاد»  
(٣).

إنّ بقاء الشعوب الإسلامية ضمن إطار القومية الغربية المصطنعة لن يؤدّى إلّا إلى تجزئة العالم الإسلامى، وتبديل المجتمع الإسلامى الكبير إلى قطع صغيرة يسهل بلعها من قبل الاستعمار المجرم.  
إنّ المسلمين أفتيدوا إلى الاستضعاف والعجز، ولما لا تكون لديهم قدرة على مجابهة عدوّهم احساساً منهم بهذا العجز، وأنّه لا توجد لديهم التجهيزات أو الإمكانيات اللازمة لذلك التصدىّ فإنّهم يتجهون إلى الحجّ؛ ليتمكّنوا عن طريق هذه المراسيم السياسية-العبادية اكتساب الاستعداد اللازم لذلك، وبالاخلاص والانقطاع لله تعالى تستمدّ أرواحهم قدراً كبيراً من القدرة اللامتناهية لله عزّ وجلّ، وبالارتباط المعنوى والأمل والحُبّ والثبات فى طريق الله برؤية أحبّائهم واخوانهم، يتحدّون معاً بالروح والشخصية والإسلام، ويعودون إلى أوطانهم لياشروا تعليم ما تعلّموه فى الحجّ تماماً كما يفعل الأبطال فى ميدان  
دو فصلنامه «مىقات الحجّ»،

١- ٨٩ نهج البلاغة، الكتاب رقم ٤٧.

٢- ٩٠ علل الشرايع، نقلًا عن بحار الأنوار ٩٩: ١٩.

٣- ٩١ علل الشرايع: ٤٠٨-٤٠٩، الحديث ٦.

٧، ص: ٣٢

الحرب بما تعلموه في التدريب والمناورة؛ لوضعها حيز التنفيذ على أرض الواقع، والوقوف بوجه القوى الاستكبارية والأخذ بالعوامل المؤدية إلى اضعافه.

إنّ حديث «الحجّ جهاد الضعفاء» والمنقول بطرق مختلفة (١) يبيّن بوضوح أبعاد الحجّ بدءاً من المجال العبادي والسياسي ووصولاً إلى الأفق الواسع للفعاليات الجهادية، وخاصّة فيما نطالعه من جواب الإمام زين العابدين عليه السلام على المعترض الذي أخذ على الإمام حجّه على أساس تركه للمشقة وصعوبة الجهاد والميول إلى طلب الراحة في الحجّ زاعماً نصيحة الإمام ومنتقداً له على هذا الانحراف ممّا يدعو إلى التأمل: «فقال علي بن الحسين عليه السلام: ... قال الله عزّ وجلّ:

(التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون ...)

(٢) إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ» (٣).

إنّ الحجّ حقّاً يصنع أبطالاً جديرين بالاحترام كهؤلاء.

فالتناسب الماهوي بين الاشتراك في غزوة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحجّ بيت الله في الحديث التالي: «الغازي في سبيل الله والحاجّ والمعتمر وفد الله دعاهم

(٤) يعلمنا أن العلاقة مع البعث السياسي - العسكري للحجّ هي أنّ المجاهدين في سبيل الله وحجّاج بيت الله مجموعة وصفوة منتخبة وممثلون لله الذي دعاهم إليه.

ونرى تعبيراً أبسط آخر في بعض الروايات: «الحجّ جهاد» (٥) وعلى هذا فإنّ الحجّ يعدّ من مصاديق الجهاد، وأنّ المراسيم العظيمة في الحجّ إنّما هي صورة من صور الجبهة والجهاد في سبيل الله، وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نعمّ الجهاد الحجّ» (٦) يصوّر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أنّه أبهى صور الجهاد في سبيل الله.

وقد ورد حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يُزيل كلّ شكّ وشبهة في هذا المجال: «النفقة في الحجّ كالنفقة في سبيل الله» (٧).

إنّ التساوي والمساواة بين الحجّ والجهاد في الإسلام هو بيان لمجموع

١- ٩٢ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٥٩، علل الشرايع: ٥٧، تفسير العياشي ٢: ٢٥٤.

٢- ٩٣ التوبة: ١١٢.

٣- ٩٤ فروع الكافي ١: ٣٣٢.

٤- ٩٥ سنن ابن ماجه، المناسك ٥، سنن النسائي، الحجّ: ٤.

٥- ٩٦ سنن ابن ماجه، المناسك: ٤٤.

٦- ٩٧ صحيح البخاري، كتاب الجهاد: ٦٢.

٧- ٩٨ مسند أحمد بن حنبل ٥: ٢٠٠.

ص: ٣٣

الإسلام، ويُبين الحقيقة القائلة: إنَّ هاتين الفريضتين كانتا وماتزالان تمتلكان أهدافاً مشتركة، وفي الوقت نفسه فلكلٍّ منهما خصوصيةً ماهويةً خاصّةً بهما، ويُعدّ كلٌّ منهما عبادةً وعملاً سياسياً لتقوية وتحقيق الأهداف السياسية للإسلام على حدٍّ سواء.

فمن ذا الذي يستطيع في مقابل مثل هذه التصريحات الثابتة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الدين أن يدخل الشكَّ في قلبه فيما يتعلّق بفلسفة الحجّ السياسيّة؟ ومن ذا الذي يمتنع عن رفض واستنكار الصدى المنكر والإعلام الساذج الداعي إلى فصل الدين عن السياسة والقائل بعزل مراسيم الحجّ عن المنافع السياسية التي ينطوي عليها الحجّ لمصلحة الإسلام وضدّ الاستكبار والإلحاد والنفاق والمجتمعة في خندق واحد لهدم قدرة الإسلام وإرغام الأقطار الإسلامية للاحتواء تحت لواء الاستكبار وبالتالي لنهب مواردها ومصادر ثرواتها الطبيعيّة والتّعم الإلهيّة؟ أم من ذا الذي لا يلغى التيات السيئة لدعوات الاستعمار وبائعى نفوسهم للأجنبي الشرقي والغربي؟

إنّ هذا الداعي الشّوم غلادستون ليس وحده الذي يدعو العالم إلى الاحتراس من ازدياد قدرة المسلمين بالحجّ والحويلة دون تعاليمهم، بل هناك أفراد مسلمون في الظاهر بينما تربط مصالحهم في الباطن مع مصالح الاستعمار العالمي، وباسم حماة الإسلام والحرمين سلبوا قداسة مراسيم الحجّ ومنعوا من أن تظهر بجلاء وأبّهة مطلوبتين وهم يتمنّون في داخلهم إرتداء لباس غلادستون وتنفيذ مرامه.

## الحجّ دافعُ لنهضة العالم

الحجّ دافعُ لنهضة العالم:

لتوضيح البعد السياسي للحجّ، نعتمد سنداً أفضل ونصّاً أوضح وأصلاً

ص: ٣٤

أثبت، وهو كلام الله المجيد في القرآن الكريم، والذي يُعزف الكعبة صراحة على أنها العامل والدافع لقيام الناس ونهضتهم: (جَعَلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناسِ)

(١).

إنَّ الوجود والاستقلال والحركة والسلطة والاعتماد أو الاتكال على النفس، ونبذ التبعية للآخر، وإنَّ التكتل والمساواة والمشاركة الفعالة تعدّ كلها من أهمّ مقومات المفاهيم السياسية في العصر الحاضر وما تحتاجه الشعوب الإسلامية بالحاح. إنَّ كلَّ تلك المفاهيم اجتمعت في كلمة واحدة ألا وهي (القيام) كما هو الحال مع بيت الله الذي جعل ملاذاً وأمناً: (

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً)

(٢) ويتضمّن مفاهيم سياسية كبيرة.

إننا نرى جانباً من المحاكاة والانسجام في حكمه السعي بين الصفا والمرءة ونموذجاً للكفاح المتواصل (٣)، وحين يُزاحم الشيطان هذا الكفاح وتلك المحاكاة والانسجام يهرول إبراهيم عليه السلام للفرار من برائته ومن الوقوع في حباله (٤). ولهذا يقوم الكلّ بالسعي فينهار الجبابرة والحاقدون بذلّ وخزى، كما يوضحه لنا الإمام الصادق عليه السلام:

«ما مِنْ بُقْعَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْمَسْعَى لِأَنَّهُ يَدُلُّ كُلُّ جَبَّارٍ

(٥).

وفي ليلة العيد تندفع الجموع نحو المشعر الحرام ذاكرين الله سبحانه:

(فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)

(٦)، لكن العدو ما يزال يترصدنا محاولاً النيل من ذكر الله ومنع لعن عدو الله، ذلك أن المشعر هو مكان الشعور والإحساس والمعرفة المكتسبة فلا يتسع عرفات لكلّ هذا الشعور، إنه الشعور الذي يجبر الإنسان على القيام بوظيفته والدعوة إلى الجهاد مع وجود متقابل بين تينك العلاقتين. وفي أرض الشعور هذه يستيقظ الجميع

١- ٩٩ المائدة: ٩٧.

٢- ١٠٠ البقرة: ١٢٥.

٣- ١٠١ «قال الصادق عليه السلام: إن إبراهيم لما خلف إسماعيل بمكة عطش الصبي وكان فيما بين الصفا والمرءة شجر فخرجت أمه حتى قامت على الصفا فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبه أحد فمضت حتى انتهت إلى المرءة فقالت: ... حتى صنعت ذلك سبعا فأجرى الله ذلك سنة». علل الشرايع: ٤٣٢.

٤- ١٠٢ المصدر نفسه.

٥- ١٠٣ المصدر نفسه.

٦- ١٠٤ البقرة: ١٩٨.



ص: ٣٥

ويستعد لمحاربة الشيطان غداً فيفكرون في السلاح اللازم لذلك، وجيش التوحيد العظيم والسلاح ينتظران الصباح للذهاب نحو أرض الفداء ليريقوا دم الهدى مؤذنين بذلك عملاً إبراهيمياً آخر (١) معلنين عبوديتهم للبارى عزوجل من خلال تنفيذه أمره، وهذه القرابين هي التي ستكون مركب نجاتنا ونجاحنا غداً (٢) حيث اعتبرها الله تعالى من الشعائر: ( والبدن جعلناها لكم من شعائر الله )

(٣) وإراقة دم القربان عامل من عوامل الحس واليقظة الخالدة للإسلام، الذي يفرض علينا الطواف والمسلك معاً والمسجد والجهاد على حد سواء.

وفي الجمرات حيث مأوى العدو، وقبل إعطائه فرصة الاعتداء والتسلط، تبدأ الحملة المسلحة ضده، فالكل يضرب ويسدد حجره نحو العدو، للمرأة واحدة بل لسبع مرات متواصلة ولمدة ثلاثة أيام متوالية، يضربون الشيطان الأكبر والمتوسط وكذلك، صغار الشياطين والعدو الذي لم يضرب بعد لن يبقى في المكان نفسه على أي حال.

إن على الحج اليوم أن يكون مثلاً للحج زمن إبراهيم والرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومليئاً بالشعور السياسي والعسكري متمثلاً في السيل الجارف للحجاج، وانعكاس هذا الشعور بصورته المصغرة في أرض الواقع في المجتمع الإسلامي الملياري في كل العالم يحيل وحدتهم في الحج ووعيهم إلى واقع ملموس في حياتهم اليومية.

ولاريب في أن مثل هذا الشعور السياسي موجود في كل المحاولات في حياة المسلمين في العالم، والمسلمون قادرون على خلق هذا الشعور لامحالة، وتشكيل وحدة تجمعهم وتحضرهم وتدفعهم إلى كسر الأغلال والعبودية السياسية والعسكرية.

فلو عرّفنا السياسة بأنها حسن التدبير لأمر مجتمع ما أو كيفية تنظيم

١- ١٠٥ الصفات: ١٠٣-١٠٥.

٢- ١٠٦ «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: استفرهوا ضحاياكم فإنها مطاياكم على الصراط»، علل الشرايع: ٤٣٨.

٣- ١٠٧ الحج: ٣٧.

ص: ٣٦

العلائق الاجتماعية، أو وعى الإنسان لمحيطه وبيئته ومجتمعه. والمصير المشترك والحياة المشتركة له وبمجتمعه الذى يعيش فيه ويتمى إليه، أو أى تعريف آخر، ومهما يكن ذلك التعريف فإن أى سياسة وأى حادثه سياسية تحتاج إلى التدبير والتفكر، وأن أى تدبير عاقل يجب أن يُبنى على الأمل والرّجاء.

ويستغرق الإنسان، الذى يروم التفكير والعمل الجدى للمجتمع غداً، أقول: يستغرق لأثيام فى وادى الآمال والأمنيات فى (منى) فى موسم الحجّ، فعليه أن يُشبع أفكاره ويغذّى روحه ويتزوّد من الوليمة المبسوطة عند اهداء الدم ورجم الخونة الكبار والصغار، وعند النضال ضد الشياطين، كما أوصى إبراهيم عليه السلام فى منى: «هناك يا إبراهيم تمنّ على ربّك ما شئت» (١) ولذلك سُمى الوادى بوادى (منى) (٢)، فلا شك فى أن الحياة الإنسانية تذبذب وتموت بموت الآمال وتحطم الأمنيات (٣).

ويتطلّع ويطلّع المسلمون فى اجتماع الحجّ على المشاكل السياسية والآلام الاجتماعية لكلّ منهم، فيصلون إلى الحلول المناسبة بالمشاركة الوجدانية والانسجام والتعاون، حلول مبنية على الأصول والمعايير الإسلامية (٤)، ويسعون إلى استئصال جذور المشاكل السياسية وعلى رأسها التبعية للتسلط الشيطاني للعدو الخارجى، ويتخذون التدابير اللازمة للحيلولة دون وقوع المؤامرات المتواصلة للاستكبار العالمى، عدو الإسلام والشعوب الإسلامية الذى لا يُصالح، وإيجاد التعاون فيما بين المسلمين كافة.

إنّ الكثير من المسلمين المقتدرين من الناحية الجسمية والحالة المادية والعقلية الممتازة يرون ويشهدون كلّ سنة تجلى الوحدة الإنسانية فى مراسم الحجّ، ويتوصلون إلى أنّ حقيقة الإنسانية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفطرة والإيمان والقيم العليا وهى موجودة بالطبع فى هذه الجموع. ويستنتجون مدى الظلم الذى

١- ١٠٨ علل الشرايع ٢: ١٢٠.

٢- ١٠٩ المصدر نفسه.

٣- ١١٠ نقل البخارى عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقوم الساعة حتى لا تحجّ البيت. صحيح البخارى، كتاب الحجّ: ٤٧.

٤- ١١١ «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبى ذر: حجّ حجّة لعظام الأمور»، الخصال ٢: ٣٠٠-٣٠٣.

ص: ٣٧

تفرضه الامتيازات والعنصرية القائمة على أساس العرق واللون واللغة والمحيط وغير ذلك. إنهم يدخلون دورة تعليمية سياسية فيخلصون إلى الصعوبة التي تكمن وراء تنفيذ مشروع الأمة والإمامة مع وجود كل عوامل الفرقة والانفصالية.

ويتعزف جميع المسلمين المستطيعين والمقتدرين على التحقق الواقعي (بشكل رمزي) للأمة الواحدة والحركة المشتركة ووحدة الهدف والتكامل وعلى انموذج من الإمامة مرة واحدة على الأقل في عمرهم. والحق أن اتحاد المجتمع الإسلامي الكبير الذي يعد أحد أسمى القيم والأهداف السياسية والاجتماعية للإسلام يكتسب أثناء قيام المراسم العظيمة للحج وبصورة عينية، فيتجسد للمسلمين الطريق الأمثل لمحاربة عوامل التفرقة، كأنى بهم وهم يشتركون باللباس والعمل والحديث والأصل والهدف والشكل، يتدربون على الاتحاد في جميع نواحي حياتهم (١).

### الحج اختبار الله الكبير

الحج اختبار الله الكبير:

لقد قرأنا فلسفة الحج في القرآن الكريم وعلمنا أن الله سبحانه يضع الإنسان - على طول المراحل الحساسة في حياته - في مآزق وعسرة وظروف صعبة، مختبراً إياه حتى يتبين الحق من الباطل والخالص من الشائب فيفصل هذا من ذاك (٢).  
(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون)

(٣)

ولا يكون الاختبار المذكور متشابهاً لكل الناس، ففي حالات معينة وبصور متفاوتة تمر على الإنسان اختبارات: ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس

١- ١١٢ تاريخ يعقوبى ١: ٩٢.

٢- ١١٣ «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم»، سورة محمد: ٣١.

٣- ١١٤ العنكبوت: ٢.

ص: ٣٨

والثمرات وبشّر الصابرين)

(١).

ولا يُسْتَنَى حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْاِخْتِبَارِ الْإِلَهِيِّ هَذَا فَهَمَّ يَجْتَازُونَ اِخْتِبَارَاتٍ مُمَيَّزَةً.

(وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن)

(٢).

فالبعض من هذه الاختبارات لها صفة مرغوبة وهي معلومة وواضحة كذلك (٣) بينما يتميز البعض الآخر بالتعقيد والصعوبة والتبطن

والخفاء حيث يذكرها القرآن الكريم على أنها «بلاء عظيم» (٤).

إن الحج اختبار كبير يدخله المؤمنون قاطبة ولو لمرة واحدة في كل حياتهم.

يقول الإمام على عليه السلام بهذا الخصوص:

«ألا- ترون أن الله- سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم- صلوات الله عليه- إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا

تُبَصِّر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله الله للناس قياماً، ثم وضعه بأوعر بقاء الأرض حجراً، وأقل نتائج الدنيا مدرأً، وأضيق

بطن الأودية قطراً بين جبال خشنة ورمال دميثة، وعيون وشلة، وقرى منقطعة، لا يزكو بها حُفٌّ، ولا حافر ولا ظلف.

ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن ينشوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمتنجع أسفارهم، وعاية لملقى رحالهم، تهوى إليه ثمار الأفتدة، من

مفاوز قفار سحيقة، ومهاوى فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزوا مناكبهم ذللاً، يهللون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعناً

عبراً له، قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم، وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاء عظيماً وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً وتمحيصاً

بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصله إلى جنته.

١- ١١٥ البقرة: ١٥٥.

٢- ١١٦ البقرة: ١٢٤.

٣- ١١٧ «وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً»، الأنفال: ١٧، «إن هذا لهو البلاء المبين»، الصافات: ١٠٦.

٤- ١١٨ «وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم»، الأعراف: ١٤١.

ص: ٣٩

ولو أراد- سبحانه- أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنّات وأنهار، وسهّل وقرار، جمّ الأشجار، داني الثمار: مُلتفّ البني، مُتّصل القرى، بين بُرّة شمراء، وروضه خضراء وأرياف مُحدقة، وعراض مُغدقة، وزُروع ناضرة، وطُرق عامرة، لكان قد صغّر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء.

ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها بين زُمُردة خضراء، وياقوته حمراء ونور وضياء، لَخَفَّفَ ذلك مُصارعة الشكّ في الصدور، ولَوَضَعَ مُجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفي مُعتلج الرّيب من الناس. ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بأنواع المجاهدين، ويبتليهم بضرب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه»

(١)

### البُعد الاقتصادي للحجّ

البُعد الاقتصادي للحجّ:

يعتري الإنسان، في الواقع، الشكّ في أنّ الحجّ هذه العبادة المليئة بالمعنويات وبعد إحساسه العمق والتوسّع الخاصّين بالبُعد المعنوي والروحي له، أقول:

يعتريه الشكّ وتملكه الريبة في قدرة هذه العبادة على أن تكون لها أبعاد اقتصادية وآثار مادية بناءً في حياة الإنسان. إنّ هذه النظرة الانحسارية والضيقه هي في الواقع آفة تعترى كلّ من يطالع مسائل المجتمع الإسلامي، وتعدّ عاملاً رئيسياً في تحريف المسائل الأساسية.

إنّ الذين يسعون في إفراغ محتوى الحجّ من مادته الأصيله بحجّة الحفاظ

ص: ٤٠

على المعنوية والروحية هم أغلب الذين تصيبهم تلك الآفة، لكنهم يجهلون أن الإسلام وروح الحج أكبر وأوسع من حجم تفكيرهم ومطامعهم الصغيرة.

ولعل هذه الآفة الفكرية كانت السبب الرئيس في جعل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يُصرّح ويجوز إمكانية الاستفادة الاقتصادية والتعامل التجاري في موسم الحج بعد توضيحه لشمولية الحج والبعد الاقتصادي له (١).

ومع أن التعبير القرآني (

ليشهدوا منافع لهم)

هو أوضح مثال ودليل على اشتغال المصالح الاقتصادية في الحج، إذ تبين بدقّة المسألة الخاصّة بالبعد الاقتصادي حيث تستطيع مختلف الشعوب الإسلامية عرض مظاهر التنمية الاقتصادية ونماذج من بضائعهم الانتاجية في موسم الحج على جميع المسلمين واحاطتهم بالوضع الاقتصادي العام للعالم الإسلامي من حيث الكمية والجودة ممّا يُتيح للمسلمين وضع أرضية ملائمة للتفكير المشترك، والتعاون فيما بينهم في المجال الاقتصادي لهم على اختلاف جنسياتهم، وهو العامل الذي يمكن المسلمين من رفع المستوى الاقتصادي في أقطارهم والأقطار الإسلامية المتخلفة والنامية.

وعلى هذا فإن موسم الحج هو معرض كبير وسوق عظيم لعرض المنتجات الزراعية والصناعية وغيرها ممّا ينتجه المسلمون في مختلف الأقطار الإسلامية، فينتفع المجتمع الإسلامي الكبير من هذه البركات التي يتيحها له الحج باعتباره السوق المشتركة الإسلامية والعالمية على حدّ سواء، فيزدهر التبادل التجاري وتعمق العلاقات الاقتصادية بين الأقطار الإسلامية وتتسع أكثر فأكثر.

ويمكننا استنباط هذه النقطة من الرواية التي ينقلها هشام بن الحكم في مجال فلسفة الحج عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد وينتفع بذلك المكاري والحمال»

(٢).

١- ١٢٠ سنن أبي داود ١١:

٢- ١٢١ وسائل الشيعة ٨: ٩.

ص: ٤١

وقد ورد في إثر هذه الرواية ما نصّه:

«لو كان كلُّ قومٍ إنما يتكلمون

[يتكلمون]

[على بلادهم... خربت البلاد وسقطتِ الجلب والأرباح»

(١).

وفي رواية أخرى يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«حجّوا... تتسع أرزاقكم ويصلح إيمانكم وتكفوا مؤنة الناس ومؤنة عيالاتكم»

(٢).

إنَّ الفقر الذي هو عامل من العوامل المتأصلة للكفر (٣) وحَدَّثَ اقتصادى مغلوط والناجح عن ركود الفعاليات الانتاجية، يمكن مداواته

بحج بيت الله كما يقول الإمام على عليه السلام:

«إنَّ أفضل ما توَسَّل به المتوسِّلون ... وحجَّ البيت واعتماره فإنَّهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب»

(٤).

وأى تعبير هو أبلغ من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «وحجّوا تستغنوا» (٥) في وصف البعد الاقتصادي للحج وترغيب

المسلمين للاستفادة الاقتصادية المشروعة من العبادة الكبرى وهى الحجّ؟

إنَّ الاستغناء المادى للمسلمين هى حقيقة ترقى على الاستقلال الاقتصادى، ذلك أنَّ الكثير من الأقطار التى توصلت إلى الاستقلال

الاقتصادى بعد كفاح مرير وطويل، تكون مجبورة فى معظم الأحيان على تحمّل الاكتفاء الذاتى النهائى للسياسة الاقتصادية السلبية

التي تتبّعها، وكذلك الاقتصاد فى الصرف وخصّ النظر عن كثير من الاحتياجات الشديدة التى يحتاجها المسلمون.

ولن يتمكن العالم الإسلامى من الوصول إلى الاكتفاء الذاتى النهائى والاستغناء التامّ إلّا بوضع برنامج محسوب ودقيق مستفيداً من

الفرصة الإلهية فى

١- ١٢٢ وسائل الشيعة ٨: ٩.

٢- ١٢٣ المصدر نفسه.

٣- ١٢٤ «قال الصادق عليه السلام: كاد الفقر أن يكون كفراً»، سفينة البحار ٢: ٣٧٨.

٤- ١٢٥ نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.

٥- ١٢٦ من لا يحضره الفقيه ٢: ٩٤.

ص: ٤٢

الحجّ دون توجيه ضربه إلى قدسيه الحج ومعنوياته، فينتفع جميع المسلمين من هذه النعمة الإلهية الكبيرة.

### تجلى نظام الأمة والإمامة فى الحجّ

تجلى نظام الأمة والإمامة فى الحجّ:

يسمى القرآن الكريم جميع المسلمين على اختلاف عناصرهم وألوانهم وألستهم وتاريخهم وثقافتهم وأينما كانوا بالأمة الواحدة: (إن هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون)

(١).

إنّ هذه الوحدة وتلك الرابطة ناشئة عن العقيدة المشتركة، والنظام المشترك والأهداف والطموحات المشتركة، التى تتجلى فى أفعال المسلمين.

وهذه الوحدة قطعاً تحتاج إلى الانسجام والتوافق والمركزية والقيادة العميقة والواسعة، التى يمكن بواسطتها وضع برنامج وتنظيم يقود الحركات والنهضات بكلّ أبعادها فى حياة الأمة على أساس العقيدة والنظام الإسلامى وطموحات المسلمين، آخذة بنظر الاعتبار كلّ الأراضيات والاستعدادات والامكانيات الموجودة والمتاحة.

فهذه الحركة يجب أن تتم بنغم واحد منسجم وتحت لواء نظام واحد وعلى خطّ سير واحد مشتملة على الأبعاد المختلفة للأمة، وتحتاج كذلك إلى تمرين وتعوّد مستمر، والإسلام يؤكّد عدم إمكانية تحقيق نظام الأمة والإمامة إذا خلا هذا التعليم من النظام المذكور، ومن جهة أخرى فهو يعدّ العبادة الجماعية عاملاً مؤثراً لذلك. إنّ أداء الفرائض اليومية وصلاة الجمعة والعيد على هيئة جماعية اجتماعية وكذلك إقامة مراسيم الحجّ، كلّها مركز تعليم كبير لهذا التشكّل والانسجام والتحرّك باتجاه الأهداف المشتركة.

ويمكن استشفاف ميزان التجلى لروح الإمامة فى الحجّ عبر روايه ينقلها لنا



ص: ٤٣

مفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:

«ثمّ إنى أخبرك أنّ الدين هو أصل الدين هو رجلٌ وذلك الرجل هو اليقين والإيمان وهو إمام أُمَّته أو أهل زمانه فمن عرفه عَرَفَ اللهَ ودينه ومن أنكره أنكر اللهَ ودينه ومن جهله جهل اللهَ ودينه ولا يعرف اللهَ ودينه وحُدوده وشرايعه بغير ذلك الإمام فذلك إنّ معرفة الرجال دين الله... وأخبرك أنّى لو قلت أنّ الصلوة الزكوة وصوم شهر رمضان والحجّ والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والطهور والاعتسال من الجنابة، وكلّ فريضة كان ذلك هو النبى الذى جاء من عند ربّه لَصَدَقْتُ لأنّ ذلك كُله إنّما تُعرف بالنبى ولو لا معرفة ذلك النبى والإيمان به والتسليم له ما عرف ذلك فهذا كُله ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم...

إنّما هو الرجل... من يطع الله الرسول فقد أطاع الله»

(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزِرْنِي فَقَدْ جَفَانِي»

(٢).

وحيث لمحّ الإمام الباقر عليه السلام جموع الطائفين قال (٣):

«أمرؤا أن يتطوّفوا بهذا ثمّ يأتونا فيعرّفوننا مودّتهم ثمّ يُعرضوا علينا نصرهم».

وكأنتى بالحجّ عند انتهائه بدايه لتحرّك الأُمَّه وقيادة الإمام، حيث تضع الأُمَّه كلّ إمكاناتها وقدراتها تحت تصرّف القيادة، وذلك بعد اكتسابها القوّة والطاقة من مناسك الحجّ، حتّى تجعل الأُمَّه من الإمام منتصراً وظافراً وهو عين ما يفعله الإمام تجاه أُمَّته أيضاً.

١- ١٢٨ مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار: ١٣-١٤.

٢- ١٢٩ مستدرک الوسائل. كتاب الحجّ: ١٨٩.

٣- ١٣٠ مستدرک الوسائل. كتاب الحجّ: ١٨٩.

ص: ٤٤

الهوامش:







ص: ٤٨

## مناسك الحج (منسك مختصر في أعمال الحج والعمرة)

تمهيد

ص: ٤٩

مناسك الحج (منسك مختصر في أعمال الحج والعمرة)

تأليف: العلامة القطيفي المتوفى ١٢٨٧ هـ

تحقيق: ضياء بدر آل سنبل القطيفي

تمهيد

تميزت مدرسة آل البيت عليهم السلام عن غيرها من المدارس بمميزات متعددة منها: تكامله في جميع الفروع، والدقة في الاستنباط، والاستمرار في إثراء المكتبة الفقهية بما تحتاجه من مسائل في جميع أبواب الفقه؛ وذاك لعوامل عدة منها:

انفتاح باب الاجتهاد عندهم، فلم يخل زماناً من فقهاء أئمة، اتبعوا أنفسهم، وبدلوا وسعهم في استنباط الأحكام الشرعية من مدارك صافية، ومنابع عذبة، مما هو معروف عندهم..

ولذا يلاحظ الباحث المتتبع وفره من الكتب، التي يعسر إحصاؤها في هذا المضمرة، إذ قل فقيه لا تجد له كتباً متعددة في ذلك. ولما كان أئمة الهدى عليهم السلام قد أمروا شيعتهم بالرجوع إلى الفقهاء فيما يتعلق بأمر دينهم، كان لزاماً على الفقهاء أن يقوموا بإبداء آرائهم الفقهية، ليرجع إليها من أراد أن يعمل على ضوئها من المكلفين. وقد كتب العلماء في ذلك كتباً خاصة،

ص: ٥٠

عُرفت فيما بعد بالرسائل العملية...

وبما أنّ الحجّ أحد العبادات التي تكثُر فروعها، وكان الحاجُّ في حاجة ملحة لها يرشده إلى معرفة وظيفته الشرعيّة وأداء نُسكّه، فقد وضع الفقهاء كتباً خاصّةً حول ذلك، عُرفت باسم (مناسك الحجّ). وقد أحصى البحاثة الطهراني في موسوعته (الذريعة) (١) تحت عنوان (مناسك الحجّ) عدداً منها تجاوز مائة وسبعين منسكاً... ومن جملة ما أُلّف في ذلك هو هذا المنسك. والمناسك - جمع منسك - لمكان النُسك - أي: العبادة، ويراد منه - هنا - العبادة، فيكون المراد من (مناسك الحجّ) عباداته، كما في قوله تعالى: ( وأرنا مناسكنا) (٢)، أي: عبادتنا (٣).

### ترجمة المؤلف

ترجمة المؤلف:

أ- نسبه وولادته وأسر:

هو الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسين آل عبد الجبار.

وآل عبد الجبار (بيت في القطيف عظيم، خرج منهم علماء فضلاء كثيرون، أصحاب مصنفات وفتاوى. وأصلهم من البحرين من قرية (سار)، سكنوا بلاد القطيف قديماً) (٤).

ومن أعلام أسرته:

١- الشيخ محمّد بن عبد الجبار الكبير.

ذكره في (أنوار البدرين)، ونقل أن ابن اخته الشيخ محمّد بن الشيخ عبد علي آل عبد الجبار - الآتي ذكره - ينقل كثيراً من فتاواه. وذكر المحقق الطهراني: أن له كتاب (مشكاة الأنوار)، وأنه كان معاصراً للشيخ كاشف الغطاء. (ت ١٢٢٨ هـ) (٥).

١- ١ الذريعة ٢٢: ٢٥٣.

٢- ٢ سورة البقرة: ١٢٨.

٣- ٣ انظر: ترتيب القاموس. مادة- نسك: ج ٤، ٣٦٦، ومجمع البحرين ٥: ٢٩٥.

٤- ٤ أنوار البدرين: ٣١٦.

٥- ٥ أنوار البدرين: ٣١٦، الذريعة ٢١: ٥٤.



ص: ٥١

٢- الشيخ محمد بن الشيخ عبدعلي بن الشيخ محمد بن عبدالجبار.

من مراجع التقليد، عالم كبير، اختاره علماء النجف الأشرف للحكومة بينهم وبين السيد كاظم الرشتي (ت ١٢٥٩ هـ) أيام المنازعة معه. له مؤلفات، منها: (هدى العقول في شرح أصول الكافي)، وأكبر شروح الأصول، وهو قيد التحقيق. (ت ١٢٤١ هـ) (١).

٣- الشيخ عبدالجبار بن محمد بن أحمد بن علي آل عبد الجبار.

تلميذ الشيخ خلف بن الحاج عسكر (ت ١٢٤٦ هـ) (٢).

٤- الشيخ سليمان بن الشيخ سليمان - المتقدم ذكره.

فقيه عالم، مرجع تقليد، له مؤلفات كثيرة، (ت ١٢٦٦ هـ) (٣).

٥- الشيخ سليمان بن الشيخ سليمان - المتقدم ذكره.

فاضل عالم، له بعض الرسائل والأجوبة، كان موجوداً قبل سنة ١٢٦٦ هـ (٤).

٦- الشيخ عبدالله بن الحسن آل عبدالجبار القطيفي البوشهري المولود سنة ١٢٥١ هـ، والمتوفى سنة ١٢٩٢ هـ (٥).

وأما مترجمنا: فلم ينص على تاريخ ولادته، إلا أن السيد الشريف ذكر في (الموسم) (٦): أن ابن سبطه المحقق الخنيزي يقرب ولادته بسنة ١٢٠٠ هـ.

### منزله العلميه ومؤلفاته

منزله العلميه ومؤلفاته:

نص مترجموه على أنه عالم فاضل، حكيم فيلسوف، شاعر أديب، محقق متتبع. ويدل على ذلك ما خلفه من آثار متعددة في شتى المواضيع، ونذكر من مؤلفاته ما نص عليه في (أنوار البدرين)، ثم نعقب عليه بما وجدناه منها:

١- ديوان شعر في مرثي الحسين عليه السلام ومدائح آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

١- ١ أنوار البدرين: ٣١٧، مجلّة الموسم العدد ٩- ١٠، ص ٢٤٥.

٢- ٢ أنوار البدرين هامش: ٣١٦، مجلّة الموسم العدد ٩- ١٠.

٣- ٣ أنوار البدرين: ٣٢٣.

٤- ٤ أنوار البدرين: ٣٢٦، مجلّة الموسم العدد ٩- ١٠، ص ٢٣٦.

٥- ٥ ذكره في الموسم العدد ٩- ١٠، ص ٢٣٩، عن طبقات أعلام الشيعة ٢: ٧٧٥، الذريعة ١٢: ٧٢، معجم رجال الفكر والأدب: ٧٦.

٦- ٦ الموسم العدد ٩- ١٠: ص ٤٢١.

ص: ٥٢

- ٢- منظومة كبيرة في التوحيد.
  - ٣- منظومة ثانية في التوحيد والأصول الخمسة.
  - ٤- منظومة ثالثة مختصرة في التوحيد والأصول الخمسة- أيضاً.
  - ٥- منظومة في تعداد سور القرآن المجيد وبعض أحكام القراءة والتجويد.
  - ٦- رسالة في الأصول الخمسة. مبسطة.
  - ٧- رسالة ثانية في الأصول الخمسة، متوسطة.
  - ٨- رسالة ثالثة في الأصول الخمسة، مختصرة.
  - ٩- رسالة رابعة في الأصول الخمسة. مختصرة- أيضاً.
  - ١٠- رسالة في تحقيق (ليس كمثلته شيء).
  - ١١- رسالة في عدم وجوب كون أجداد المعصوم لأمة مسلمين.
  - ١٢- منسك مختصر في أعمال الحج، وهو الذي بين يدي القارئ.
  - ١٣- ثمرات لبّ الألباب في الردّ على أهل الكتاب.
  - وقد طبع- أخيراً- بتحقيق ابن سبطه المحقق الخنيزي.
  - ١٤- كتاب مختصر معاني الأخبار.
- هذا ما ذكره صاحب أنوار البدرين رحمه الله، وقد عثرتُ على مجموع يشتمل على بعض رسائل المؤلف وفيه تحقيقات متعدّدة، وفوائد كثيرة، وهو بخطّ المصنّف نفسه، وعليه سنة ١٢٦٨ هـ، ومما اشتمل عليه هذا المجموع- مضافاً إلى بعض ما تقدّم:
- ١- شرح دعاء التمجيد (أول أدعية الصحيفة السجادية).
  - ٢- جواب مسألة حول السلب والإيجاب.
- والسائل هو العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طعان البحراني القطيفي (ت ١٣١٥ هـ).

ص: ٥٣

٣- رسالة في أن ولد الولد هل هو ولد لجدّه حقيقة أم مجازاً؟

٤- جواب مسألة حول قراءة القرآن المجيد في الصلاة اليوميّة وغيرها بما انفرد به أحد القراء السبعة أو العشرة.

**وفاته**

وفاته:

توفى رحمه الله سنة ١٢٨٧ هـ، وقد ناف على ثمانين عاماً، ورثاه العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طعان البحراني القطيفي رحمه الله بقصيدته مطلعها:

يا لخطبٍ قد دهانا بالمصاب صابئة في حبة القلب أصاب  
فقد نور العلم نبراس الهدى جامع العليا العليّ المستطاب إلى أن يقول:  
(غاب نور المجد) ذا تاريخه يا ليوم فيه بدر المجد غاب ١٢٨٧ هـ

**المخطوط**

المخطوط:

ذكرنا وجود مجموع مشتمل على بعض رسائل المصنّف، وقد عثرتُ عليه في بعض المكتبات الخاصّة في القطيف، ومما اشتمل عليه هذا المنسك.

وعدد صفحاته: (١٦) صفحة، بمعدّل (٢٠) سطراً في كلّ صفحة.

كما وجدنا نسخةً أخرى منه، وهي منقولة عن النسخة السابقة، وكاتبها هو العلامة الشيخ حسين بن الشيخ علي القديحي رحمه الله (ت ١٣٨٦ هـ)، وعليها بعض تعاليقه، وقد أثبتناه في حاشية المنسك.

ص: ٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على باب الرحمة والهدى، محمد وآله الطاهرين... وبعد فهذه كلمات يسيرة في بيان الواجب من أفعال الحج والعمرة، وقد يتبعها بعض المندوب فيهما؛ وضعها تذكراً لذي البصيرة، وتعليماً لغيره من الصرورة (١)، وافداً بها على باب الجود ومنتهى القصود. ورتبها على: مقدمه، وفصلين، وخاتمة.

## المقدمة

[المقدمة]

مقدمة: أعلم أن الدنيا مثال للآخرة وجسد لها. وقد علم أولو الألباب أنه لا يمكن الاستدلال للمكلفين فيها على ما هناك إلا بما هنا، وقد جعل الله سبحانه تكاليف العباد صراطاً إلى رضوانه. ومن ذلك ما شرع لهم من حج بيته الحرام، والوقوف بتلك المشاعر العظام، وكفى به أمراً مهماً قوله تعالى في كتابه المبين:

(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) (٢). ثم إنه ينبغي لمن أجاب تلك الدعوة العظمى أن يجرد نفسه من تبعات الخلائق، ويُقبل بقلبه على أبواب الخالق، في حركاته وسكناته؛ فإنه روح العباد؛ وليتذكر بتهيئه للسفر السفر الأ-كبر، فعن الصادق عليه السلام: (إذا أردت الحج فجرد قلبك لله (٣) تعالى من كل شاغل، وحجاب كل حاجب، وفوض أمورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، وودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق

١-١ الصرورة: يقال للذي لم يحج بعد. مجمع البحرين - صرر - ج ٣ / ٣٦٥.

٢-٢ سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

٣-٣ في البحار: من قبل عزمك - وبدون لفظ تعالى.

ص: ٥٥

تلتزمك من جهة المخلوقين... الحديث... إلى أن قال عليه السلام: (... ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخشوع والخشوع، واحرم من كل شيء يمنعك من ذكر الله ويحببك عن طاعته، ولَبَّ بمعنى إجابته (١) بتيه خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك، متمسكاً بعروة الله (٢) الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول [هرباً] (٣) من هواك، وتبرياً من [جميع] (٤) حولك وقوتك، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى، ولا تتم ما لا يحل لك ولا تستحقه، واعترف بالخطايا بعرفات، وجدد عهدك عند الله بوحدانيته، وتقرب إليه وأتقه بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملا الأعلى بصعودك على الجبل (٥)، واذبح الهوى (٦) والطمع عند الذبيحة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة [والأفعال] (٧) الذميمة عند رمي الجمرات، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكرامته (٨) من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودخول البيت (٩)، محققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله، واستلم الحجر رضاء بقسمته وخضوعاً لعزته، وودع مسواه بطواف الوداع... (١٠). الحديث.. وهو طويل، وفيما ذكرنا منه تنبيه للنائم في مضاجع الغفلة..

على أن العبادات الشرعية لها ظاهر وباطن، وأنه لا إيمان بظاهر الباطن، وبالعكس؛ وإن لكل عمل نية (١١)، وإن العمل بغير نية جسد لا روح له.

وإذا فهمت ما قلناه، فاعلم:

### تعريف الحج

[تعريف الحج]

إن الحج - لغةً - القصد المتكرر (١٢)، وشرعاً: القصد إلى مكة ومشاعرها

١-١ في البحار: إجابة صافية خالصة - بدون لفظ بتيه.

٢-٢ في البحار: بالعروة الوثقى.

٣-٣ ورد في الأصل: هرولة. وما أثبتناه من البحار.

٤-٤ من المصدر.

٥-٥ في البحار: إلى.

٦-٦ في البحار: واذبح حنجره الهوى.

٧-٧ من البحار.

٨-٨ كلاًه: كمنعه - كلاًه، وكلاءه، وكلاءه - بكسرهما: حرسه. ترتيب القاموس مادة كلاًه، ج ١/٤٦٩.

٩-٩ ليست في المصدر. وفيه: وزر البيت متحققاً لتعظيم... إلخ.

١٠-١٠ في البحار: ج ١٢٤/٩٦.

١١-١١ كما دلت عليه النصوص، انظر: الوسائل باب ٥، من أبواب مقدمة العبادات. ج ١، ٤٦.

١٢-١٢ أي كثرة الاختلاف والتردد. ويطلق الحج أيضاً على مطلق القصد. ترتيب القاموس - مادة حج - ١/٥٩١.

ص: ٥٦

والمناسك المخصوصة، بهيئة مخصصه، في أزمته مخصصه.

**أنواع الحجّ**

[أنواع الحجّ]

وأنواع الحجّ ثلاثة: تمتّع، وقران، وإفراد.

**١- حجّ التمتع**

[١- حجّ التمتع]

والتمتع مسبق بعمره التمتع، مرتبطة به. وهو فرض من ناء (نأى) عن مكّة بثمانية وأربعين ميلاً من كلّ جانب. وزمان الحجّ الذى لا يقع إلأفيه: شوال، وذو القعدة، وذو الحجّة.

**المواقيت**

[المواقيت]

ومواقيت الحجّ والعمرة: العقيق لأهل العراق، ويللم لأهل اليمن، وقون المنازل لأهل الطائف، والجحفة لأهل المغرب، وذو الحليفة لأهل المدينة.

وفسّر- فى الصحيح (١)- بمسجد الشجرة، وبه قال جماعة من الفضلاء (٢)، ولا ريب أنه أحوط، بل أولى.

وهذه المواقيت لأهلها ولمن يمرّ عليها من غيرهم قاصداً مكّة، عدا من استثنى.

ومكّة لحجّ التمتع، وأدنى الحلّ للعمرة المفردة لمن خرج من مكّة إليها أو لمن أراد أن يدخل مكّة من طريق لا يمرّ فيها على ميقات.

**الفصل الأول: فى عمرة التمتع**

الفصل الأول: فى عمرة التمتع

وواجباتها سبعة:

[١]

[نية الإحرام.

١- ١ كما فى صحيح الحلبي عن الإمام الصادق عليه السلام: ... وقت لأهل المدينة ذا الحليفة وهو مسجد الشجرة... الوسائل: باب ١،

من أبواب المواقيت، الحديث: ٣. ج ١١، ٣٠٨.

٢- ٢ فهم: القاضى المهذب، ج ١، ٢١٣، والمفيد فى المقنعة: ص ٣٩٤، والطوسى فى النهاية، ج ١، ٤٦٦.

ص: ٥٧

وهي القصْدُ إلى ما يحرم به وعنه - ولو إجمالاً، وصفته من الوجوب والتدب.

[٢]

[والتلبية:

واللفظ الدالُّ على المعنى المراد منهما (أحرمُ بالعمرة المتمتع بها لحجّ الإسلام حجّ التمتع، وألبى التلبيات الأربع؛ لوجوب الجميع، قربه إلى الله تعالى؛ لييك اللهم لييك، لييك لا شريك لك لييك) وينبغي أن يضيف لها (إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

[٣] ولبس ثوبى الإحرام، يتزر بأحدهما من السرة إلى الركبة، إلى نصف الشاق أفضل. وثيته (ألبس ثوبى الإحرام فى العمرة المتمتع بها إلى حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربه إلى الله تعالى).

ويُشترط فى الإزار الستر - إجمالاً، ويرتدى بالآخر على منكبيه أو على أحدهما. ويشترط فى ثوبى الإحرام معاً: كونهما ممّا تصح الصلاة فيه. والأحوط اعتبار الستر فى الرداء أيضاً. ولا يجب استدامته لبسهما، بل له التزع والتبديل، لكنّ الأفضل أن يطوف فى الثوب الذى نوى الإحرام فيه وإن اتسخ.

[٤] والطواف سبعة أشواط حول البيت، على وجه مخصوص؛ قاصداً به مراد الشارع.

ويجب فى الطواف الواجب: الطهارة من الحدث والخبث عن الثوب والبدن كالصلاة؛ وستر العورة كذلك؛ والختان فى الرجل؛ والتيّة مقارنة لمحاذاة الحجر الأسود. وتكفى المحاذاة العرفية، ولا يتعين استقبال الحجر بوجهه، فلو جعله على يساره ابتداءً - بأن يستقبل جهة زمزم - أجزاءه؛ وادخال حجر اسماعيل عليه السلام فى الطواف، بأن يجعله مع الكعبة حال الطواف على يساره، ويطوف بهما معاً؛ وأن يجعل المقام أو ما حاذاه من المسجد على يمينه؛ ويراعى فى مسافة عرض المطاف مقدار ما بين الكعبة والمقام من جميع الجهات. فعلى هذا تكون المسافة من جهة

ص: ٥٨

وسط الحجر مقدار سنّه أذرع ونصف ذراع - تقريباً - بالذراع الشرعى (١). وقد وضع علامةً على ذلك فى فرش أرض المطاف حجارةً حُمْر مصفوفة من جدار الحجر، قاصدةً إلى جهةً مقام الحنفى، بحيث لو راعى الطائف الذرع الذى ذكرناه وطئ الحجارة الحُمْر المذكورة برجله قطعاً.

ويجب على الطائف - حالة الطواف أيضاً - أن لا يستقبل الكعبة ولا يستدبرها، فإن (٢) أراد أن يستلم أحد الأركان وقف وعلم موضع وقوفه حينئذٍ واستلم وعاد إلى مكانه من غير زيادة ولا نقصان، وجعل البيت على يساره كما كان، وأكمل طوافه. وثبته الطواف مقارنةً لأوله معنى قولنا (أطوف بهذا البيت سبعة أشواط طواف العمرة المتمتع بها لحج الإسلام حج التمتع لوجوبه قرينةً إلى الله).

[٥] وركعتاه فى مقام إبراهيم (٣) عليه السلام. وينبغى أن يقرأ فى الأولى - بعد الحمد - (قل يا أيها الكافرون)، وفى الثانية - بعد الحمد - (قل هو الله أحد).

وثبتهما معنى قولنا: (أصلى ركعتى طواف العمرة المتمتع بها لحج الإسلام حج التمتع لوجوبهما قرينةً إلى الله).

[٦] والسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، فى الطريق المعهود، مستقبلاً للمطلوب بوجهه، فلا يمشى القهقرى ولا على جانب، ولا مستقبلاً لغير المطلوب. ويحتسب من الصفا إلى المروة شوطاً، ومن المروة إلى الصفا شوطاً آخر، يبدأ فى سعيه بالصفا كما بدا الله تعالى فى قوله: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) (٤)، بأن يلقى عقبه بها أو يصعد عليها، ويختم بالمروة، بأن يلقى إبهام رجله بها أو يصعد عليها، وفى العود يلقى عقبه بالمروة فى أول الشوط؛ وإبهامه بالصفا عند آخر الشوط، وهكذا.. إلى أن يكمل سبعة أشواط كما ذكرنا.

وثبته السعى معنى قولنا: (أسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فى العمرة

١- ١ الذراع يساوى ٦٤ سم تقريباً. الاصطلاحات: ٥٥.

٢- ٢ علقت على ذلك العلامة القديحى رحمه الله بقوله: لا يخفى ما فى قوله رحمه الله: فإن أراد... إلخ، من مزيد العسر والجرح، المنفيين شرعاً، فعدم الالتزام بما قال أقوى حج.

٣- ٣ وعلقت العلامة القديحى رحمه الله هنا أيضاً بقوله: مع التمكن وعدم العسر، وإلا فإلى أحد جانبيه، والشمال أولى إن أمكن حج.

٤- ٤ سورة البقرة، الآية: ١٥٨.



ص: ٥٩

التمتّع بها لحجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله تعالى).

ويستحبّ - مؤكداً - الهرولة بين الميلين للرجل لا للمرأة.

[٧] والتقصير من شعره قدر الأنملة، أو ظفره. ويكفي المسمى.

وبيته معنى قولنا: (أقصر من شعري أو ظفري للإحلال من عمره التمتع في حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله).

ويقوى في نفسى أن التقصير بعد السعى في العمرة والحجّ واجب لذاته، يتحقّق به الإحلال، والاحتياط لا بأس به. فإذا فعل ذلك فقد أحلّ من كلّ شيء أحرم منه، وبقي مرتبطاً بالحجّ لا يخرج من مكّة إلّا محرماً بالحجّ عدا ما استثنى.

## الفصل الثاني: في أفعال الحجّ

الفصل الثاني: في أفعال الحجّ

وهي ستة عشر فعلاً:

[١] نيّة الإحرام. وتقدّم معناها. وأفضل زمانها اليوم الثامن من ذى الحجّة بعد صلاة الظهر ومحلّها مكّة، وأفضله الحرم، وأفضله المقام أو الحجر.

[٢] والتلبية. وصورتها معنى قولنا: (أحرم بحجّ الإسلام حجّ التمتع وأتّى التليات الأربع وجوباً قرباً إلى الله تعالى، ليبيك اللهم ليبيك، ليبيك لا شريك لك ليبيك). وينبغي أن يضيف لها: (إنّ الحمد والنعمه لك والملك، لا شريك لك).

[٣] ولبس ثوبي الإحرام. وصفتهما وكيفيتهما كما تقدّم، وبيته معنى قولنا:

(ألبس ثوبي الإحرام في حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله).

[٤] والوقوف بعرفة يوم تاسع شهر الحجّ. وزمانه من زوال الشمس إلى الغروب، وبيته معنى قولنا: (أقف بعرفات من هذا الآن إلى

غروب الشمس في حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله). ويستحبّ الغسل قبل الزوال، والإقبال بقلبه على الله، وقطع العلائق المانعة له من ذلك، واستقبال القبلة،

ص: ٦٠

والاستعاذه من الشيطان الرجيم، والإكثار من الذكر والتمسيح والصلاة على محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم، والدعاء له ولإخوانه المؤمنين، والبكاء من خشية الله، والتباكي، وصرف زمان كونه بها في ذلك ومثله، والدعاء بالمأثور، ومنه دعاء الحسين وابنه زين العابدين عليهما السلام.

فإذا غربت الشمس أفاض على سكينه داعياً ذاكراً إلى المشعر الحرام.

[٥] والمبيت بالمشعر ليلة العاشر. وتيته معنى قولنا: (أبيت هذه الليلة بالمشعر في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله). ويستحب إحياء تلك الليلة بالدعاء والعبادة، ويستحب التقاط حصى الجمار منه، وهي سبعون حصاة، كل واحدة قدر الأنملة، ولتكن رخوة، بُرْشا (١)، كحليته، أبقاراً، طاهرة، من غير المسجد.

[٦] والوقوف بالمشعر. وزمانه من طلوع الفجر يوم العاشر إلى طلوع الشمس. وتيته معنى قولنا: (أقف بالمشعر من هذا الآن إلى طلوع الشمس في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله).

فإذا طلعت الشمس ذهب الناسك إلى منى. ويستحب للرجل الهرولة إلى وادي محسر، تقريباً من مائة خطوة، ماشياً كان أو راكباً.

[٧] ورمى جمرة العقبة خذفاً بسبع حصيات مصيبة للجمرة بما يسمى رمياً، وصورته بأن يضع الحصاة على باطن إبهامه ويدفعها بظفر السبابة (٢).

وتستحب الطهارة حالته، واستقبال وجه الجمرة، واستدبار القبلة، وتية الرمي معنى قولنا: (أرمي هذه الجمرة بسبع حصيات في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله).

وزمان الرمي ما بين طلوع الشمس إلى الغروب.

[٨] وذبح الهدى. ويجب كونه تاماً صحيحاً، فلا يجزى الأعور ولا الأعرج

١- ١ بُرْشا: في حديث أخذ حصى الجمار، «أخذ الحصى الجمار البرش». وهي المشتملة على ألوان مختلفة. مجمع البحرين - مادة برش - ج ٤، ١٢٩.

٢- ٢ علق على ذلك العلامة القديحى رحمه الله بقوله: مع التمكن وهيئات. حج.

ص: ٦١

ولا الأجر، ولا مكسور القرن الداخل، ولا مقطوع الإذن ولا بعضها، ولا الخصى ولا الذى ليس على كليته شحم. ونيته ذبحه معنى قولنا: (أذبح هذا الهدى فى حجّ الإسلام حجّ التمتع وجوباً قرباً إلى الله).

ويجوز التوكيل فى ذبحه، وتجب الصدقة بثله على بعض المؤمنين على الأظهر، وفقر القابل أحوط، ونيتها معنى قولنا: (أتصدق بثلث هذا الهدى فى حجّ الإسلام حجّ التمتع وجوباً قرباً إلى الله)، وإهداء ثلثه لبعض المؤمنين، ونيتها معنى قولنا: (أهدى ثلث هذا الهدى فى حجّ الإسلام حجّ التمتع وجوباً قرباً إلى الله).

[٩] ثم يخلق رأسه، أو يقصير، والمرأة يتعين عليها التقصير. ونيتها معنى قولنا: (احلق رأسى - أو أقصير من شعرى، أو ظفرى - فى حجّ الإسلام حجّ التمتع وجوباً قرباً إلى الله).

[١٠] ثم يذهب إلى مكة من يومه أو غده، فيبدأ بالطواف، وهو كما تقدّم فى العمرة - كميّة وكيفية وشرطاً وصفه. ونيتها معنى قولنا: (أطوف بهذا البيت سبعة أشواط طواف حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله).

[١١] وركعتيه (١)، وصفتهما ومحلّهما كما تقدّم. ونيتها معنى قولنا: (أصلى ركعتى طواف حجّ الإسلام حجّ التمتع وجوباً قرباً إلى الله).

[١٢] والسعى، وهو كما تقدّم فى العمرة - أيضاً - كميّة وكيفية وشرطاً وصفه. ونيتها معنى قولنا: (أسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط سعى حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله).

[١٣] وطواف النساء، وهو كما تقدّم - كيفية وكميّة وشرطاً وصفه. ونيتها معنى قولنا: (أطوف بهذا البيت سبعة أشواط طواف النساء فى حجّ الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله).

ص: ٦٢

[١٤] ورَكَعَتَاهُ - كما تقدّم - ونيتُهُمَا مَعْنَى قولنا: (أُصَلِّي رَكَعَتِي طَوَافَ النِّسَاءِ فِي حَجِّ الإِسْلَامِ حَجَّ التَّمَتُّعِ لَوْجُوبَهُمَا قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ). فإذا فعل ذلك كما وصفناه فقد أحلّ من كلّ شيءٍ أحرم منه.

[١٥] والمبيت بمنى ليالى التشريق. وثيئه كلّ ليلةٍ مَعْنَى قولنا: (أَبَيْتَ لِهَذِهِ اللَّيْلَةِ بِمَنْى فِي حَجِّ الإِسْلَامِ حَجَّ التَّمَتُّعِ لَوْجُوبَهُ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ).

[١٦] ورمى الجمرات الثلاث فى كلّ يومٍ من أيام التشريق (١)، كلّ جمره منها بسبع حصيات، يبدأ بالجمرة الأولى - وهى أقربها إلى مسجد الخيف -، ثم الوسطى، ثم جمره العقبة.

ويستحبُّ استقبال القبلة حال رمى جمره الجمرتين، واستدبار القبلة حال رمى جمره العقبة، والبعد عن الجمره حاله الرمي قدر عشرة أذرع، وقوله حاله الرمي: (اللَّهُمَّ ادْحِرْ عَنِّي الشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ). وقد تمّ حجّه.

### أفعال العمرة المفردة

[أفعال العمرة المفردة]

وأما أفعال العمرة المفردة فكأفعال عمرة التمتع، وتزيد العمرة المفردة عليها - أى: على عمرة التمتع - بطواف النساء ورَكَعَتَيْهِ، وتقدّمت صفته وكميته فى الحجّ.

وقد تقدّم فى المقدمة: أنّ ميقات العمرة المفردة أحد المواقيت الخمسة المذكورة، أو أدنى الحلّ لمن خرج من مكّة يريد العمرة، أو لمن أراد دخول مكّة بعمرة مفردة من طريق لا يمرّ فيها على ميقات، كمن قدم جدّة - مثلاً - يريد المدينة أو بلدًا غير مكّة، ثم بعد أن وصل جدّة - مثلاً - بدا له دخول مكّة، فلا يجب على من هذا حاله أن يرجع إلى الميقات الذى مرّ عليه، ولا إلى موضع محاذاة أقرب المواقيت إذا لم يمرّ على ميقات، ولا إلى ميقات أُفُقِهِ، بل له اختياراً أن

١- ١ أيام التشريق: أيام منى، وهى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر بعد يوم النحر. مجمع البحرين - مادّة شرق - ج ٥، ١٩١.

ص: ٦٣

يدخل مكة من الطريق المعروف بينها وبين جدة- مثلاً- ويحرم من أدنى الحّل- الحديبية أو التنعيم أو الجعرانة- ويدخل مكة ويفعل أفعال العمرة المفردة، وبذلك قد استفاضت الروايات (١) الصحيحة عن أئمتنا سلام الله عليهم أجمعين، وبه أفتى غير واحد من الأصحاب.

## الخاتمة

[الخاتمة]

يستحب مؤكداً بعد تمام أفعال الحج الوفاة لزيارة الرسول وخلفائه والزهراء وأئمة البقيع صلوات الله عليهم أجمعين، وبذلك أخباراً صحيحة (٢) كثيرة عن النبي وخلفائه صلوات الله عليهم. ومن تأمل في معنى العبادات وفطن مراد الشارع الحكيم منها علم أن من تمام الحج زيارتهم والاستشفاع بهم إلى الله تعالى في قبول الأعمال، وبهذا المعنى أحاديث صحيحة (٣) عن أئمتنا صلوات الله عليهم؛ إذ تعظيم تلك الشعائر إنما شرع بتعظيمهم، وجميع ما علمه المكلفون مما يجب عليهم فيها من الأقوال والأفعال فهو بتعليمهم، فهم أهل البيت وعمارة الحرم وقادة الأمم، فمن عظم حرمة البيت كما شرع الله فقد عظمهم، ومن لم يفعل ذلك لم يقبل الله منه عملاً؛ لأنه قد عبده من غير الوجه الذي قد شرع، ومن كان كذلك فهو من الكافرين. وفي الحديث- ما معناه- إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار، ثم يأتونا (٤) ويعرضون (٥) علينا نصرتهم (٦). وبمعناه أحاديث كثيرة.

هذا ما اقتضاه الحال، ومن أراد بيان المستحبات فعليه بالمطولات، وصلى الله على محمد وآله وصحبه الطاهرين وسلم كثيراً.

## وورد في آخر نسخة ب

وورد في آخر نسخة ب:

[تم المنسك المختصر اللطيف، على يد القن الضعيف فقير ربّه الغني]

١- ١ انظر: الوسائل، باب ٢، من أبواب العمرة، الأحاديث: ٢، ٣، ٤، ٥، ٦. ج ١٤، ٢٩٨.

٢- ٢ انظر: الوسائل، كتاب الحج، الباب ٢، من أبواب المزار. ج ١٤، ٣٢٠.

٣- ٣ انظر أحاديث باب ٢٩، من أبواب مقدمة العبادات من الوسائل. ج ١، ١١٨.

٤- ٤ يأتونا. م.

٥- ٥ يعرضوا. م.

٦- ٦ نص الحديث: عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم،

ويعرضوا علينا نصرهم». الوسائل باب ٢، من أبواب المزار. الحديث: ١. ج ١٤، ٣٢١.

ص: ٦٤

السبحاني حسين بن المقدس الشيخ على آل المرحوم الشيخ سليمان البلادي البجراني (عفي [\(١\)](#) الله تعالى عنهم وعن المؤمنين والمؤمنات بمحمد وآله الهداه عليهم أفضل الصلوات يوم ١٧ جمادى الثاني [\(٢\)](#) سنة ١٣٥٤هـ].

### مصادر التقيق

مصادر التقيق:

- ١- القرآن المجيد.
- ٢- الاصطلاحات في الرسائل العمليّة، العاملي (ياسين بن عسى - معاصر)، قم: جماعة المدرسين.
- ٣- أنوار البدرين، البلادي (على بن حسن ت ١٣٤٠ هـ)، النجف: مطبعة النعمان ١٣٧٧ هـ.
- ٤- بحار الأنوار، المجلسي (محمد باقر بن محمد تقي ت ١٠ - ١١١١ هـ)، بيروت: مؤسسه الوفاء ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.
- ٥- ترتيب القاموس المحيط، الزاوي (الطاهر أحمد)، بيروت: دار الكتب العلميّه ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطهراني (أغا بزرك ت ١٣٨٩ هـ)، بيروت: دار الأضواء.
- ٧- مجمع البحرين، الطريحي (فخر الدين بن محمد ت ١٠٨٥ هـ)، بيروت: الوفاء.
- ٨- المقنعة، المفيد (محمد بن محمد ت ٤١٣ هـ)، قم: مؤسسه النشر الإسلامى ١٤١٠ هـ.
- ٩- المهذب البارع، الطرابلسي (عبدالعزیز بن البراج ت ٤٨١ هـ)، قم: مؤسسه النشر الإسلامى ١٤٠٦ هـ.

١- ١ عفا. م.

٢- ٢ جمادى الآخرة، إلا إذا أراد به الشهر. م.

ص: ٦٥

١٠- النهاية- المطبوع معها نكت النهاية، الطوسي (محمّد بن الحسن ت ٤٦٠هـ)، قم: مؤسسه النشر الإسلامى ١٤١٢ هـ.

١١- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، العاملى (محمّد بن الحسن ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، قم: الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

ص: ٦٦

مخطوط



ص: ٦٧

الهوامش:

**بيعه العقبة**



ص: ٦٩

بيعة العقبة

محمد هادي اليوسفي الغروي

قال القمي في تفسيره: لما قدمت الأوس والخزرج مكة، وكان أكثرهم مشركين على دينهم، وفيهم عبدالله ابن أبي بن أبي سيلول، وفيهم ممن أسلم بشر كثير. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نازلًا في دار عبدالمطلب (في منى في أيام موسم الحج) ومعه على عليه السلام وحمزة والعباس. فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لهم: تمنعون جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم، وثوابكم على الله الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله فخذ لنفسك وربك ما شئت. فقال: موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق فاحضروا دار عبدالمطلب على العقبة، ولا تتبها نائمًا.

فلما حجوا رجعوا إلى منى، وجاءه منهم سبعون رجلًا من الأوس والخزرج فدخلوا الدار. فلما اجتمعوا قال لهم رسول الله: تمنعون جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟ فقال أسعد

ص: ٧٠

ابن زرارة والبراء بن معرور وعبدالله ابن حرام: نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربك.

فقال رسول الله: تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، وتمنعون أهلي مما تمنعون منه أهليكم؟ قالوا: فما لنا على ذلك؟

قال: تملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً في الجنة.

فقالوا: قد رضينا. فقام العباس ابن نضلة الأوسى فقال:

يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض وعلى حرب ملوك الدنيا، فإن

علمتم أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغروه، فإن رسول الله وإن كان قومه خالفوه - فهو في عز ومنعة.

فقال له عبدالله بن حرام وأسعد ابن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان:

ص: ٧١

مالك وللكلام؟! ثم قالوا: يا رسول الله، بل دمننا بدمك وأنفسنا بنفسك، فاشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال رسول الله: أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك، كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً. فقالوا: اختر من شئت.

فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم، فقال:

هذا نقيب، وهذا نقيب حتى اختار تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبدالله ابن حرام- وهو أبو جابر بن عبدالله الأنصاري- ورافع بن مالك، وسعد ابن عباد، والمنذر بن عمرو، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعباد بن الصامت. وثلاثة من الأوس هم: أبو الهيثم بن التيهان اليمنى حليف بني عمرو بن عوف، وأسيد ابن حضير، وسعد بن خيشمة.

فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله صاح بهم إبليس: يا معشر قريش والعرب، هذا محمّد والصّيباء من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبايعونه على حربكم فأسمّع أهل منى، فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح.

وسمع رسول الله النداء فقال للأنصار: تفرّقوا. فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيفنا فعلنا.

فقال رسول الله: لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله في محاربتهم.

فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا.

قال: انتظر أمر الله (بالهجرة) فتفرّقوا.

وخرج حمزة وعلى بن أبي طالب فوقف حمزة على العقبة ومعه السيف.

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، فلما نظروا إلى حمزة قالوا له: ما هذا الذي اجتمعتم عليه؟

ص: ٧٢

قال: ما اجتمعنا، وما هاهنا أحد، ووالله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي! فرجعوا. ورجع رسول الله إلى مكة. (ولم يطلع المسلمون من الأوس والخزرج المشركين منهم، وفيهم عبدالله بن أبي بن أبي سلول، فغدت قريش إليه) وقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا؟

فحلف لهم عبدالله: أنهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك، فصدّقه (١).

ذكر ذلك القمي في تفسيره، ونقله عنه الطبرسي في «اعلام الوري» والقطب الراوندي في «قصص الأنبياء» ولم يتبعه تلميذه ابن شهر آشوب في «مناقب آل أبي طالب» بل قال:

كان النبي يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم، فلقي رهطاً من الخزرج ستة نفر فقال: أفلا تجلسون أحدّثكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا إليه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: والله إنه للنبي الذي كان يوعدكم به اليهود، فلا تسبقنكم إليه (فصدّقه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام) وقالوا له: إننا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ مثل ما بينهم، فعسى أن يجمع الله بينهم بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك (ونعرض عليهم الذي أجيناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله بك فلا رجل أعزّ منك). ثم انصرفوا عن رسول الله راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا.

فلما كان العام المقبل أتى من الأنصار إلى الموسم اثنا عشر رجلاً فلقوا النبي صلى الله عليه وآله فبايعوه على «بيعة النساء» (٢) وبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم يصلي بهم (فكان يصلي بهم ويقرئهم القرآن حتى سمى بينهم بالمقرئ، وحتى لم تبق دار في المدينة إلّا وفيها رجال ونساء

١- ١ تفسير القمي ١: ٢٧٢، ٢٧٣، باختلاف في بعض الألفاظ، وعنه في اعلام الوري: ٥٩- ٦١، وعن القمي أيضاً في قصص الأنبياء: ٣٣٢، ٣٣٣، باختلاف في بعض الألفاظ أيضاً.

٢- ٢ اصطلاح المسلمون- فيما بعد- اسم بيعة النساء على البيعة التي وردت في الآية الثانية عشرة من سورة الممتحنة، وإنّما يكتفى بها عن بيعة لاقتال فيها في مقابل بيعة الحرب. وسورة الممتحنة نازلة بعد صلح الحديبية، فالتسمية متأخرة.

ص: ٧٣

مسلمون:

(وفي الموسم القادم) خرج جمع من الأنصار مع حجاج قومهم، فاجتمع، في ليلة من ليالي الشريق في الشعب عند العقبة، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان.

(فقام فيهم رسول الله) فقال:

أبايعكم على الإسلام.

فقال له بعضهم: نريد أن نعرفنا- يارسول الله- ما لله علينا وما لك علينا وما لنا على الله؟

فقال: أما ما لله عليكم: فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأما مالي عليكم: فتنصروني مثل نساءكم وأبنائكم، وأن تصبروا على عض

السيف وأن يقتل خياركم (١).

قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا على الله؟

قال: أما في الدنيا فالظهور على من عاداكم، وفي الآخرة الرضوان والجنة.

فقال أبو الهيثم بن التيهان: إن بيننا وبين الرجال حباً، فهل عسيت إن نحن قطعناها أو قطعوها ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك

وتدعنا؟

فتبسّم رسول الله ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم.

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعك بما نمنع به أزرنا، فبايعنا- يارسول الله- فنحن والله أهل الحروب

وأهل الحلقة، ورثناها كباراً عن كبار.

فقال رسول الله: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً. فاختاروا.

فقال لهم: أبايعكم كبيعة عيسى ابن مريم للحواريين، كفلاء على قومكم، على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبنائكم. فبايعوه

على ذلك.

فصرخ الشيطان في العقبة: يا أهل الجباب (٢) هل لكم في محيد والصيباه معه، فإنهم قد اجتمعوا على حربكم؟! ففشا الخبر ونفر

الناس

١-١ وهذا معناه أنبيعة النساء السابقة تغيرت هنا إلىبيعة القتال والحرب.

٢-٢ الجباب: جمع جبيعة: الوعاء من آدم ونحوه، وتطلق على منازلهم في منى لأنها أوعية لهم.

ص: ٧٤

وخرجوا في الطلب، فلم يدرکوا منهم إلا سعد بن عبادہ والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فأعجز القوم هرباً، وأما سعد فأدرکوه فأخذوه وربطوه بحبل رحله وادخلوه مکه يضربونه.

فبلغ خبره إلى جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية (أخي أبي سفيان صخر بن حرب) فأتياه وخلصاه (١).

هذا ما ذكره ابن شهر آشوب في فصل هجرته صلى الله عليه وآله، وقد قال في الفصل السابق في أحواله وتواريخه:

كان حصار الشعب أربع سنين. وقال قبله: توفي أبوطالب بعد نبوته بتسع سنين وثمانية أشهر، وذلك بعد خروجه من الشعب بشهرين. وتوفيت خديجة بعده بستة أشهر.

ولبت بعدها بمكة ثلاثة أشهر فأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة (!) فخرج جماعة من أصحابه بأهاليهم، وذلك بعد خمس من نبوته (!) وقال:

فلما توفي أبوطالب خرج إلى الطائف وأقام فيه شهراً، ثم انصرف إلى مكة ومكث فيها سنة وستة أشهر في جوار مطعم بن عدي.

ثم ذكر مختصر بيعه العقبة الأولى والعقبة الثانية، ولكنه أضاف ذكر أسمائهم فقال: كانت بيعه العقبة الأولى بمنى، بايعه خمسة نفر من الخزرج وواحد من الأوس، في خفية من قومهم «بيعة النساء» وهم: جابر ابن عبدالله (٢)، وقطب بن عامر بن حرام، وعوف بن الحارث، وحارثة ابن ثعلبة (٣)، ومرثد بن الأسد، وأبو أمامة ثعلبة بن عمرو، ويقال: هو أسعد بن زرارة.

وفي السنة القابلة - وهي العقبة الثانية - أنفذوا معهم ستة أخرى بالإسلام والبيعة، وهم: أبو الهيثم بن التيهان، وعباد بن الصامت، وذكوان ابن عبدالله، ونافع بن مالك بن العجلان، وعباس بن عباد بن نضلة، ويزيد بن ثعلبة حليف له. ويقال: مسعود بن الحارث، وعويم بن

١- ١ مناقب آل أبي طالب: ١٨١، ١٨٢. وهو مختصر خبر ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢: ٧٠-٩٣.

٢- ٢ لا يوجد جابر فيمن شهد العقبة بل أبوه عبدالله بن عامر بن حرام. بل يعدّ جابر من أتراب الحسين عليه السلام.

٣- ٣ ولا يوجد هذا الاسم أيضاً في السنة الأولى ولا الأخيرة، بل هو جدّ الأوس والخزرج، اليعقوبي ٢: ٣٠.



ص: ٧٥

ساعده حليف لهم.

ثم أنفذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم ابن عمه: مصعب بن عمير بن هاشم، فنزل دار أسعد بن زرارة، فاجتمعوا عليه وأسلم أكثرهم.

وفى السنة القابلة كانت «بيعة الحرب» (١) كانوا سبعين رجلاً وامرأتين من الأوس والخزرج، واختار منهم اثني عشر نقيباً ليكونوا كفلاء قومهم: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فمن الخزرج:

أسعد بن زرارة، وجابر بن عبدالله الأنصاري (٢)، والبراء بن معرور، وعبدالله بن عمرو بن حرام، وسعد ابن عباد، والمنذر بن عمرو، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع.

ومن القوافل: عبادة بن الصامت.

ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان، وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة (٣).

وظاهره- كما ترى- أنه يعدد ثلاث بيعات في ثلاث سنوات متواليات، ولم يسند الخبر لاهنا ولا في فصل هجرته صلى الله عليه وآله وسلم ولم يذكر سيرة ابن هشام أو ابن إسحاق عند ذكره لطرقه إلى كتب العامة في مقدمته كتابه، نعم ذكر طريقه إلى مغازيه (٤) ومع ذلك فإنني لا أراه إلا أنه اختصر خبره من سيرته كما في سيرة ابن هشام، مع فارق:

أن ابن إسحاق يبدأ في خبر إسلام الأنصار، فيذكر عرض الرسول نفسه على العرب، ولقاءه بالستة من الخزرج عند العقبة، وأنهم أجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام. ثم انصرفوا عن رسول الله راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا. ثم يسميهم. ولا يذكر شيئاً عن البيعة ولا يسميها «بيعة النساء» ولا «العقبة الأولى» وابن شهر آشوب سماها: بيعة العقبة الأولى، وبيعة النساء. والعقبة التي اضيف فيها إلى الستة الأولى ستة آخرون فكان

١-١ في الكتاب: الحرث، أو الحرس، ولاريب أن الحرس مصحف الحرث، وهو مصحف الحرب، فهو الصحيح ولا معنى لغيره.

٢-٢ روى الكشي في رجاله عن الباقر عليه السلام قال: كان عبدالله أبو جابر بن عبدالله من السبعين ومن الاثني عشر، وجابر من السبعين وليس من الاثني عشر. رجال الكشي: ٤١ طمشهد.

٣-٣ مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٤، ١٧٥، وهو مختصر خبر ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢: ٧٣-٧٥ و ٨١-٨٧ ومنها ما بين الأقواس.

٤-٤ مناقب آل أبي طالب ١: ١٠.

ص: ٧٦

الجميع اثني عشر رجلاً وبُعث معهم مصعب بن عمير، يسميها: العقبة الثانية. والعقبة الثانية التي كان الأنصار فيها ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين يسميها بيعة الحرب، وهي كذلك، ولكنه يجعلها البيعة الثالثة في السنة القابلة أي الثالثة. ولعل منشأ الشبهة له هو أن ابن إسحاق أو ابن هشام لا يسمي اللقاء الأول (١)، ويسمى اللقاء الثاني بالعقبة الأولى (٢)، ويسمى اللقاء الثالث بالعقبة الثانية (٣) ثم يعود على شروط هذه البيعة بعنوان: شروط البيعة في العقبة الأخيرة: قال ابن إسحاق: وكانت بيعة الحرب (٤) فلعله وهم أن البيعة الأخيرة بيعة الحرب غير بيعة العقبة الثانية، فهي الثالثة.

وابن إسحاق يروي الخبر الأول عن اللقاء الأول للنبي بالسنّة من الخزرج عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ قومه (٥)، وخبر العقبة الأولى عن عبادة بن الصامت بثلاثة وسائط (٦)، وبطريق آخر عنه بواسطتين (٧)، وخبر العقبة الثانية عن كعب بن مالك الخزرجي بواسطه ابنه معبد عن أخيه عبدالله عن أبيه كعب (٨) وخبر أسر سعد بن عبادة عن عبدالله بن أبي بكر عنه (٩). ويوهم قوله: كانت البيعة الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله لم يكن قد أذن لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحرب، فلما أذن الله له فيها وبايعهم رسول الله (١٠) وقوله:

وكان رسول الله قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء .. فلما عنت قريش على الله عز وجل .. أذن الله عز وجل لرسوله في القتل والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ... بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء: أن أول آية أنزلت في اذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم قول الله تبارك وتعالى: ( أذن للذين يقاتلون

- ١-١ سيرة ابن هشام ٢: ٧٠.
- ٢-٢ ابن هشام ٢: ٧٣.
- ٣-٣ ابن هشام ٢: ٨١.
- ٤-٤ ابن هشام ٢: ٩٧.
- ٥-٥ سيرة ابن هشام ٢: ٧٠.
- ٦-٦ ابن هشام ٢: ٧٥.
- ٧-٧ ابن هشام ٢: ٧٦.
- ٨-٨ ابن هشام ٢: ٨١.
- ٩-٩ ابن هشام ٢: ٩١.
- ١٠-١٠ ابن هشام ٢: ٩٧.

ص: ٧٧

بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير) (١).. فلَمَّا أذن الله تعالى له في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار (٢) يوم قوله هذا: أن الإذن له بالحرب صدر بهذه الآية قبل بيعه الحرب في العقبة الثانية قبل الهجرة، ولذلك بايعهم النبي بيعه الحرب. ويردّه مارواه ابن اسحاق عن معبد بن كعب عن أخيه عبدالله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك: أن العباس ابن عباد بن نضلة قال له: إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فانا! فقال رسول الله: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم (٣). والآية من سورة الحج، وهي بعد المئة في ترتيب النزول، أي النازلة بعد عشرين سورة نزلت بعد الهجرة، تقريباً، ممّا لا يناسب معه نزولها حتى قبل وقعة بدر في منتصف السنة الثانية للهجرة، بل يناسب نزولها بعد ذلك تحكى علّة الإذن في ذلك، فضلاً عن أن تكون قد نزلت قبل بيعه الحرب في العقبة الثانية قبل الهجرة، ممّا يوهمه ظاهر مقال ابن إسحاق، ولكن الحديث اختلط بعبه ببعض في غير وضوح. نعم كان يفهم من بيعه الحرب أن ذلك سيكون، وكانت لابن إسحاق رواية عن عروة بن الزبير وغيره عن أول آية أنزلت في الإذن في الحرب والقتال، فانتقل إلى نقل الرواية كجملة معترضه، ومثله كثير في الكتب القديمة.

الهوامش:

مقام ابراهيم

١-١ الحج: ٣٩.

٢-٢ ابن هشام ٢: ١١٠-١١١.

٣-٣ سيرة ابن هشام ٢: ٩١.



ص: ٧٩

مقام إبراهيم

محسن الأسدي

هناك عبر جهادٍ مريب، ومعاناة شاقّة، راح شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل يُلقى بذور رسالة السماء إلى أهل الأرض، فكانت - حقاً - بذوراً مباركة مورقة ذات بهجة، تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها، في عصره وفيما تلته من عصور، فغدت كلّها عصوراً نابضةً بآيات الإيمان، زاخرةً بمعالم الخير والعطاء، شاخصةً بالعزّ والشموخ. وراح ذلك الوادي - الذي كان مكاناً مقفراً في جوف تلك الصحراء النائية - راح يضيحّ بحياة تدبّ في كلّ مظاهر دنياه وتُضفي عليها السلامة والطمأنينة والأمان.

وليس هذا غريباً على خليل الرحمن الذي أعدّته السماء خير إعدادٍ، وهنّأته على أكمل وجه؛ ليؤدّي رسالته خير أداء، ويبلغ ما حمّل على أحسن وأكمل شكل. وما انكفت تلاحقه السماء فتبتليه أحياناً، فتجده عبداً صابراً، وتشبته أخرى وهو يجتاز أشواك وعقبات طريق دعوة الحقّ الملقاه على عاتقه، فكان

ص: ٨٠

ثواب الله له عظيماً أن جعل ثمار بذوره بل وكل ما استعان به من صخور صماء في مشروعه السماوى الحافل آيات لا تحدّ بحدّ ولا تنتهى بأمد معين، من الله عليه بأن ينضج كل ما بذره وكل ما استعان به سريعاً ليدوم طويلاً وليخلد عبر أجيال متقادمة فكان - حقاً - عطاءً خالداً ما دام ليل وما بقى نهار، تنتفع منه الأجيال المؤمنة، وتقتطف ثماره ويكون مأوى الأئفدة وتصلّى وتبارك وترحم على إبراهيم وآل إبراهيم.

لقد كانت أنشطته وأعماله بذور خير نمت وترعرعت (بوادٍ غير ذى زرع) فكان ذلك البيت العامر الخالد عبر القرون يطوف حوله الصالحون، ويصلّى عنده الراكعون الساجدون. وكانت تلك الصخرة التى استعان بها؛ ليرفع أحجاراً يشيد بها بناء بيت الله تعالى الذى شاءت إرادته أن يعبد فيه، صخرة وقف عليها ليرفع قواعد البيت، واتخذها مكاناً لأذانه بالحجّ ثم لتكون بعد ذلك آية، يتخذها الطائفون العابدون مصلى لهم، فتذكرهم بعظمه صاحبها وتضحيتها وصبره، وكيف كان رمزاً خالداً لكل قيم ومبادئ السماء، ويتأملون عظمه هذا الرجل وما ناله من أوسمه مباركة؛ منها: (

واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (١) و (

إن إبراهيم كان

أمّة) (٢) ... تقول الرواية التى يرويها ابن عباس:

جاء إبراهيم فوجد إسماعيل يصلح نبلاً له من وراء زمزم، فقال له: يا إسماعيل! إن ربك قد أمرنى أن أبني له بيتاً.

فقال إسماعيل، فأطع ربك فيما أمر.

فقال إبراهيم: قد أمرك أن تعيننى عليه.

قال: إذن أفعل.

فقام معه - فجعل إبراهيم بينه، وإسماعيل يناوله الحجارة. ويقولان (

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) (٣)، فلما ارتفع البنيان، وضعف عن رفع الحجارة قام على حجر، وهو مقام إبراهيم فجعل بينى

وإسماعيل يناوله، فلما فرغ، أمره الله أن يؤذّن فى الناس بالحجّ ..).

وفى رواية ثانية أيضاً تُنسب لابن عباس نذكر منها ما يخصّ المقام:

«... ويحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته وبينى الشيخ إبراهيم، فلما ارتفع البناء (البنيان) وشقّ على الشيخ إبراهيم تناوله، قرّب له

إسماعيل هذا الحجر - يعنى المقام - فكان يقوم عليه، وبينى، ويحوّله فى نواحي البيت، حتّى انتهى إلى وجه البيت. يقول ابن عباس:

فلذلك سُمى مقام إبراهيم لقيامه عليه» (٤).

١- النساء / ١٢٥.

٢- النحل / ١٢٠.

٣- البقرة / ١٢٧، أخبار مكّة للأزرقي ١: ٦٠.

٤- أخبار مكّة للأزرقي: ج ١، ص ٥٩.

## مكانه

مكانه:

بما أنّ إبراهيم وإسماعيل استفادا من صخرة في بناء البيت، حتّى انتهايا، حيث

ص: ٨٢

بدءاً (واجهه البيت). فقد تركاها ملاصقة للبيت ثم طافا به، ولم أعثر على شيء يدل على أنهما - بعد انتهاء عملهما - نقلتا الصخرة إلى موضع يبعد أذرعاً عن البيت نفسه. وإنما تركاها حيث انتهيا في واجهه البيت، وعند هذا الحد تقف الأخبار ساكتة عما جرى للصخرة بعد ذلك حتى غير أهل الجاهلية مكانها فأبعدوها عن البيت ٢٦ ذراعاً أو أكثر قليلاً حيث مكان المقام الآن وهو مدار الطواف، وإنما أقول: مدار الطواف أو المطاف؛ لأنه لم يكن قبل الإسلام ذكر للمسجد الحرام، وكل ما هناك هو مدار للطواف، فالطواف هو المتعارف عندهم حول الكعبة. ثم أعاده رسول الله إلى مكانه السابق وبعده أرجعه عمر إلى حيث هو الآن. هذا ما تقوله المصادر التي تيسرت لي. بينما ورد في الجواهر عن ابن سراقه أن ما بين باب الكعبة ومصلى آدم أرجح من تسعة أذرع، وهناك كان موضع مقام إبراهيم عليه السلام ومصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، وأنزل عليه (

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

ثم نقله إلى الموضع الذي هو فيه الآن، وذلك على عشرين ذراعاً من الكعبة لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه، ثم ذهب به السيل في أيام عمر إلى أسفل مكة فأتى به، وأمر عمر برده إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ونحوه في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الواضع له هنا ما عن ابني عنبسة وعروية .. انتهى ما ورد في الجواهر. (١) فهذا الكلام واضح في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس عمر بن الخطاب، الذي وضع الصخرة في المقام الحالي. ولكن المشهور تاريخياً وروائياً غير هذا حيث إن العديد من روايات أهل البيت وروايات غيرهم تؤكد أن المقام (الصخرة) كان لاصقاً بالبيت بعد أن أعاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحوّله عمر إلى حيث هو الآن.

ففي الكافي والفقيه: كان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوّلته أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلما فتح



ص: ٨٣

النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة رده إلى الموضع الذي وضعه إبراهيم عليه السلام إلى أن ولي عمر بن الخطاب فسأل الناس: من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟ فقال بعض:

أنا قد كنت أخذت مقداره بنسج فهو عندي فأتاه به فقاسه ثم رده إلى ذلك المكان.

وفي مضمرة ابن مسلم وصحيفة إبراهيم بن أبي محمود المرويتين في الكافي عن الإمام الرضا ما يدل على أن محل المقام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير محله في أيام الأئمة عليهم السلام إلى الآن.

وفي تفسير القمي في سورة الحج: أن المقام كان في زمن إبراهيم يلصق بالبيت ...

وفي الدر المنثور كما عند الأزرقى في أخبار مكة عن المطلب بن أبي وداعة وعن آخر: أن سيل أم نهشل في أيام عمر احتل المقام من محله، فسأل عمر عن محله، فزعم المطلب أن عنده مقياس محله، فوضع في محله الآن.

وفي الدر المنثور أيضاً أخرج البيهقي في سننه عن عائشة: أن المقام كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزمان أبي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب.

أما السيد السبزواري فقد جاء بشيء لم يسبقه أحد إليه - حسب اطلاعي - فقد ميز بين مقامين لإبراهيم الخليل، حين ذكر أن هناك مقامين (مقام قدمي - مقام عبادي) كما صرح به في الفائدة الثالثة من مهذب الأحكام، حيث قال: لإبراهيم الخليل عليه السلام مقام صلاة وعبادة في مسجد الكوفة، ومسجد السهلة، وبيت المقدس، وبعيد في الغاية أن لا يكون له مقام صلاة وعبادة في المسجد الحرام ولا بدع في ذلك، فإن كثرة تفاني الخليل في مرضاة خليله لا يقتضى إلا ذلك، والظاهر أن المقام الفعلي كان مقام صلاته وعبادته، وكان مقام قدميه أي:

الصخرة ملصقاً بجدار البيت فكان له عليه السلام مقامان ..

المقام القدمي .. المقام العبادي.

فجمع في الجاهلية بين المقامين، وفرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمصالح، ثم جمع

ص: ٨٤

بينهما وقّره المعصومون عليهم السلام لمصالح كثيرة فيكون  
منتهى الطواف ومحلّ صلاته مقامه العبادى لا مقامه القدمى

ويقتضيه الاعتبار. ولعلّ اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على التفريق بينهما لئلا يخضع العوام وضعف العقول لقدميه عليه السلام فى مقابل التخصّص لله تعالى وبيته، ولئلا يكون له استقلال فى قبال البيت الشريف بل يكون ملصقاً به ومن تبعاته تبعية آلات البناء وأدواتها لنفس البناء.

وقد ذكر أيضاً فى الفائدة الثانية أنّه: يظهر من الأخبار أنّ الصخرة التى عليها أثر قدمى الخليل المسمّى بالمقام قد تغيّر محلّه عمّا كان عليه، ففى صحيح زرارة عن أبى جعفر عليه السلام: «كان موضع المقام الذى وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت فلم يزل هناك حتّى حوّل أهل الجاهليّة إلى المكان الذى هو فيه اليوم، فلما فتح النبى صلى الله عليه وآله وسلم مكّة رده إلى الموضع الذى وضعه إبراهيم عليه السلام فلم يزل هناك حتّى ولى عمر فسأل الناس: من منكم يعرف المكان الذى فيه المقام؟ فقال رجل:

أنا قد أخذت مقداره بنسج (حبل عريض يُشدّ به الرحال) وهو عندى، فقال:

إئتني به، فأتاه فقاسه ثمّ رده إلى ذلك المكان». وفى روضة الكافى عن على عليه السلام:

«لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذى وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... لتفرّقوا عني».

وقال الشهيد الثانى فى المسالك:

الأصل فى المقام أنّه العمود من الصخر الذى كان إبراهيم عليه السلام يقف عليه حين بنائه البيت، وأثر قدميه فيه إلى الآن .. ثمّ بعد ذلك بنوا حوله بناءً، وأطلقوا اسم المقام على ذلك البناء بسبب المجاورة حتّى صار إطلاقه على البناء كأنّه حقيقة عرفية. وهذا واضح فى أنّه لم يكن هذا الموضع مقاماً عبادياً قبل نقل الصخرة إليه، ولا موضع دعاء إبراهيم عليه السلام حين دعا لأهله كما ورد.

ص: ٨٥

بقى شيء هنا: وهو أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حينما صلى ركعتي الطواف هل صلّاهما عند الموضع نفسه الذي وُضعت فيه الصخرة في الجاهليّة، أم أنّه بعد أن أرجع الصخرة إلى حيث كان موضعها زمن إبراهيم عليه السلام صلى الركعتين عندها؟ لم أجد جواباً صريحاً على ذلك، لا في الأخبار التاريخية ولا في الروايات، وكلّما هناك أنّه أعاد الصخرة إلى حيث كانت أيام إبراهيم عليه السلام، وأنه مشى أو تقدم بعد طوافه نحو المقام وأدى الركعتين اللهم إلّا أن نقول: إنّ الفعل «مشى» أو «تقدم» يدلّ على أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أدى الركعتين عند المقام الحالي قبل أن ينقله إلى موضعه السابق الذي ليست هناك مسافة بينه وبين نهاية الشوط الأخير لملاصقته للبيت، هذا وأن الأخبار لم تذكر لنا أن هذا المقام هو المقام العبادي أو موضع دعاء إبراهيم عليه السلام لأهله (١)- وإن كان هناك من يذكر أن دعاءهم كان عند جبل كداء؟..

## وصفه

وصفه:

تعرّض صاحب معجم البلدان- فيما تعرض له- إلى وصف المقام فقال:

وذرع المقام ذراع، هو مربع سعة أعلاه أربع عشرة إصباعاً في مثلها وفي أسفله مثلها وفي طرفيه طوق من الذهب وما بين الطرفين بارز لا- ذهب عليه، طوله عن نواحيه كلّها تسع أصابع، وعرضه عشر أصابع، وعرضه من نواحيه إحدى وعشرون إصباعاً، ووسطه مربع، والقدمان داخلتان في الحجر سبع أصابع وحولهما مجوّف، وبين القدمين من الحجر إصبعان ووسطه قد استدقّ من التمسح به، والمقام في حوض مربع حوله رصاص، وعلى الحوض صفائح من رصاص، ومن المقام في الحوض إصبعان، وعليه صندوق ساج وفي طرفه سلسلتان تدخلان في أسفل الصندوق ويقفل عليه قفلان، ... ثمّ راح ياقوت الحموي ينقل قول البشاري: المقام بإزاء وسط البيت الذي فيه الباب، وهو أقرب إلى البيت من

ص: ٨٦

ززم، يدخل في الطواف في أيام الموسم، ويكَب عليه صندوق حديد عظيم راسخ في الأرض طوله أكثر من قامه وله كسوة. ويرفع المقام في كل موسم إلى البيت، فإذا رُفِع جعل عليه صندوق خشب له باب يُفتح في أوقات الصلاة، فإذا سلّم الإمام استلمه ثم أغلق الباب.

وفيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام، مخالفة.

أما لونه وحجمه فيقول عنهما: إنه «أسودٌ وأكبر من الحجر الأسود» (١).

## مع الآيتين

مع الآيتين

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٢) (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) (٣) هاتان آيتان وردتا في خصوص المقام نتحدث أولاً عن الآية الأولى:

## القراءة

القراءة:

وقع اختلاف بين القراء في قراءتهم هذه الآية: فأكثرهم على أن اتخذوا فعل أمر، أما ابن عامر ونافع وغيرهما فقد قرأوا هذا الفعل على لفظ الخبر من فعل ماضٍ، وهذه القراءة فيها ثلاثة أوجه:

الأول:

أنه معطوف على «جعلنا» المخفوض ب (إذ) في (وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) يقول الرازي: فيكون الكلام جملة واحدة، وهو إخبار عن ولد إبراهيم أو متبعية أنهم اتخذوا من مقامه (مصلى)، فيكون هذا عطفاً على (جعلنا البيت) واتخذوه مصلى. وقال أبو علي الفارسي: وجه قراءة من قرأ على الخبر أنه عطف على ما أضيف إليه إذ كأنه قال: وإذا اتخذوا قال: وتقوية قوله أن ما بعده خبر، وهو قوله: (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل...). تكلمة الآية نفسها.

١- ١ معجم البلدان ٥: ١٦٤. أخبار مكة للأزرقي ٢: ٣٨.

٢- ٢ البقرة/ ١٢٥.

٣- ٣ آل عمران/ ٩٧.

ص: ٨٧

الثاني:

أنه معطوف على مجموع قوله (وإذ جعلنا...)

فيحتاج إلى تقدير «إذ» أي (وإذ اتخذوا)

ويكون الكلام جملتين لا جملة واحدة.

الثالث:

أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره: فثابوا واتخذوا.

هذا فيما يخص القراءة الثانية قراءة (

واتخذوا)

بفتح الخاء على أنها فعل ماضٍ.

أما القراءة الأولى وهي المشهورة، قراءة الأمر (واتخذوا)

بكسر الخاء أي قطعوه عما سبقه وجعلوه معطوفاً جملة على جملة. ففيها خمسة أوجه:

الأول:

أنها عطف على (اذكروا)

في (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ..)

إذا قيل: إن الخطاب هنا لبني إسرائيل أي: (اذكروا نعمتي واتخذوا من ..).

الثاني:

أنها عطف على الأمر الذي تضمنه قوله: (مثابةً) كأنه قال: ثوبوا «ارجعوا» واتخذوا.

الثالث:

أنه معمولٌ لقولٍ محذوف أي: وقلنا اتخذوا إن قيل بأن الخطاب لإبراهيم وذريته أو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأُمَّته.

الرابع:

أن يكون مستأنفاً.

الخامس:

ذكره الرازي: أنه عطف على قوله (إني جاعلك للناس إماماً) والمعنى أنه لما ابتلاه بكلمات وأتمهن، قال له جزاء لما فعله من ذلك (

إني جاعلك للناس إماماً)

وقال (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (١).

## مَن المأمورون

مَن المأمورون؟

وبعد اتفاق المشهور على قراءة (واتخذوا) بكسر الخاء، وقع الاختلاف في المأمورين بهذا الأمر. فهل المقصود به أُمَّة محمد صلى الله

عليه وآله وسلم أو الخطاب عام يشمل

١-١ يراجع في ذلك كله: تفسير الآية ١٢٥ من سورة البقرة في: مجمع البيان للطبرسي، التبيان للطوسي، إملاء ما مَن به الرحمن لأبي البقاء، الدرّ المصون للسمين الحلبي، التفسير الكبير للفخر الرازي.

ص: ٨٨

الذين عاشوا فترة إبراهيم عليه السلام وما بعده، خصوصاً أنّ الآية جاءت ضمن آيات تشكّل قصة إبراهيم الذي يزعم اليهود والنصارى إنتماءهم إليه، حيث ذكر الله تعالى بنى إسرائيل بنعمه وأبان كيف قابلوا النعم بالكفر والجحود، فأعقب ذلك بقصة إبراهيم، ولو صدقوا زعمهم بالانتماء إليه لاتبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه أثر دعوة أبيه إبراهيم حين دعا لأهل الحرم؟ ويجوز أن يكون أمر بهذا ولده، إلّا أنّه تعالى أضمر قوله وقال، ونظيره قوله تعالى: (

وظنوا أنّه واقع بهم خذوا ما أتيناكم بقوة)

. وراح الرازى يسجّل قولاً آخر: أنّ هذا أمر من الله تعالى لأمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وهو كلام اعترض فى خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وكأنّه وجهه؛ وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا أنتم من مقام إبراهيم مصلى، والتقدير إنّنا لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابةً للناس وأمناً فاتخذوه أنتم قبله لأنفسكم، والواو والفاء قد يذكر كلّ واحد منهما فى هذا الموضوع وإن كانت الفاء أوضح وأما على قراءة الفتح فيقول الرازى: فهو إخبار عن ولد إبراهيم أنهم اتخذوا من مقامه مصلى ... (١).

وذكر الشيخ الطوسى فى تفسيره للآية: وظاهر قوله (

واتخذوا ...)

أنّه عام لجميع المكلفين إلّا من خصّه الدليل وعليه أكثر المفسّرين (٢).

من:

فى من من قوله تعالى: (

من مقام ..)

وجوه أربعة:

الأوّل:

أنّ من تبعيضه كما هو الظاهر، أى من بعض مقام إبراهيم.

الثانى:

أنّ من جاءت هنا بمعنى فى.

الثالث:

أنّها زائدة وهذا ما ذهب إليه الأخفش.

الرابع:

ذكر فى تفسير الرازى: إنّها بيانية لبيان المتخذ الموصوف وتميزه فى

١-١ التفسير الكبير للفخر الرازى ٤: ٥٣.

٢-٢ التبيان للطوسى ١: ٤٥٢.

ص: ٨٩

ذلك المعنى عن غيره (١).

المقام:

المقام هنا مكان القيام، وهو يصلح للزمان والمصدر أيضاً. وأصله «مقوم» فأُعلِّ بنقل حركة الواو إلى الساكن قبلها وقلبها ألفاً، ويُعبَّر به عن الجماعة مجازاً كما يُعبَّر عنهم بالمجلس، قال زهير:

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههم وأنديةٌ يتأبها القولُ والفعلُ في حين ذكر القرطبي في الجامع أن المقام في اللغة: موضع القدمين. وراح ينقل قول النحاس: «مقام» من قام يقوم، يكون مصدراً واسماً للموضع. ومقام من أقام؛ فأما قول زهير أعلاه فمعناه: فيهم أهل مقامات.

وقال صاحب أقرب الموارد: المقام والمقام: الإقامة وموضعها وزمانها.

(المقام) أيضاً: موضع القدمين والمقام المنزلة ومنه مقامات الأعداد و (مقام إبراهيم) قيل هو الحجر الذي فيه أثر قدميه في الكعبة (٢).

## معنى المقام

معنى المقام:

وهنا أيضاً وقع الخلاف في معنى المقام، وقد ذكر الشيخ الطوسي في البيان أربعة أقوال:

أحدها:

قال ابن عباس الحجّ كله مقام إبراهيم.

ثانيها:

وقال عطا مقام إبراهيم عرفه والمزدلفه والجمار.

ثالثها:

وقال مجاهد: الحرم كله مقام إبراهيم.

رابعها:

وقال السدي: مقام إبراهيم هو الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل وضعتته تحت قدم إبراهيم حين غسلت رأسه. فوضع إبراهيم رجله

عليه وهو

١- ١ انظر الدر المصون والتفسير الكبير للرازي.

٢- ٢ يراجع في ذلك كله: تفسير الآية ١٢٥ من سورة البقرة في مجمع البيان للطبرسي، والبيان للطوسي، وإملاء ما من به الرحمن

لأبي البقاء، والدرّ المصون للسمن الحلبي والتفسير الكبير للرازي وديوان زهير ١١٣، القرطبي ١١٢ / ٢ وأقرب الموارد: ٥٤ / ٢ - ١ ق-

الشرتوني، زبدة البيان: ١ / ٢٨٦ للأردبيلي.



ص: ٩٠

راكب فغسلت شقّه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر، فوضعت تحت الشق الآخر فغسلته فغابت أيضاً رجله فيه فجعلها الله من شعائره، فقال:

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

وبه قال الحسن، وقتادة والربيع، واختاره الجبائي، والرماني، وهو الظاهر في أخبارنا، وهو الأقوى؛ لأنّ مقام إبراهيم إذا أطلق لا يفهم منه إلّا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام. وفي المقام دلالة على نبوة إبراهيم عليه السلام؛ لأنّ الله تعالى جعل الصخرة تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيها وكان ذلك معجزة له (١).

يقول صاحب أحكام القرآن: (... فمن الناس من حمّله على عمومه في مناسك الحج، والتقدير: «واتخذوا من مناسك إبراهيم في الحج عبادةً وقُدوةً».. (٢) وهذا كما يبدو يتفق مع ما ذهب إليه ابن عباس في الرأى الأول:

الحجّ كلّ مقام إبراهيم، «ومن خصّيه صه قال: معناه موضعاً للصلاة المعهودة؛ وهو الصحيح...» (٣) والشيخ الطوسي يذهب إلى الرابع الذي أيدته روايات أهل البيت عليهم السلام كما سنرى. كما أنّ الفخر الرازي في تفسيره الكبير يذهب إلى هذا الرأى كما يظهر ذلك من قوله بعد ذكر تلك الوجوه ويستعرض الأدلّة عليه: واتفق المحققون على أنّ القول الأول - كما هو ترتيب الأقوال عنده حيث كان الرابع عند الطوسي الأول عند الرازي - أولى، ويدل عليه وجوه:

الأول:

ما روى جابر أنّه عليه السلام لمّا فرغ من الطواف. أتى المقام وتلا قوله تعالى (

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

فقرأه هذه اللفظة عند ذلك الموضع تدلّ على أنّ المراد من هذه اللفظة هو ذلك الموضع ظاهر.

وثانيها:

أنّ هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع، والدليل عليه أنّ سائلاً لو سأل المكي بمكة عن مقام إبراهيم.. ولم يفهم منه إلّا هذا الموضع.

١- ١ التبيان للطوسي: ج ١، ص ٤٥٣. في تفسير الآية.

٢- ٢ أحكام القرآن لابن العربي ١: ٦٠.

٣- ٣ أحكام القرآن لابن العربي ١: ٦٠.

ص: ٩١

وثالثها:

ما روى أنه عليه السلام مرّ بالمقام ومعه عمر، فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام إبراهيم؟ قال: بلى. قال: أفلا تتخذة مصلى؟ قال: لم أوامر بذلك. فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت الآية.

ورابعها:

أن الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاصت فيه رجلا إبراهيم عليه السلام، وذلك من أظهر الدلائل على وحدانية الله تعالى، ومعجزة إبراهيم عليه السلام. فكان اختصاصه بإبراهيم أولى من اختصاص غيره به، فكان إطلاق هذا الاسم عليه أولى.

وخامسها:

أنه تعالى قال (

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

وليس للصلاة تعلق بالحرم ولا بسائر المواضع إلا بهذا الموضع، فوجب أن يكون مقام إبراهيم هو هذا الموضع.

وسادسها:

أن مقام إبراهيم هو موضع قيامه، وثبت بالأخبار أنه قام على هذا الحجر عند المغتسل، ولم يثبت قيامه على غيره، فحمل هذا اللفظ، أعنى:

مقام إبراهيم عليه السلام على الحجر يكون أولى، قال القفال: ومن فسر مقام إبراهيم بالحجر خرج قوله (

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

على مجاز قول الرجل:

اتخذت من فلان صديقاً، وقد أعطاني الله من فلان أخاً صالحاً، ووهب الله لى منك ولئياً مشفقاً. وإنما تدخل «من» لبيان المتخذ الموصوف وتمييزه في ذلك المعنى من غيره، والله أعلم (١) ...

## مُصَلَّى

مُصَلَّى:

مفعول اتخذوا وهو هنا اسم مكان أيضاً وجاء في التفسير بمعنى قبله. وقيل:

هو مصدر، فلا بد من حذف مضاف أي: مكان صلاة، وألفه منقلبة عن واو، والأصل: «مُصَلَّو» لأن الصلاة من ذوات الواو (٢) وقيل هو

اسم مكان لا مصدر

١- ١ انظر التفسير الكبير للرازي: ج ٣/ ٥٤- القرطبي في الجامع لأحكام القرآن. الطبرسي في مجمع البيان.

٢- ٢ الدرّ المصون: ج ١، ص ٩٤، تفسير الآية ٣ من سورة البقرة. ج ٢، ص ١٠٦.

ص: ٩٢

ووزنه مفعّل.

وفى معناه وردت عدّة أقوال (١):

-١

مدعى يُدعى فيه، وهو مأخوذ من صلّيت بمعنى دعوت وهذا قول مجاهد. قال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه).

-٢

قبلة، وذهب الى هذا القول كلّ من الحسن والجبائي.

-٣

الصلاة عنده أو موضع صلاة يصلى عنده بعد أن أمرنا بالصلاة عند المقام وهذا قول الحسن وقتادة، يقول الطوسى وهذا هو المروى فى أخبارنا.

وبذلك استدلو على أن صلاة الطواف فريضة مثله، لأنّ الله تعالى أمر بذلك، والأمر يقتضى الوجوب. وليس هاهنا صلاة يجب أدائها عنده غير هذه بلاخلاف.

وأما الرازى فقد ذكر أنّ مجاهداً إنّما ذهب إلى هذا التأويل (المصلى):

المدعى) ليتّم له قوله: إنّ كلّ الحرم مقام إبراهيم وهو أحد الأقوال فى المقام. ثمّ يضيف: أنّ أهل التحقيق قالوا: وهذا القول: (القول الثالث) «أمروا أن يصلّوا عنده» أولى؛ لأنّ لفظ الصلاة إذا أطلق يعقل منه الصلاة المفعولة بركوع وسجود، ألا ترى أنّ مصلى المصر، وهو الموضع الذى يصلّى فيه صلاة العيد؟ وقال عليه السلام لأسامه بن زيد: المصلّى أمامك، يعنى به موضع الصلاة المفعولة، وقد دلّ عليه أيضاً فعل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة عنده بعد تلاوة الآية؛ ولأنّ حملها على الصلاة المعهودة أولى؛ لأنّها جامعة لسائر المعانى التى فسروا الآية بها.

إذن المراد بالمقام والمصلى: هو مقام إبراهيم والصلاة عنده، وهو أصحّ الأقوال عند الفريقين.

## المقام والطواف وصلاته

المقام والطواف وصلاته

إذن ثبت لنا أنّ المقام قد تغيّر مكانه، واتّفتت على ذلك الأخبار التاريخية

١-١ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مجمع البيان للطبرسى، التبيان للطوسى، التفسير الكبير للرازى.

ص: ٩٣

والروايات وبالتالي أقوال الفقهاء والمؤرخين، ويظهر لنا من خلال ذلك أسئلة.

منها: هل لهذا التغيير أثر بالنسبة للطواف ولصلاته الأمرين الرئيسيين اللذين لهما علاقة بمقام إبراهيم؟ وبمعنى آخر هل هناك من مدخلية للمقام في الطواف وحدّه؟

وهل له مدخلية في أداء ركعتي الطواف؟

فإذن عندنا الآن سؤالان الأول يتعلّق بالطواف ومدخلية المقام فيه، والثاني يتعلّق بصلاة الطواف ومدخلية المقام في مكانها.

أمّا الأول فمن خلال تتبع الروايات وأقوال الفقهاء يظهر أن لا مدخلية للمقام، ولا خصوصية له في الطواف وإنّما ذكر في الروايات بأنّ يكون الطواف بينه وبين البيت كتحديد للمطاف لا- غير فلو حول عن مكانه، وجب الطواف في المقدار المخصوص له وهو ست وعشرون ذراعاً ونصف الذراع من كلّ جوانب الكعبة.

فرواية محمد بن مسلم- التي جبر ضعفها بعمل الأصحاب وبالشهرة عند من يقول بالانجبار- الذي قال: سألته عن حدّ الطواف بالبيت الذي من خرج عنه لم يكن طائفاً بالبيت؟

قال: كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطوفون بالبيت والمقام، وأنتم اليوم تطوفون ما بين المقام وبين البيت، فكان الحدّ موضع المقام اليوم، فمن جازه فليس بطائف، والحدّ قبل اليوم واليوم واحد قدر ما بين المقام وبين البيت من نواحي البيت كلّها، فمن طاف فتباعه من نواحيه أبعد من مقدار ذلك كان طائفاً بغير البيت، بمنزلة من طاف بالمسجد؛ لأنّه طاف في غير حدّ ولا طواف له (١).

إذن: الناس كانوا يطوفون- زمن رسول الله- بالبيت والمقام أي أنّ الأخير داخل في طوافهم لكونه ملاصقاً للبيت، أما وقد تغيّر موضع المقام إلى ما هو عليه الآن فصار المقام حدّاً للمطاف باعتبار المساحة المذكورة التي إن خرج الطائف

ص: ٩٤

عنها لا- يصدق عليه أنه طائف بالبيت الطواف المطلوب بل طائف بالمسجد الذي هو عبارة عن المطاف نفسه، اللهم إلا أن يكون لضرورة كما تصرّح به الرواية الأخرى عن محمد بن علي الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الطواف خلف المقام، قال: ما أحب ذلك، وما أرى به بأساً، فلا تفعله إلا أن لا تجد منه بداً..

فالعبارة بالمساحة المحدودة وليس للمقام دخل في ذلك وإنما هو يمكن أن يكون حداً فقط وعلامةً لذلك الحد أي حد المطاف، فالخصوصية والاعتبار لمدار المطاف، فلو قدر أن يتعد المقام أكثر من المساحة المذكورة أو يقترب نحو البيت لا تتغير هذه المساحة بل تبقى كما هي لا يجوز للطائف تجاوزها إلا إذا لم يكن له بداً.

وأخيراً قد يبدو من تحديد المطاف ب ٢٦ ذراعاً ونصف الذراع هو أن هذه المساحة كانت هي المسجد أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل التوسعات التي حدثت في زمن عمر وعثمان وما بعدهما. فكل طواف يتم داخل هذه المساحة هو طواف بالبيت وضمن المساحة الأصلية للمسجد. وكل طواف يتم خارج هذه المساحة هو طواف بالبيت لكنّه خارج المسجد، وقد تمسك بعض العلماء بعدم جواز مثل هذا الطواف حتى في حال الضرورة، وذهب البعض الآخر إلى جوازه مع الضرورة، في حين نسب للصدوق من الجواز مطلقاً على كراهة..

ويمكن استظهار هذا كله من بعض الروايات، التي تشير إلى أن هناك طوافاً يتم خارج المطاف الذي هو مساحة المسجد الأصلية، فالرأي الأول الذاهب إلى وجوب الطواف بين البيت والمقام تعضده الرواية السابقة لمحمد بن مسلم. والرأي الثاني الذاهب إلى جواز الطواف خارج المقام تعضده رواية الحلبي السابقة كما أن صاحب الرأي الثالث استفاد رأيه من هذه الرواية نفسها.

وما بالنسبة للمسألة الثانية وهي مكان صلاة ركعتي الطواف فبعد أن

ص: ٩٥

اتَّفقت كلمة الفقهاء على وجوب أدائهما عند مقام إبراهيم عليه السلام وقع الخلاف بينهم حول أى مكان من المقام تؤدى فيه هاتان الركعتان:

فذهب فريق منهم إلى أنه يجب ايقاعهما فى المقام وفى هذا الخصوص يقول الشهيد فى الدروس: إنَّ معظم الأخبار وكلام الأصحاب ليس فيهما الصلاة فى المقام بل عنده أو خلفه (١). وتعبير بعض الفقهاء بالصلاة فى المقام مجاز تسمية لما حول المقام باسمه؛ لأنَّ المراد بالمقام حقيقةً هو الصخرة التى عليها أثر قدم إبراهيم عليه السلام ولا يصلى عليها ولا قدامها، وهذا حق (٢). ثم يقول: لكنَّ المراد بالمقام: هو البناء المعدَّ للصلاة، الذى هو وراء الموضع، الذى فيه هذه الصخرة بلا فصل، ومع الزحام يصلى خلف هذا الموضع أو إلى جانبه (٣). فى حين ذهب الفريق الثانى إلى أنه يجب ايقاعهما خلف المقام، بينما راح الفريق الثالث إلى القول: إنَّه يجب أدائهما عند المقام الشامل للخلف وأحد الجانبين.

وفى الوقت الذى ذهبت الفرق الثلاث إلى وجوب ايقاعهما (فى المقام، خلف المقام، عند المقام ..) ذهب فى الخلاف إلى أنه يتوجب ايقاعهما خلف المقام، وإن لم يفعل وفعل فى غيره أجزاءه، ولم يكتف بهذا بل ادعى عليه الإجماع. فى حين قال الشهيد فى الدروس: لكن المراد بالمقام: هو البناء المعدَّ للصلاة، الذى هو وراء الموضع، الذى فيه هذه الصخرة بلا فصل ومع الزحام يصلى خلف هذا الموضع أو إلى أحد جانبه عن إبراهيم بن أبى محمود، قلت للرضا عليه السلام: أصلى ركعتى طواف الفريضة خلف المقام حيث هو الساعة، أو حيث كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: حيث هو الساعة (٤). فهذه الرواية توضح لنا أنَّ المقام الذى يجب أن تؤدى ركعتا الطواف (فيه) حسب تعبير بعض الفقهاء، أو خلفه أو عنده كما هو تعبير الروايات وكثير من الفقهاء، هذا المقام هو حيث الآن موجود لا فى الموضع الذى كان فى عهد

١-١ الدروس: ١١٣. هامش جامع المقاصد للكركى ٣: ١٩٦.

٢-٢ هامش جامع المقاصد: ٣/ ١٩٦.

٣-٣ المصدر نفسه.

٤-٤ الوسائل: ١٣/ ٤٢٣، باب ٧١.

ص: ٩٦

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نأتى الآن إلى استعراض بعض الروايات التي استفاد منها الفقهاء آراءهم حول مكان الصلاة في المقام:

\* .. عن الحلال قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل نسي أن يصلّى ركعتي طواف الفريضة فلم يذكر حتى أتى منى، قال: يرجع إلى مقام إبراهيم فيصلّيهما.

\* .. عن ابن عمّار: إذا فرغت من طوافك فأت مقام إبراهيم عليه السلام فصلّ ركعتين (١).

\* .. عن ابن عمّار، قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا فرغت من طوافك فات مقام إبراهيم عليه السلام فصلّ ركعتين واجعله اماماً ...

\* .. عن جميل، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يصلّى ركعتي طواف الفريضة خلف

المقام ..

\* .. عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل طاف طواف الفريضة ولم يصلّ الركعتين حتى طاف بين الصفا والمروة، ثم طاف طواف النساء فلم يصلّ الركعتين حتى ذكر بالأبطح، يصلّى أربع ركعات؟ قال: يرجع فيصلّى عند

المقام أربعاً.

هذا وإن للشيخ البلاغى رأياً حيث يقول: وقد روى في الوسائل عن أئمتنا عليهم السلام أكثر من اثني عشر حديثاً في أنّ صلاة الطواف خلف المقام بحسب موضعه في زمانهم عليهم السلام والآن، خمس منها استشهد فيها بقوله تعالى ( واتخذوا ... )

وست نصّت على الخلف، وعلى ذلك يحمل ما كان لفظه عند المقام والتعبير بعند؛ فيه أيضاً تقييد لإطلاق الخلف، وكذلك ما كان لفظه ارجع إلى المقام أو إئت المقام، وهذا ممّا يشهد لإرادة الجهة ومقدار سعتها. كما أنّه يقول: والظاهر أنّ المراد من مقام إبراهيم في الآية هو جهة موقعه ومحل قيامه لا

ص: ٩٧

خصوص موطنه في قيامه أو نفس الصخرة فإنه لا يمكن أن يتخذ منه مصلى (١).

ثم راح الشيخ البلاغى يبين وجهة نظره في تقديم المقام فيقول: ولعلّ وجوب تقديم المقام بحسب موضعه الثانى لأجل احترامه عن الاستدبار، أو لأجل الستر على الشيعة. والحصص فى رواية زرارة بالمقام المعروف ظاهر فى أنه بالإضافة إلى الصلاة لطواف المتطوع فى أنها حيث شاء المتطوع من المسجد، ويمكن أن تنزل على ذلك مرسله صفوان، كما يمكن أن تنزل صحيحة إبراهيم بن أبى محمود وسائر الروايات على الستر على الشيعة فتجوز الصلاة ما بين موضعى المقام أولًا وثانيًا، ولكن الاحتمال لاحترام ذات المقام يرجح ظاهر الروايات ويمنع عن اليقين (٢).

وأما ما ذكره الأردبيلي فى زبده البيان .. وكون الصلاة المخصوصة فى المقام المخصوص كأن المراد به ما هو المتعارف والمعدّ للصلاة الآن، إذ الحقيقى لا يصلى فيه ويدلّ عليه بعض الأخبار أيضاً، أو جملة الحرم، فىكون من للتبعيض ويكون المراد البعض المخصوص وهو المقام الآن (٣).

وأخيراً نذكر ما احتمله السيّد السبزواري حول المراد بالمقام فى الآية الكريمة وخلف المقام فى الروايات، فقال: يحتمل أن يُراد بالمقام فى الآية الكريمة، بخلف المقام فى الروايات الدائرة المحيطة بالمطاف فى جميع الجوانب، وإنما ذكر المقام؛ لأنه لم يكن علامة لتعيين هذا الحدّ وغيره، ويشهد له الاعتبار أيضاً، لأنّ خلف المقام وعنده فى زمان نزول الآية الشريفة لم يكن يسع مائة من المصلين فكيف بالألوف ومئات الألوف، مع أن بناء الشريعة على التسهيل مهما أمكن فى هذا المجمع الكبير العجيب الذى يزداد كلّ عام ازدحاماً، فالمناطق كلّها أن لا تكون صلاة فى المطاف لتزاحم الطائفين، ثمّ يعقب السيّد بعد احتمالها هذا قائلاً: ولكن لا يساعد هذا الاحتمال ظاهر بعض الأخبار .. وكلمات الفقهاء بل هو من الاجتهاد

١- ١ آلاء الرحمن ١: ١٢٥.

٢- ٢ آلاء الرحمن: ج ١، ص ١٢٥.

٣- ٣ زبده البيان ١: ٢٨٥-٢٨٦.



ص: ٩٨

في مقابل النصّ. وكذا ما عن بعض علماء العامة من أن المراد بالمقام الحرم المكي (١).  
تبقى عندنا مسألة أخرى في هذا الخصوص وهي: بما أن المقام - كما ظهر - لخصوصية له بالمطاف سواء أوجد على حدّ المطاف أم لا، ولكن له خصوصية بمكان صلاة الطواف ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى )

فقد يرد عندنا هذا السؤال، هل الاعتبار لموضع المقام أم للمقام ذاته؟ وبعبارة أخرى هل نلحق المقام (الصخرة) أو كما يسميه السيد السبزواري المقام القدمي لو نقل إلى مكان آخر سواء أكان داخل المسجد أم خارجه؛ لتؤدى صلاة الطواف عنده، أم نحن ملزمون بأداء هذه الصلاة في موضع المقام الحالي وإن خلا من الصخرة؟  
وبعبارة ثالثة هل حكم المقام هذا حكم البيت المبارك، الذي تبقى القبلة ويبقى الطواف حول موضعه حتى لو أزيل جرمه والعياذ بالله تعالى؟

قلنا أن السيد السبزواري في مهذب الأحكام يذهب إلى أنه لا موضوعية في التحديد للمقام القدمي، فلو فرض تغييره عن وضعه ونقله إلى محل آخر لا يتغير تحديد المطاف بذلك هذا بالنسبة إلى الطواف. أما بالنسبة إلى صلاة الطواف فيمكن معرفة أن السيد يذهب إلى أن الصلاة تؤدى عند المقام الذي يسميه المقام العبادي والعبرة به لا بالصخرة التي يسميها المقام القدمي سواء جمعت مع العبادي أو افترقت عنه. قد يعرف هذا من قوله في تفريقه بين المقامين العبادي والقدمي: «فيكون منتهى الطواف ومحلّ صلاته مقامه العبادي لا مقامه القدمي» (٢).

بينما ذكر صاحب براهين الحج: .. فإن انتقل المقام في موضعه الفعلي ..

فالظاهر عدم تفاوت حكم الطواف قبل الانتقال وبعده .. وأما الركعتان للطواف، فلا يبعد انقلاب حكمها فكما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف المقام قريباً من

١-١ مدارك الأحكام: ١٤، ص ١٠١-١٠٢.

٢-٢ مهذب الأحكام ١٤: ٦٥-٦٦.

ص: ٩٩

البيت

، وكان في عهد الأئمة عليهم السلام في مكانه الفعلي خلفه، فكذا إن انتقل بحكم الدولة أو غيره إلى محل أبعد من البيت، فالظاهر جواز الصلاة خلفه أيضاً؛ لأن الظاهر أن المناط خلف المقام في أى موضع كان .. وذهب أخيراً إلى أن الطواف لا يتغير محله بتغير محل المقام، بخلاف الصلاة فإنها يؤتى بها خلفه في أى موضع انتقل إليه إلا أن ينتقل إلى خارج المسجد الحرام ففيه إشكال لانصراف الأدلة عنه (١) فإذا الكاشاني فرق بين أمرين كما يظهر بين انتقال المقام إلى موضع داخل المسجد فيصلى خلفه وبين انتقاله إلى خارج المسجد، ففيه إشكال لانصراف الأدلة عنه .. وليتنا عثرنا على تلك الأدلة، وتوصلنا إلى ذلك الانصراف!

وهنا أرى من الضروري ذكر ما تفضل به سماحة الشيخ آية الله الجنائي، حيث قال: إن الصخرة (المقام) أينما انتقلت داخل المسجد أو خارجه حتى وإن كانت بمسافات بعيدة جداً فيجب أداء ركعتي الطواف عندها. وأمّا القول: إنها فقط لو انتقلت داخل المسجد فيجب أداء الصلاة عندها، مثل هذا القول لا دليل عليه. وقال سماحته: إن بعض المراجع كالسيد الخوئي والسيد الشاهرودي - وعلى ما أظن ذكر السيد الإمام أيضاً - كانوا يذهبون إلى أن العبرة بموضع المقام (الصخرة). فلو انتقلت يبقى أداء الركعتين عند الموضع نفسه، ونظراً لما دار من حديث بينه وبينهم في النجف الأشرف حول المقام وموضعه، تغير رأيهم بأن جعلوا العبرة للصخرة نفسها لا لموضعها مستفيدين هذا من الآية نفسها (

واتخذوا ...)

هذا ما تفضل به سماحته، وأنا أنقله هنا بعد إذنه لفائدته.

أسئلة أخرى وهي: لماذا اختار عمر أو الجاهلية من قبل نقل الصخرة إلى حيث هي الآن على ٢٦ / ٥ ذراعاً عن البيت والتي قد تكون هي حدود المطاف؟

وهل اختياره أو اختيار الجاهلية لهذا المكان كان اعتباطاً أم أنه كان هناك أثر لإبراهيم كأن يكون مقام عبادة له، فوضعت الصخرة فيه وعندئذ اجتمع المقامان

ص: ١٠٠

القدمى والعبادى أم أنه أراد أن يجعله على حدّ المطاف؛ لكى لا يكون عائناً للطائفين ..؟ وهل المراد بالمقام فى الآية الكريمة ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى )

المراد المقام القدمى (الصخرة) أم المقام العبادى الذى هو على حدّ المطاف؟ وإذا قلنا- وكما هو رأى الجميع تقريباً- إن المراد هو المقام القدمى (الصخرة) فكيف تتم الصلاة عنده فى حاله كونه ملاصقاً للبيت ألا تشكل الصلاة عائناً للطائفين ويشكل الطائفون مانعاً لأدائها نقول هذا بعيداً عن أحكام الضرورة؟ ثم ما هو المانع من أن يكون المقام الوارد فى الآية ( واتخذوا ... )

المقام العبادى الذى كان لإبراهيم عليه السلام وأظنه المكان الذى دعا فيه إبراهيم دعاءه حين ترك أهله وأراد العودة من حيث أتى (.. ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات ..) (١) وبالتالي يشكّل رأياً آخر يضاف إلى الآراء الأخرى فى المراد من المقام؟! وتتلخص الإجابة عن هذا الأخير فى مخالفته للأخبار التاريخية وللروايات التى لم أعتز فيها حتى على إشارة بسيطة عليه.

## وقفات

وقفات

أقول:

بما أن مثل هذا المقام العبادى لم يقم عليه- كما أظن- دليل إلامجّرد استبعاد أن لا يكون للخليل مقام فى المسجد الحرام كما له مقام فى المساجد الأخرى، وكما لآدم ولغيره مقام فى البيت. مثل هذا المقام الذى خلقه الاستبعاد هذا لا أظنه أيضاً يصلح أن يكون هو المراد من الآية الكريمة ( واتخذوا ... )

ومن كونه آية بينه كما فى (

فيه آيات بينات مقام إبراهيم)

فى الوقت الذى قامت عنده أدلة كالروايات وأقوال الكثير من المفسرين على كون الصخرة هى المقام وهى الآية، فلماذا نلجأ

ص: ١٠١

إلى مجرّد الاستبعاد لترتب عليه الآثار الأخرى؟!

وإذا كانت العبرة بموضع المقام (الصخرة) لا بالصخرة نفسها، فلماذا لا يراعى الموضع الأول للصخرة حيث كانت ملاصقة للكعبة دون الموضع الثانى الذى نقلت إليه؟!

وإذا كان المقام (الصخرة) هو المعتبر فى أداء ركعتى الطواف ألا يشكل نقله خاصّة خارج البيت وفى أماكن بعيدة حرجاً- بعيداً عن أحكام الضرورة- على المكلفين فى أداء الركعتين عنده وأنه خلا من تيسير الشريعة وسهولتها؟  
ثم إن التفريق بين نقل الصخرة داخل المسجد فيذهب المصلّى إلى حيث هى ليصلّى الركعتين عندها، وبين نقلها خارج الحرم وبالتالي لا يجب عليه الذهاب إليها وأداء الصلاة عندها. مثل هذا القول (التفريق) لم أتوفّر على دليل واضح عليه أو مشعر به.

### الآية (واتخذوا...) ووجوب الركعتين

الآية (واتخذوا...) ووجوب الركعتين

ذهب بعض إلى جعل هذه الآية من ضمن أدلّته على وجوب ركعتى الطواف، قال صاحب كنز العرفان: ذكر أن الصلاة فى مقام إبراهيم واجبة للأمر باتّخاذ مصلّى الدال على الوجوب وهو ركعتا الطواف إذ لا صلاة واجبة عنده غيرهما بلاخلاف.

وهنا يمكن القول: إن الأمر (

واتخذوا...)

يدلّ على وجوب أن تتخذ من المقام موضعاً لأداء الصلاة لا أنّه يدلّ على وجوب تلك الصلاة الواقعة فى المقام.

فحالته حال من يقول لك: اتّخذ المسجد الفلانى مصلّى تؤدّى فيه صلاتك، فهل هذا يدلّ على وجوب تلك الصلاة؟!

وأما القول: يثبت وجوب الركعتين من الآية بعد ضميمته الإجماع على عدم

ص: ١٠٢

وجوب غيرهما في المقام الذي ورد فيه فعل الأمر )

(واتخذوا ...)

هذه المحاولة هي الأخرى ليس لها ضرورة ولا- أظنها تعين صاحبها على ما يريد، وعليه بالروايات الآمرة بأدائهما والآمرة أيضاً بقضائهما مع فواتهما فهي كافية في إثبات الوجوب لهما. كما أن فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وإن كان فعله يدل على الاستحباب والوجوب بل على الأعم منهما، لكن بضميمة قوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعلم المسلمين مناسك الحج: خذوا عني مناسككم، هذا الأمر يمكن الاستفادة منه في أن نبعد الاستحباب المحتمل في فعل الرسول ونتمسك بالاحتمال الثاني وهو الوجوب فنقول: إن فعل الرسول وتأديته للركعتين بعد الطواف الواجب يدل على وجوبهما، إضافة إلى أن ذلك الإجماع على وجوبهما إجماع مدركي لا يعتمد عليه بل لا بد من العودة إلى المدرك نفسه.. فالآية تصلح لإثبات وجوب إيقاع الركعتين عند المقام لاوجوب الركعتين، وفرق بين وجوب الإيقاع ووجوب الركعتين.

هذا وإن الروايات الآمرة باتخاذ المقام مصلى كانت تستعين بالآية الكريمة )

(واتخذوا ...)

تعليلًا ودليلاً على وجوب اتخاذ المقام مصلى لا على وجوب الصلاة نفسها فعن:

١- أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس لأحد أن يصلي ركعتي طواف الفريضة إلا خلف المقام؛

لقول

اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: )

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ...)

فإن صليتهما في غيره فعليكم إعادة الصلاة.

٢- أبي عبد الله الأزرقي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسي فصلّي ركعتي طواف الفريضة في الحجر، قال: يعيدهما

خلف المقام،

لأن

اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ:

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

عني بذلك ركعتي طواف الفريضة.

٣- أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسي أن يصلي

ص: ١٠٣

الركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام في طواف الحج والعمرة، فقال: إن كان بالبلد صَلَّى ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: (

وَاتَّخَذُوا ...)

...

فالرويات التي تَصَمَّنَت الآية الكريمة (

وَاتَّخَذُوا ...)

يُستفاد منها في تعليل وجوب إيقاع الصلاة في المقام. كما أن الصلاة في المقام استناداً إلى أمر هذه الآية تكاد تكون مرتكزة في أذهان الناس. انظر أبا بصير حين يسأل الإمام عليه السلام:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسي أن يصلي ركعتي طواف الفريضة خلف المقام، وقد قال الله تعالى: (

وَاتَّخَذُوا من مقام إبراهيم مصلياً)

...

فحسب متابعتي للروايات لم أجد رواية استندت على الآية الكريمة (

وَاتَّخَذُوا ...)

إلْفى وجوب إيقاع الصلاة في المقام لاجوب الصلاة ذاتها. اللهم إلا أن يُقال - كما ذهب إليه البعض - إن الأمر باتخاذ المقام مصلياً،

يدل أيضاً على صلاة الطواف باعتبار عدم وجوب صلاة غيرها فيه وهذا لا يخلو من تأمل.

فالذي يظهر أن وجوب صلاة الطواف يتم من خارج الآية؛ من الروايات والسنة النبوية قولاً وفعلاً لا من الآية نفسها.

وقد استفاد ابن العربي في أحكام القرآن أربعة أمور في قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للآية (

وَاتَّخَذُوا ...)

ومن صلاته عند المقام وهي: أن ذلك الموضع هو المقام المراد من الآية، وأنه بين الصلاة وأنها المتضمنة للركوع والسجود لا مطلق

الدعاء. وأنه عَرَفَ وقت الصلاة فيه وهو عقب الطواف،

وأنه أوضح أن ركعتي

الطواف واجبتان ... فهذه الاستفادات الثلاث ممّا فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

### أدلة إيقاع صلاة الطواف عند المقام

أدلة إيقاع صلاة الطواف عند المقام

كما هو معروف عند الفريقين أن للطواف ركعتين (صلاة الطواف) تكون واجبة إن كان الطواف واجباً، ومستحبة إن كان الطواف

مستحبةً، وقد أقام كلا

ص: ١٠٤

الفريقين أدلتهما على ذلك، ولكن الذى يعيننا فى هذا الصدد هو أدلتهما على إيقاعهما عند المقام، فالإمامية قالوا: إن من لوازم الطواف أن تؤدى ركعتاه خلف مقام إبراهيم عليه السلام ووجوب ذلك قد اشتهر بين فقهاءهم وإن خالف الشيخ الطوسى فى الخلاف وقال: يستحب أن يصلّى الركعتين خلف المقام، فإن لم يفعل وفعل فى غيره أجزأه ...  
وقد ساق فقهاء الإمامية أدلتهم التالّية على وجوب أداء الركعتين خلف المقام أو عنده:

١- آية )

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

ف فعل الأمر )

اتخذوا)

ظاهر فى الوجوب، حيث إن الأمر للوجوب - بلا خلاف - فى القرآن العزيز إلامع قيام قرينه على خلافه.

٢- التأسى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القائل: خذوا عني مناسككم، وقد أدى الركعتين خلف المقام. وقد يرد على هذا أن فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعم من الوجوب والاستحباب. وقلنا يمكن أن نعد الاستحباب بدليل أن فعله اقترن بقوله ( اتخذوا .. )

وأنه كان بصدد تعليمهم المناسك ...

٣- روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام التى منها: صحيحة معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام القائلة: إذا فرغت من طوافك، فأت المقام فصل ركعتين واجعله أماماً وقرأ ... (١).

### مكان الطواف عند الفرق الإسلامية

مكان الطواف عند الفرق الإسلامية

اتفقت كلمتا الفريقين على وجوب الطواف واختلفت فى المطاف فى حدوده، فذهبت الإمامية كما يبدو إلى أن الطواف يجب إيقاعه بين المقام والبيت، ولا يصح تجاوز المقام إلّا عند الضرورة وعلى هذا قامت أدلتهم، التى منها روايات أهل

ص: ١٠٥

البيت عليهم السلام. فيما راحت الفرق الإسلامية الأخرى إلى أن الطواف يصح في داخل المسجد حول البيت، وليس هناك خصوصية للمقام في طوافهم كما هي عند الإمامية نعم القرب من البيت عندهم معتبر شريطة عدم الزحام وعدم التأذى، هذا فيما يخص الرجال والصبيان، أما النساء فيسنّ عدم القرب صيانةً لهنّ (١).

الحنفية قالت في مكان الطواف: أن يقع حول البيت في المسجد لقوله تعالى: ( وليطوفوا بالبيت العتيق)

والطواف بالبيت هو الطواف حوله ...

المالكية: أن يطوف بداخل المسجد فلا يجزئ خارجه.

الشافعية: أن يكون الطواف داخل المسجد للاتباع فلا يصح حوله بالإجماع ويصح داخل المسجد وإن وسّع.

الحنابلة: كون الطواف في المسجد شرط بالاتفاق (٢).

هذه خلاصة ما ورد، المهم لم يرد ذكرٌ للمقام عندهم.

### مكان صلاة الطواف عند باقى الفرق الإسلامية

مكان صلاة الطواف عند باقى الفرق الإسلامية

تراوحت كلمة الفرق الإسلامية حول صلاة الطواف بين وجوبها كما عند المالكية والحنفية، واستحبها كما ذهب إلى ذلك كلٌّ من الشافعية والحنابلة.

يقول الزحيلي في خلاصة آراء الفقهاء في شروط الطواف ... (١٠) صلاة ركعتي الطواف: واجب عند المالكية، وواجب في وقت مباح فيه الصلاة لا كراهة فيه، كلّ اسبوع، عند الحنفية. وسنة عند الشافعية والحنابلة (٣). وأما في مكان هذه الصلاة سواء في حالة وجوبها أو في حالة استحبابها هناك قول للشافعية:

والأفضل صلاتهما خلف المقام، وأما الحنفية فقد ذكروا لهذه الركعتين أماكن فقالوا: ويستحب أدائهما خلف المقام ثم في ... (٤) هذا فيما يخص آراء فقهاءهم. أما فيما يخص الروايات فقد وردت عدّة

١-١ الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ١: ٦٥٥-٦٥٨.

٢-٢ الفقه الإسلامي - للزحيلي ٣: ١٥٣-١٦٢.

٣-٣ ١٦٢ / ٣٣ الفقه الإسلامي وأدلته - الزحيلي.

٤-٤ ١٤ / ١٦٥٦-٦٥٨ الفقه عند المذاهب الأربعة - الجزيري.



ص: ١٠٦

روايات عنهم تصرح بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدى تلك الصلاة عند مقام إبراهيم وهو يقرأ الآية. قال جابر .... ثم تقدم صلى الله عليه وآله وسلم إلى مقام إبراهيم فقرأ: (

وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى

فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ (١).

الترمذى: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة دخل المسجد ... ثم أتى المقام فقال:

(وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)

فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت ...

يقول صاحب التاج في الهامش (المقام: المكان الذي كان يقوم فيه إبراهيم عليه السلام حينما بنى الكعبة) (٢).

حدثنا عمرو بن دينار قال: سمعت ابن عمر يقول: قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فطاف بالبيت سبعا، وصلى خلف المقام ركعتين ثم خرج إلى الصفا، وقد قال الله تعالى:

(ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٣).

### ما يجب أن يكون عليه الطواف في الفتاوى

ما يجب أن يكون عليه الطواف في الفتاوى

قال السيد الإمام قدس سره: أن يكون الطواف بين البيت ومقام إبراهيم عليه السلام ومقدار الفصل بينهما في سائر الجوانب، فلا يزيد عنه، وقالوا: إن الفصل بينهما ستة وعشرون ذراعاً ونصف الذراع، فلا بد أن لا يكون الطواف في جميع الأطراف زائداً على هذا المقدار. وفي مسألة ثانية يقول: لا يجوز جعل مقام إبراهيم داخلًا في طوافه، فلو أدخله بطل، ولو أدخله في بعض أعاد ذلك البعض، والأحوط إعادة الطواف بعد إتمام دوره بإخراجه.

أما في صلاة الطواف فيقول:

يجب بعد الطواف صلاة (ركعتين له) ... ويجب أن تكون الصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام، والأحوط وجوباً كونها خلفه، وكلما قرب إليه أفضل، لكن لا بحيث

١-١ صحيح سنن المصطفى، ص ٢٩٩ جمع أبي داود.

٢-٢ التاج الجامع ٢: ١٢٨.

٣-٣ البخارى ٢: ٥٨٨، باب من صلى ركعتي الطواف خلف المقام.

ص: ١٠٧

يزاحم الناس، ولو تعذر الخلف للازدحام أتى عنده من اليمين أو اليسار، ولولم يمكنه أن يصلّي عنده يختار الأقرب من الجانبين والخلف، ومع التساوى يختار الخلف، ...

أمّا السيد السبزواري قدس سره فيقول: أن يكون الطواف بين الكعبة المشرفة ومقام إبراهيم عليه السلام مع الإمكان. وفي الصلاة يقول: والأحوط وجوباً إتيانها خلف مقام إبراهيم مع الإمكان بما يصدق أنه خلفه، ومع عدم الإمكان فيصلّي في الأقرب ثمّ الأقرب.

### وقفه قصيرة مع «وافقت ربي!»

وقفه قصيرة مع «وافقت ربي!»

ذكر في سبب نزول )

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى

ما رواه البخاري وغيره عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: )

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى

... (١).

أكتفى بما يخصّ موضوعنا من تلك الفقرات الثلاث وهو الصلاة عند مقام إبراهيم لأبين باختصار أن مثل هذا الادعاء لا يصح أبداً وهو مردود- حتى على فرض صحّة سند الرواية فكيف والسند فيه ما فيه- لأسباب منها:

١- حتى لو أنّ الصلاة- دعاء كانت أو بأى شكل كانت تؤدي- لم تكن من مناسك الحجّ التي بيّنها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، فإنّ هذا الإدعاء باطل؛ لأنّ الأحكام الشرعية ومن ضمنها مناسك الحجّ التي شرعها الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتي منها ركعتا الطواف عند مقام إبراهيم أحكام تمّت صياغتها من قبل الله تعالى وفق ملاكاتها الخاصّة ولا تجرى وفق رغبات وأهواء أشخاص، وكم هو خطير مثل هذا المنحى أن تجرى الأحكام والقوانين وتصاغ وفق ما تقتضيه رغبات فرد أو أفراد، ومثل هذا لا يصحّ في سنّ القوانين والانظمة

ص: ١٠٨

الوضعية التي ينأى أصحابها جهد إمكانهم عن مثل هذا المنحى والنهج. فما بالك بالله تعالى خالق كل شيء حيث سنّ لمخلوقاته أنظمتها وتشريعات وأحكاماً وفق معرفته الدقيقة بما يصلحها، وهو ليس بحاجة إلى أن ينتظر فلاناً يشتهي شيئاً فينزل فيه قرآناً، ويشرع وفق رغبته حكماً يلزم الناس جميعاً بالامتثال له، أو يتوقف عن التشريع أو لا يلتفت - معاذ الله - إلى حكم مادام فلان لم يرغب أو يصرح بما يجب.

هذا لو قلنا: إن صلاة الطواف لم يشرع فيها حكم ولم تكن من مناسك الحج الإبراهيمي، فكيف يكون الأمر إذا عرفنا أن مناسك الحج ومن ضمنها هذه الصلاة سنّت في عهد إبراهيم عليه السلام؟!

٢- ليس من المعقول أن إبراهيم يؤذن بالحجّ تلبيةً لأمر الله تعالى دون أن يعرف معنى مضامين الحجّ ومناسكه، التي عليه أن يبلغ الناس بها ويعلمهم.

فلا بدّ في الرتبة السابقة أن يعرف تفصيلاً هذه المناسك (المواضع والأفعال).

والآية التالية التي تحكى دعاء إبراهيم وإسماعيل .)

.. وأرنا مناسكنا ... (١) خير بيان لما نقول. فهذا صاحب التفسير الكبير الرازي يقول في هذه الآية:

في أرنا قولان:

الأول

: معناه علمنا شرائع حجّنا إذ أمرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو الناس إلى حجّه، فعلمنا شرائعه وما ينبغي لنا أن نأتيه فيه من عمل وقول ... الثاني:

أظهرها لأعيننا حتى نراها ... قال الحسن: إن جبريل عليه السلام أرى إبراهيم المناسك كلّها حتى بلغ عرفات، فقال: يا إبراهيم أعرفت ما أريتك من المناسك؟ قال: نعم ...

وهذان هما القولان المعتبران عند الرازي حيث يقول: فمن قال بالقول الثاني قال: إن المناسك هي المواقع والمواضع التي يقام فيها شرائع الحجّ كمنى وعرفات والمزدلفة ونحوها، ومن قال بالأول قال: إن المناسك هي أعمال الحجّ كالطواف

ص: ١٠٩

والسعى والوقوف (١) ... وعن قتاده فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات ومن جمع ورمى الجمار حتى أكمل بها الدين (٢).

٣- ... أخبرني محمد بن إسحاق قال: لَمَّا فرغ إبراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام جاءه جبريل فقال: طف به سبعا فطاف به سبعا هو وإسماعيل ...، فلَمَّا أكمل سبعا هو وإسماعيل صليا خلف المقام ركعتين

. قال: فقام معه جبريل فأراه المناسك كلها ... ثم أمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج ..

٤- قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع: (خذوا عني مناسككم لعلي لألقاكم بعد عامي هذا) فبين لهم صلى الله عليه وآله وسلم المناسك مواضع وأفعالا ولم يترك منها شيئا فمضى بينها لهم واحدة واحدة وهم يقتدون به.

٥- الرواية المنسوبة إلى جابر، فقد قال ابن جريج: أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه، أنه سمع جابر بن عبد الله يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما طاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبيت، ذهب إلى المقام، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)

وصلى ركعتين. وهناك غيرها من الروايات المشابهة (٣).

٦- رواية الترمذي: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة دخل المسجد فاستلم الحجر ثم مضى عن يمينه (جعل البيت عن يساره) فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم أتى المقام فقال: (

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٤) ... وهناك من يقول: صلاهما وتلا قوله تعالى (

واتخذوا ...)

أو أنها نزلت عليه حين فعلهما (٥).

٧- قراءة من قرأ الآية: (

واتخذوا ...)

فعلا ماضيا وهم نافع وابن عامر والذماري وشريح (٦). فهذه القراءة على فرض صحتها تحكي حالة كانت معروفة وموجودة عندهم، كانوا يتخذون من المقام مصلى. فليس اتخاذا المقام مصلى حالة وجدت تحقيقا لرغبة طارئة.

١- ١ الرازي في تفسير الآية ١: ٤٨-٤٩-٧٠.

٢- ٢ مجمع البيان ١: ٣٩٣.

٣- ٣ اخبار مكة للأزرقي ٢: ١١٥.

٤- ٤ التاج الجامع، الطواف.

٥- ٥ الجواهر ١٩: ٣٠١.

٦- ٦ معجم القراءات: ١١١.

ص: ١١٠

فهذه الأسباب هي التي تحضرني الآن وقد يكون هناك غيرها تبين بطلان القول المنسوب إلى عمر بن الخطاب في أن الصلاة في المقام جاءت تلبية لرغبته أو موافقه لها.

## المكافآت

### فيه آيات بينات مقام إبراهيم

(فيه آيات بينات مقام إبراهيم)

في وادي مكة الذي وصفته السماء بأنه (

غير ذي زرع)

، كانت المكافآت ثمينه وعظيمه تتناسب وعظمه وخطوره الابتلاء الذي اجتازه شيخ الأنبياء وأهله بجداره فائقه، حيث واصل هذا الشيخ الجليل تنفيذ أوامر الله تعالى دون كلل أو ضجر أو ملل ولو على مستوى التصور، فضلاً عن التمرد أو العصيان فأثبت إبراهيم أنه العنوان الصادق للعبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى؛ لهذا كانت المكافآت المباركة وأولى هذه المكافآت شهادة الله له بالوفاء الكامل في الطاعة وفي الانقطاع إليه وفي الصبر على أوامر الابتلاء فقال فيه (و إبراهيم الذي وفى)

... وجاءت المكافآت الأخرى، التي منها هذه الصخرة- التي اعتلاها وارتقاها إبراهيم كى يتم بها قواعد البيت بعدما تطاول بناؤه- أن تكون آية له على مد الدهر، تنحنى عندها القلوب قبل الاعناق والأجسام داعية مستغفرة شاكرة سائلة الله التوبة والرضوان. قال صاحب الجامع اللطيف: اعلم أن لهذا البيت المعظم- زاده الله تشریفاً وتعظيماً- آيات كثيرة، وعجائب غزيرة تدل على شرفه وفضله، منها مقام إبراهيم.

عن ابن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل (فيه آيات بينات ...)

فما هذه الآيات البينات؟

ص: ١١١

قال عليه السلام: مقام إبراهيم عليه السلام حين قام عليه، فأثرت قدماه فيه، ...  
وإنما خصّ المقام بالذكر في القرآن (فيه آيات بينات مقام إبراهيم)

لأنه أظهر آياته للناس اليوم ولاشتماله على عدّة آيات منها: قوّة الدلالة على قدره الله ونبوّة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدميه في حجر صلد (١). ومنها حفظه من المشركين مع كثرة اعدائه. وإبقاؤه إلى مدّة من السنين ومدى الدهر (٢). وفي تعداده للآيات البينات قال صاحب منهاج الإحرام (٣): ... ومنها مقام إبراهيم عليه السلام وهو صخرة كان يقف عليها لبناء البيت، وعليها أثر قدميه غائصاً في تلك الصخرة، وخصّه الله بالذكر؛ لاشتماله على عدّة آيات تدلّ على قدره الله تعالى ونبوّة إبراهيم، لأنّ الأثر بعرض الصخور دون بعض آية، وبقاء الصخرة والأثر على مرور الأحقاب على رغم الملحدين آية.

وعن أبي سعيد الخدرى قال: سألت عبد الله بن سلام عن الأثر الذى فى المقام، فقال: كانت الحجارة على ما هى عليه اليوم إلّا أنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل المقام آية من آياته، فلما أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذّن فى الناس بالحجّ قام على المقام ... فقال: يا أيها الناس أحيوا ربكم، فأجابه الناس، فقالوا: ليبيك اللهم ليبيك، فكان أثر قدميه فيه لما أراد الله سبحانه (٤).

كما أنّ الشيخ يوسف صاحب الحدائق يقول فى كلام له عند ذكر هذه الآيه  
(فيه آيات بينات مقام إبراهيم ..)

بمعنى أن وجود هذا الحجر الذى قام عليه إبراهيم عليه السلام فى البيت من آياته عزّوجلّ لبااعتبار هذا المكان، وإلّا فهذا المكان حدّ للطواف وضع فيه الحجر أم لم يوضع، كما فى زمانه صلى الله عليه وآله وسلم حسبما دلّت عليه رواية محمّد بن مسلم. والمراد بكونه آية من حيث تأثير قدم إبراهيم عليه السلام فيه، فهو آية بينة وعلامة واضحة على قدرة الله تعالى. وبهذا أيضاً يصحّ أن يكون علماً كما ذكره عليه السلام ... وكان الشيخ يوضح مراد الإمام الحسين عليه السلام من كلمته عن المقام:

١-١ الوافى ١٢: ٧.

٢-٢ يراجع الجامع.

٣-٣ ص ٦١٢.

٤-٤ اخبار مكّة ٢: ٣٠.

ص: ١١٢

إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُ عَلَمًا... (١).

## الأذان

الأذان

مع اختلاف الأقوال في الموضوع الذي وقف عليه إبراهيم عليه السلام حين أمره الله تعالى بالأذان بالحج ( وأذن ... )

فبعض ذهب إلى أنه اتخذ من المقام نفسه مرتفعاً وقف عليه وأذن بالحج، حتى ذهب بعض إلى أن إبراهيم حين أمر بالأذان في الناس بالحج قام على المقام فارتفع به المقام حتى صار أطول من الجبال وأشرف على ماتحته، فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم ... في حين ذهب آخرون إلى القول: إن إبراهيم خليل الرحمن حين أمر بالأذان في الناس بالحج صعد على جبل أبي قبيس فأذن فوقه (٢). فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم، فقالوا لبيك اللهم لبيك ... (٣).

مع هذا الاختلاف إلّا أن الراجح هو أنه اتخذ من هذه الصخرة مكاناً يعلو عليه ليلى أمر ربّه ( وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ... ) (٤) فأعانتته تلك الصخرة- التي كانت صخرة لاكالصخور- لئن يُسمع صوته- الذي يجهر بدعوة الناس للحج وزيارة بيت الله الحرام- آذاناً جعلها الله بقدرته صاغية، وقلوباً صاغها الله برحمته فجعلها واعية، فكان صوته من على تلك الصخرة يتجاوز كل العقبات، ويتخطى كل المسافات؛ ليصل إلى تلك الفجاج البعيدة بل إلى تلك الأجيال التي لم تر النور بعد، فتأتى لتقف عند تلك الصخرة نفسها فتتذكر نداء الخليل فوقها، وتتحنن عن قرب نبراته التي قطعت الصحارى والوديان واجتازت الظلمات؛ لتصل إلى تلك الفطرة السليمة والقلوب المؤمنة ( ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ... وليطوفوا بالبيت العتيق ... ).

## وفي فضل المقام ورد أيضاً

١-١ الحدائق ١٦: ١١٥-١١٦.

٢-٢ أخبار مكة ٢: ٢٠٣

٣-٣ أخبار مكة ٢: ٢٩، والرواية عن المجاهد.

٤-٤ الحج / ٢٧.

ص: ١١٣

وفي فضل المقام ورد أيضاً

عن مجاهد: لا يمس المقام فإنه آية من آيات الله عز وجل. وعن ابن عباس:

ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة ولولا ما منسبهما من أهل الشرك ما منسبهما ذوعاهة إلا شفاه الله (١).

وفي مهذب الأحكام قال السيد السبزواري عند تعرضه للأماكن المقدسة التي يرتجى فيها زيادة الثواب ولها أحكام وآداب فقال: ... ومنها مقام إبراهيم:

ويكفيك اسمه عن بيان فضله، إذ أي مرتبة تتصور فوق مرتبة الخليل عند ربه الجليل الذي أفنى نفسه وأهله وماله في سبيل التوحيد وتشعير المشاعر العظام، وبناء الكعبة في بيت الله الحرام، فشكر الله تعالى بعض متاعبه بأن جعل النبوة في سلالته، والدين الحنيف الأبدى من طريقته وملمته ... (٢).

## أفضل مكان

أفضل مكان

من المكافآت التي منحها السماء لشيخ الأنبياء أن جعلت الصلاة (صلاة ركعتي الطواف) عند مقامه المبارك، وأنه ليس أفضل مكان من البيت تؤدي فيه الصلاة وخاصة ركعتي الطواف فحسب بل جعل أداء هاتين الركعتين واجباً لا تقبلًا في غير هذا المكان إلا للضرورة. عن داود الحضرمي قال: سألت أبا الحسن عن الصلاة بمكة في أي موضع أفضل؟ قال: عند مقام إبراهيم الأول، فإنه مقام إبراهيم وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم. وعنه عليه السلام: إن الله فضل الكعبة، وجعل بعضها أفضل من بعض، فقال: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

١-١ أخبار مكة ٢: ٢٩.

٢-٢ تهذيب الأحكام ١٤: ١١٥.



ص: ١١٤

الهوامش:

**الحرم المكي في مرآة الفقه**





ص: ١١٧

الحرم المكي في مرآة الفقه

عبد الكريم آل نجف

لعلّ من أبرز معالم عالمية الإسلام أنّه عنى بتقديم تصوّر جيوسياسى عن الانسان والأرض. فمن ناحية أساسية عبّر الإسلام والانسان بغض النظر عن جنسيته ووطنه موضوعه الوحيد، ولكن حينما تفاوتت الاستجابة من الانسان كان من الطبيعي أن يضع الإسلام أحكاماً تفصيلية بحسب درجات الاستجابة الانسانية لنداءاته، فهناك المشرك الذى اختار البقاء على شركه، وهناك الكتابى الذى آمن بالتوحيد ورفض التصديق بالإسلام، وهناك من آمن بالإسلام ديناً نهائياً للإنسان، وبين هؤلاء الثلاثة انقسم المجتمع الانسانى فى التصوّر الإسلامى إلى فئتين مشركة وأخرى كتابية وثالثة مسلمة. وعداً الفئتين الأولى للتوحيد جعلها محرومة من حقّ الحياة فهى مخيرة بين النطق بالشهادتين وبين القتل، وقبول الفئتين الثانية بأصل التوحيد أكسبها حقوقاً إنسانية فقط شريطة تبعيتها لراية الإسلام ودولته، واستعداد الفئتين الثالثة للاعتقاد بالإسلام أكسبها وحدها

ص: ١١٨

الحق السياسي على الأرض فلا سيادة شرعية لغير المسلم على وجه الكرة الأرضية، فالقاعدة الأساسية في الإنسان أنه خليفة الله في أرضه، وحيث لم يستجب الكتابي والمشرک لشروط هذه الخلافة؛ لذا انحصرت في المسلم دون غيره. هذا من جهة الإنسان ومن جهة الأرض عدّها الإسلام كذلك إقليمياً واحداً للإنسان فلا تفاوت بين شبر وآخر منها، ولا امتياز لبقعة على بقعة أخرى منها. ولكن الأرض بما هي أرض ليست أساساً للحقوق والامتيازات، والأساس الوحيد لذلك هو الدين والتوحيد، وهو الذي حرم المشرک من كل حق وأعطى الكتابي نصف حق مشروط، ومنح المسلم حقاً إنسانياً وسياسياً كاملاً، ومن هنا فمن الطبيعي أن تنقسم الأرض بين دار للإسلام ودار للكفر.

الأولى للمسلمين ومن يتبعهم من أهل الذمّة. والثانية تكون مغتصبه من قبل المشرکين وأعداء الرسالات ومن يتبعهم من الكتابيين. ولدار الإسلام عاصمته روية تحظى بامتيازات أدبية وروحية على ما سواها من بقاع الإسلام تتمثل بالجزيرة العربية ثم بالحرم المكي ثم بمكة نفسها. وهكذا فالإنسان في التصور الإسلامي هو الدائرة الكبيرة التي انقسمت الى جزء مشرک وآخر كتابي وثالث مسلم، والأرض هي الدائرة الكبيرة التي انقسمت الى دائرتين دائرة الإسلام ودائرة الكفر. وتكوّن دائرة الإسلام من أربع دوائر متداخلة مع بعضها دائرة كبيرة تشمل كل بلاد الإسلام، ودائرة صغيرة تشمل الجزيرة العربية، ودائرة أصغر خاصّة بالحرم المكي، ودائرة أصغر تختص بمكة التي تمثّل القلب للإسلام.

وفي دراستنا هذه لا نريد أن ندرس دوائر الإنسان، بل نقتصر على بعض الأرض في التصور الإسلامي، وهي الدوائر الداخلية الثلاث التي تمثّل عاصمته التوحيد في الأرض وهي الحرم المكي، ومكة. والجزيرة العربية. فقد أعطى الإسلام لهذه الدوائر أحكاماً خاصّة، وشيّد لها مكانه متميّزة كرمز تاريخي

ص: ١١٩

يحكى انبثاق الحضارة الإسلامية من القطب ذي الثنائية العجيبة الدين والسياسة، وذلك حينما تحوّلت العبادة المكية إلى دولة نبوية. ولذا فحينما نقول إن الجزيرة العربية هي عاصمة التوحيد لا نحتاج إلى التفريق بين العاصمة الروحية والسياسية. وأهمية هذه الزاوية من البحث تنبع من قابليتها على تسليط أضواء كافية على جوانب مغمورة من الفقه السياسي بنحو عام ومما يصطلح عليه بالحج السياسي، بنحو خاص. وبإمكان الباحث أن يخوضها بمستويات ثلاثة.

١- مستوى عرض آراء فقهاء ونصوص الإمامية فقط.

٢- مستوى عرض مقارن لآراء ونصوص المذاهب الإسلامية كافة.

٣- مستوى الاستدلال والعرض المقارن.

ومن الطبيعي أن المستوى الثالث هو الأكمل، ولكن حيث لا تسع الفرصة له ولا للذي قبله؛ لذا نكتفي بالبحث على المستوى الأول. وستتناول في هذه الدراسة

١- أحكام الحرم المكي.

٢- أحكام مكة.

٣- أحكام المدينة.

٤- أحكام الجزيرة العربية.

ومعلوم أن الأحكام المقصودة هي تلك التي ينظر فيها الشارع إلى البقعة المقصودة بما هي أرض فلا تتعرض للأحكام ذات العلاقة بالحج ومناسكه.

## حدود الحرم المكي

حدود الحرم المكي

الحرم المكي هو ما أحاط بمكة من جميع جهاتها، تعرض الفقهاء لبيان

ص: ١٢٠

حدود الحرم المكي نظراً لما يترتب على ذلك من أحكام، فذكر ابن البراج الطرابلسي «ت ٤٨١ هـ» في المهذب ان «حدّ الحرم من جهة المدينة على ثلاثة أميال ومن طريق اليمن على سبعة أميال ومن طريق العراق على سبعة أميال ومن طريق جدّه على عشرة أميال ومن طريق الطائف على عرفة أحد عشر ميلاً من بطن نمرة» (١) وهو ما اختاره الجغرافي ابن رسته في كتابه الأعلام النفيسة على ما نقله السيد الحكيم في المستمسك عنه (٢)، ونقله الشيخ محمّد حسن النجفي في الجواهر عن السروجي أحد أعلام الشيعة (٣) أيضاً، واستقرت كلمة أعلام المذاهب على ما نقله الحرّ العاملي في الوسائل عن التهذيب للشيخ الطوسي بسند ينتهي إلى زارة أنه قال «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول حرّم الله حرمة بريداً في بريد أن يختلي خلاه ويعضد شجره ... الخ» (٤).

وأورد الشيخ الصدوق «ت ٣٨١» في علل الشرائع خبراً عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال «إنّ الله تعالى لما أهبط آدم من الجنة أهبطه على أبي قبيس فشكى إلى ربّه عزّ وجلّ الوحشة، وأنّه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة فأهبط الله تعالى عليه ياقوته حمراء فوضعها في موضع البيت، فكان يطوف بها آدم عليه السلام وكان ضوؤها يبلغ موضع الأعلام فعلمت الأعلام على ضوئها فجعله الله عزّ وجلّ مرماً» (٥).

وعن صفوان بن يحيى قال سئل الحسن عليه السلام عن الحرم وأعلامه فقال «انّ آدم عليه السلام لما هبط من الجنة هبط على أبي قبيس والناس يقولون بالهند فشكى إلى ربّه الوحشة وأنّه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة فأهبط الله تعالى عليه ياقوته حمراء فوضعها في موضع البيت فكان يطوف بها آدم عليه السلام وكان يبلغ ضوؤها الأعلام فعلمت الأعلام على ضوئها فجعله الله عزّ وجلّ حرماً» (٦) وفي جواهر الكلام أن العلامة الحلي «ت ٧٢٦» جعل في كتابه المنتهى حدّ الحرم الذي لا

١-١ مرواريد. علي أصغر. الينابيع الفقهية. ج ٧. ص ٣٢٤.

٢-٢ الحكيم. محسن. المستمسك. ج ١١، ص ٢٨٧.

٣-٣ النجفي. محمد حسن. جواهر الكلام. ج ٢٠، ص ٣٠٣.

٤-٤ الحرّ العاملي. محمّد بن الحسن. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٥٥٥.

٥-٥ الصدوق. محمّد بن علي. علل الشرائع. ص ٤٢٠-٤٢٢.

٦-٦ الصدوق. محمّد بن علي. علل الشرائع. ص ٤٢٠-٤٢٢.

ص: ١٢١

يجوز قتل صيده ولا قطع شجره بريداً في بريد، وأنَّ الشهيد الثاني «ت ٩٦٦» اختار ذلك في المسالك. ثم علق صاحب الجواهر قائلاً: «وعلى كل حال فالظاهر أنَّ التحديد المزبور هو المروى عن أئمة الهدى عليهم السلام. وأفتى به علماؤنا».

ثم نقل آراء علماء السنَّة واختلافهم في ذلك، ثم علق قائلاً «قلت: المدار الآن على النصب المعلومة المأخوذة يداً عن يد إلى أهل بيت الوحي عليهم السلام» (١) وفي المستمسك أنَّ تحديد الحرم بما يكون مجموعته بريداً في بريد طبقاً لموثقة عبد الله ابن بكير عن زرارة لا إشكال فيه، ونقل عن كشف اللثام أنَّه لا خلاف فيه. ثم قال: «وقد أطال في كشف اللثام والجواهر في نقل كلمات من تعرَّض لذكر مسافة الحرم من الجهات المحيطة بمكة، وليس بمهم بعد وضع العلامات على الحدود بنحو صارت معلومة..» (٢) ونقل في الفقه على المذاهب الخمسة عن «فقه السنَّة» أنَّ حدَّ الحرم المكي نُصبت عليه أعلام من جهات خمس، وهي أحجار مرتفعة قدر متر منصوبة من جانبي كلِّ طريق فمن جهة الشمال مكان يدعى التنعيم وبينه وبين مكة ٦ كم، ومن الجنوب اضاءة لبن وبين مكة ١٢ كم ومن جهة الشرق الجعرانة بينها وبين مكة ١٦ كم ومن جهة الغرب الشمسي وبينه وبين مكة ١٥ كم (٣) ولكن الظاهر من الموثقة أنَّ الحرم مربع الشكل بحيث يكون طوله بريداً وعرضه بريداً أي أربعة فراسخ في أربعة فراسخ وهذا ما يخالف النصب المعلومة التي لا تحيط بمكة بصورة المربع. ولذا فسير صاحب المستمسك الموثقة بأنَّ المراد منها «تقدير المساحة بحيث لو جمعت تلك المساحة وكانت بشكل مربع كان طولها بريداً وعرضها بريداً» (٤) وتشير النصوص الواردة عن الأئمة عليهم السلام إلى وجود حرم آخر يحيط بالحرم المكي وأنَّه على مسافة بريد من نهاية الحرم المكي من كلِّ الجهات وهو ما يسمَّى بحرم الحرم وله أحكامه الخاصَّة أيضاً.

## الحرم الآمن

### إشارة

- ١- النجفي. محمَّد حسن. جواهر الكلام. ج ٢٠، ص ٣٠٣.
- ٢- الحكيم. محسن. المستمسك. ج ١١، ص ٢٨٧.
- ٣- مغنية. محمَّد جواد. الفقه على المذاهب الخمسة. ص ٢٢٦.
- ٤- الحكيم. محسن. المستمسك. ج ١١. ص ٢٨٧.



ص: ١٢٢

الحرم الآمن

يُعدّ الأمن أبرز خصائص الحرم المكي، بل هو الأساس في حمله هذا العنوان، فإنّ معنى الحرم مأخوذ من إعطاء مكان ما حُرمة بحيث تُمنع فيه بعض الأعمال الجائزة في نفسها، وتراعى فيه بعض الآداب التي لا تراعى في مكان آخر. قال تعالى: (

إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة الذي حرّمها) (١). (وإذ

قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمناً واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) (٢). (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) (٣). (فيه آيات بينات

مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) (٤).

والتحريم الوارد في هذه الآيات وإن كان خاصاً بالمسجد الحرام، «وبمكة فقط»، إلّا أنّ نصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة، قد وسّعت ذلك إلى ما تحيط به المواقيت، كما تبين لنا من قبل. وتحريم بعض المباحات في هذه المنطقة يُعدّ بنفسه دليلاً لتأكيد حرمة المحرّمات، وعندما يتقرّر على الباحث أن يدرس نظرية الأمن والسلام في الإسلام فلا بدّ من أن يجعل عناية الإسلام بمنطقة تساوى من حيث المساحة ١٤٤ ميلاً مربعاً وهي منطقة الحرم المكي، التي تمثّل قلب التوحيد ومنبع الأديان السماوية، واعتبارها منطقة آمنة تحرّم فيها كلّ الممارسات المخلّعة - المشروعة وغير المشروعة - بحياة كلّ كائن حي - إنسان، حيوان، نبات - بل بحياة الكائنات الشبيهة بالكائنات الحيّة - شجر، ظفر، أن يجعل ذلك ركناً من أركان تلك النظرية.

لقد دعا إبراهيم عليه السلام أن يجعل الله مكة حراماً آمناً، وهو في أوّل مجيئه إليها، لأنّ الحياة لا تستقيم إلّا مع الأمن، والمدن لا تعمّر إلّا مع السلم وشيوع الاطمئنان. وقد استجاب الله سبحانه دعاء إبراهيم فجعل مكة حراماً آمناً، وتفزع على ذلك جملة من الأحكام والخصائص هي!

## ١- حرمة القتال في الحرم

١-١ النمل / ٩١.

٢-٢ إبراهيم / ٣٥.

٣-٣ التين / ١-٣.

٤-٤ آل عمران / ٩٧.

ص: ١٢٣

## ١- حرمة القتال فى الحرم

قال تعالى: (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) (١). يُفهم من هذه الآية حرمة البدء بالقتال فى المسجد الحرام. وهذا هو أحد القولين فى المسألة، والقول الثانى هو جواز ذلك وأن الآية منسوخة.

قال الراوندى «ت ٥٧٣هـ» فى فقه القرآن «.. وقيل: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ناسخة للآية الأولى التى تضمنت النهى عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدأوا بالقتال؛ لأنه أوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا فى الإسلام «حيث ثقفتموهم» أى حيث وجدتموهم فى حلّ أو حرم وقوله تعالى: (من حيث أخرجوكم)

أى من مكة وقد فعل رسول الله لمن لم يسلم منه يوم الفتح» وقال قتادة القتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله تعالى:

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)

وقوله تعالى: (فاقتلوا المشركين)

وقال عطاء هو باقى على التحريم .... أما فى الحرم فلا يبدأ بقتال أحد من الكفار كائناً من كان ..» (٢).

وقال المحقق الحلى «ت ٦٧٦هـ» فى الشرائع «ويجوز القتال فى الحرم وقد كان محرماً فُنسخ» وفى الجامع للشرائع لأبى زكريا يحيى بن أحمد الهذلى «ت ٦٨٩هـ» «ويقاتل بمن شاء وأين شاء إلا الحرم إلا أن يبدأ فيه بقتال ..» (٣).

وفى مسالك الإفهام تابع الشهيد الثانى رأى المحقق الحلى فيها (٤).

وتابع أيضاً صاحب الجواهر المحقق الحلى فى رأيه فقال «كان الجهاد سائغاً فى جميع البقاع إلا الحرم فإن الابتداء بالقتال فيه كان محرماً لقوله تعالى: (

ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ....)

أما تحريم القتال فى المسجد الحرام فإنه منسوخ أى بقوله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)

ومن

١- ١ سورة البقرة/ ١٩١.

٢- ٢ مرواريد. على أصغر. الينابيع الفقهية. ج ٩، ص ١١٨.

٣- ٣ المصدر السابق. ص ٢٣٥.

٤- ٤ النجفى، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ١١، ص ٣٠٣.

ص: ١٢٤

ذلك يعلم الوجه في قول المصنّف: ويجوز القتال في الحرم وقد كان محرّماً فُنسخ بالآية المزبورة بل وبقوله تعالى: ( واقتلوهم حيث ثقتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتّى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين )  
 . قال في الكنز هذه الآية ناسخة لكل آية فيها أمر بالموادعة أو الكف عن القتال كقوله تعالى: ( ودع أذاهم )  
 وقوله (

ولكم دينكم ولي دين)

وأمثاله لأنّ حيث للمكان أى فى أى مكان أدركتموهم من حلّ أو حرم، وكان القتال فى الحرم محرّماً ثم نسخ بهذه الآية وأمثالها فصدرها ناسخ لعجزها» (١).

ويُفهم من هذا العرض أنّ القول بالجواز اعتماداً على نسخ آية التحريم كان أحد القولين فى المسألة إلى زمان المحقّق الحلّي فى القرن السابع، ثم اشتهر وذاع بعد ذلك وربّما كان الأساس فى شهرته اختيار المحقّق له. وأخيراً ردّ السيّد أبو القاسم الخوئى هذا القول واختار القول بالتحريم. فقد كتب يقول «يحرم قتال الكفّار فى الحرم إلّا أن يبدأ الكفّار بالقتال فيه فعندئذٍ يجوز قتالهم فيه ويدلّ عليه قوله تعالى: (

ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ... ) (٢). وقد اعتمد فى رأيه هذا على نظريته فى النسخ التى ردّ فيها أكثر ادّعاءات النسخ.

حيث استعرض فى كتابه البيان فى تفسير القرآن الأقوال فى ٣٦ آية ادّعى حصول النسخ فيها، فردّ كلّ تلك الادّعاءات ولم يقبل إلّا بنسخ آية النجوى.

ومن الآيات التى ناقش دعوى النسخ فيها آية تحريم القتال فى المسجد الحرام فقد نقل عن أبى جعفر النخاس فى كتابه الناسخ والمنسوخ أنّ أكثر أهل النظر على هذا القول: إنّ الآية منسوخة وإنّ المشركين يقاتلون فى الحرم وغيره، ونسب القول بالنسخ إلى قتادة أيضاً، وردّ عليه قائلاً «والحقّ أنّ الآية مُحكّمة ليست منسوخة فإنّ ناسخ الآية إن كان هو قوله تعالى: ( فاقتلوا المشركين حيث

١- ١ الجبى العاملى؛ زين الدين؛ مسالك الإفهام: ج ٣، ص ١٦.

٢- ٢ الخوئى، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج ١، ص ٣٦٩، ط ٢٨.

ص: ١٢٥

وجدتموهم)

فهذا القول ظاهر البطلان؛ لأن الآيه الأولى خاصية، والخاص يكون قرينه على بيان المراد من العام وإن علم تقدمه عليه فى الورود، فكيف إذا لم يعلم ذلك؟ وعلى هذا فيختص قتال المشركين بغير الحرم إلا أن يكونوا هم المبتدئين بالقتال فيه فيجوز قتالهم فيه حينئذ، وإن استندوا فى نسخ الآيه إلى الرواية القائلة: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر بقتل ابن خطل وقد كان متعلقاً بأستار الكعبة فهو باطل أيضاً أولاً؛ لأنه خبر واحد لا يثبت به النسخ. ثانياً: لا دلالة فيه على النسخ. فإنهم رووا فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إنها لم تحل لأحد قبلى، وإنما أحلت لى ساعة من نهارها»، وصریح هذه الرواية أن ذلك من خصائص النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلا وجه للقول بنسخ الآيه إلا المتابعة لفتاوى جماعة من الفقهاء والآيه حجة عليهم» (١) ويفهم من تقييد تحريم القتال فى الحرم بقيد كون الطرف الآخر من الكفار، إن هذا التحريم لا يشمل البغاة، وإن مبادرة البغاة بالقتال فى الحرم أمر جائز. ومما يؤكد ذلك ويشرحه قوله قدس سره قبل عدة أسطر من الصفحة نفسها حيث أفتى بجواز قتال الطائفة الباغية فى الأشهر الحرم معللاً ذلك بأن «الآيه الدالة على حرمة القتال فى الأشهر الحرم تنصرف عن القتال المذكور حيث إنه لدفع البغى وليس من القتال الابتدائى كى يكون مشمولاً للآيه».

وقد تنطلق هنا بادرة للتأويل العلمى فى هذا الرأى؛ وهى أن الاستفادة من النصوص القرآنية وغيرها ان الكفر والبغى سببان تامان لإيجاب القتال. وأن الحرم المكى والأشهر الحرم سببان تامان لتحريمه. والتحريم منصب على القتال بما هو قتال لا على نوع منه؛ لأن القتال بما هو قتال لا يتناسب مع حرمة الحرم وحرمة الأشهر الحرم. والتفكيك بين الكفر والبغى بتحريم مقاتلة الكفار، وإباحة مقاتلة الباغين فى الحرم والأشهر الحرم بدعوى انصراف آيه التحريم إلى الجهاد الابتدائى وعدم شمولها لقتال الباغين أمر قابل للدفع من جهة دعوى الانصراف

ص: ١٢٦

في الآية. إذ لا مجال لهذه الدعوى مع تأكد وصف الحرمه في الحرم المكي والأشهر الحرم في ست آيات من القرآن (١) عدا ما ورد فيها من السنه، وإطلاق هذه الحرمه وعدم تقييدها بقتال دون آخر يمنع من حصل الانصراف المدعى. ويجعل الجهاد الابتدائي المذكور في الآيات القرآنيه دون سواه مصداقاً من مصاديق القتال المحرم في الزمان والمكان المذكورين. واقتران التحريم في القرآن بهذا النوع من القتال لا يوجب انحصار الحكم به والانصراف عن غيره؛ لأن مناسبات الحكم والموضوع تفيد أن لا مدخليه لوصف الكفر في التحريم حتى يحكم بتقييد حكم تحريم القتال بحاله القتال مع الكفار دون سواهم. والمدخليه كل المدخليه للزمان والمكان المذكورين والموصوفين بالحرمه بنحو مطلق. ولعل القرآن نفسه لا يسمح بالانصراف المدعى، ويؤكد على إطلاق التحريم وشموله لكل قتال، ففي سورة التوبه نقرأ قوله تعالى: (

إنما النسيء زياده في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدّه ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) (٢). فهذه الآية تشنّ حمله شديده ضدّ عرب الجاهليه الذين يتلاعبون بالأشهر الحرم فيقدّمون ويؤخّرون ما شاءوا من الشهور حتى يتخلّصوا من حرمه الأشهر الحرم، مع أن القتال الذي تتحدّث عنه الآية ليس من الجهاد الابتدائي ولا من القتال المشروع أصلاً بل من القتال القبلي الجاهلي. فيفهم أن التحريم قد انصبّ على أصل القتال لاعلى نوع منه. واستمراراً لهذا الحكم دلّت النصوص على كراهه إظهار السلاح في الحرم.

ففي الوسائل عقد الحرّ العاملي باباً سمّاه «باب كراهه إظهار السلاح بمكّه والحرم» أورد فيه ثلاث روايات فمنها روايه ينتهي سندها إلى حريز عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال «لا ينبغي أن يدخل الحرم بسلاح إلّا أن يدخله في جوالق أو يُعّيبه» ومنها خبر عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لا تخرّجوا بالسيوف إلى الحرم» (٣).

## ٢- حكم الجاني في الحرم

### أ- حدّ الجاني

١- ١ هي ٣٧/ التوبه، ٩/ التوبه، ٣٦/ التوبه، ٦٧/ العنكبوت، ١٩٤/ البقره، ٩١/ النمل.

٢- ٢ التوبه/ ٣٧.

٣- ٣ الحرّ العاملي. محمّد بن الحسن. الوسائل: ج ١٣، ص ٢٥٦، ط مؤسسه آل البيت.

ص: ١٢٧

## ٢- حكم الجاني في الحرم

يختلف حكم الجاني في الحرم عن حكمه في مكان آخر، وهنا ثلاث جهات للبحث:-

أ- حدّ الجاني:

اتّفتت كلمه فقهاء الإمامية قديماً وحديثاً على أنّ من أحدث جناية في غير الحرم المكيّ ثمّ التجأ إلى الحرم لم يُقم عليه الحد فيه بل يُضيق عليه في المطعم والمشرب حتّى يخرج منه بذلك قال الشيخ المفيد «ت ٤١٣» في المقنعة (١) والشيخ الطوسي «ت ٤٦٠» في النهاية (٢). وابن البراج «ت ٤٨١ هـ» في المهذب (٣) وابن إدريس «ت ٥٩٨» في السرائر (٤) والمحقق الحلّي «ت ٦٧٦ هـ» في الشرائع والمختصر النافع (٥) والعلامة «ت ٧٢٦» في قواعد الأحكام (٦) والشيخ البحراني «ت ١١٨٦» في الحدائق (٧) والشيخ صاحب الجواهر (٨)، ومن المعاصرين السيّد أبو القاسم الخوئي (٩) ومستندهم في ذلك روايات منها صحيحة هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام «في الرجل يجنى في غير الحرم ثمّ يلجأ إلى الحرم؟ قال لا يُقام عليه الحد ولا يُطعم ولا يُسقى ولا يُكلم ولا يُبايع، فإذا فعل به ذلك يوشك أن يخرج فيُقام عليه الحد... الخ» (١٠).

ويلاحظ في هذه الرواية عدم وجود كلمة التضييق التي أوردها الفقهاء في عباراتهم؛ ولذا قال في الحدائق أنّ «لفظ التضييق لم يقع في شيء من روايات المسألة وقد فسّر التضييق بأنّ يُطعم ويُسقى ما لا يحتمله مثله عادة أو ما يسدّ الرمق ولا ريب أنّ كلا المعنيين مناسب للفظ التضييق، إلّا أنّه كما عرفت لا أثر له في النصوص، وإنّما ظاهرها عدم إطعامه وسقيه بالكليّة ولو مات جوعاً وعطشاً» (١١) وحاول صاحب الجواهر الانتصار للقائلين بالتضييق حينما قال: إنّ

١-١ مرواريد. على أصغر. الينابيع الفقهية: ج ٢٣، ص ٢٩.

٢-٢ المصدر نفسه. ص ٨٩.

٣-٣ المصدر نفسه. ص ١٤٩.

٤-٤ المصدر نفسه. ص ٢٣٤.

٥-٥ المصدر نفسه. ص ٣٦٣.

٦-٦ المصدر نفسه. ص ٤٠٥.

٧-٧ البحراني. يوسف. الحدائق: ج ١٧، ص ٣٤٤.

٨-٨ النجفي. محمّد حسن. الجواهر: ج ٢٠، ص ٤٧.

٩-٩ الخوئي. أبو القاسم. مباني تكملة المنهاج: ج ١، ص ٢١٦.

١٠-١٠ الحرّ العاملي. محمّد بن الحسن. الوسائل: ج ١١، ص ٥٩.

١١-١١ البحراني. يوسف. الحدائق: ج ١٧، ص ٣٤٤.

ص: ١٢٨

النصوص «وإن لم تكن مشتملة على لفظ التضييق المزبور لكن يمكن إرادته منها ولو بمعونة الفتاوى ومراعاة بعض العمومات بل الأولى تفسيره بما فيها بل فى المسالك حكايته عن بعض واستحسنه» (١) وهكذا ظهر فى المسألة اتجاهاً. اتجاهاً فسّر النصوص بالتضييق وهو المشهور، واتجاه حافظ على ظاهر النصوص المؤدى إلى منع الطعام والشراب كلياً لا إلى التضييق فقط.

ويلاحظ أنّ نصوص المسألة تفاوتت بين تعميم الجناية والتخصيص بالقتل أو السرقة. والظاهر أنّ النصوص الخاصة بالقتل أو السرقة جاءت لإبراز مصداق من مصاديق الجناية، ولذا جاءت كلمات الفقهاء بلسان التعميم لكلّ جناية إلّما ذكره الإمام الخميني «لو قتل خارج الحرم والتجأ إليه لا يقتص منه فيه لكن ضيق عليه فى المأكل والمشرب إلى أن يخرج منه ..» (٢) فذكر المسألة بعنوان القتل لا عموم الجناية. والظاهر أنّه أوردها بهذا العنوان؛ لأنّه العنوان المناسب للكتاب الذى ذكرت فيه وهو كتاب الديّات، وذلك لا يعنى أنّ الإمام الخميني يلتزم باختصاص الحكم فى صورة القتل دون الجنايات الأخرى. وقد فصلت النصوص وبتبعها كلمات الفقهاء بين صورتين فى المسألة:

صورة ما إذا كانت الجناية فى الحلّ والتجأ الجانى إلى الحرم. وصورة ما إذا وقعت الجناية فى الحرم نفسه، وما مضى كان حكم الصورة الأولى. أمّا الصورة الثانية فحكمها إجراء الحدّ فى الحرم، ففى تنبيه صحیح همام بن الحكم المذكورة قبل قليل قال الإمام الصادق (٣) «... وإن جنى فى الحرم جناية أقيم عليه الحدّ فى الحرم» وعلّل ذلك ب «أنّه لم يرّ للحرم حرمة». وكأنّ الجناية فى الحلّ ثمّ الالتجاء للحرم تدلّ على اعتقاد الجانى بحرمة الحرم واحترامه لها واحتمائه به، فيمنح فيه الحماية لأجل ذلك. بينما تدلّ الجناية فى الحرم على هتك الجانى لحرمة الحرم وعدم اعتناؤه بها ولذا لم يمنع الحماية فيه.

١-١ النجفى. محمّد حسن. الجواهر: ج ٢٠، ص ٤٧.

٢-٢ الإمام الخميني. روح اللّه. تحرير الوسيلة: ج ٢، ص ٥٠٢.

٣-٣ مرواريد. على أصغر. الينابيع الفقهية: ج ٢٣، ص ٢٩، ط ١.

ص: ١٢٩

ويلاحظ المتتبع في كلمات القدماء حكمهم على الجاني في الحرم بتعزير اضافي زائد على الحد المقرر بجنايته، وذلك في مقابل هتكه لحرمه الحرم. بذلك قال الشيخ المفيد في المقنعة (١) والشيخ الطوسي في النهاية (٢) وابن البراج في المهذب (٣). وابن إدريس في السرائر (٤) ولم يتعرض المحذون لذلك سوى ما ذكره في باب التعزيرات من ان للحاكم تعزير المخالفين للأحكام الشرعية والنظم الإسلامية بما يراه من المصلحة، ولا شك ان هتك حرمه الحرم من أبرز مصاديق ذلك. إلا أنهم لم ينصوا على التعزير فيه.

### ب- دية المقتول في الحرم

ب- دية المقتول في الحرم:

تختلف دية المقتول في الحرم عن دية المقتول في مكان آخر بإضافة الثلث إليها، وهذا ما يعبر عنه بتغليظ الدية في الحرم والأشهر الحرم. بذلك قال الشيخ المفيد في المقنعة (٥) والشيخ الطوسي في النهاية (٦) وابن البراج في المهذب (٧) وابن إدريس في السرائر (٨). وصاحب الجواهر (٩) وأخيراً الإمام الخميني (١٠).

فيما اختار السيد الخوئي عدم التغليظ (١١).

وإذا رمى وهو في الحلّ بسهم ونحوه إلى من هو في الحرم فقتله لزمه التغليظ أيضاً. بذلك قال المحقق في الشرائع (١٢)، وهو المحكى عن الفاضل. وصرّح به صاحب الجواهر (١٣) وقال به الإمام الخميني (١٤)، لصدق القتل في الحرم. وتردد الأكثر في صورة العكس أي إذا رمى في الحرم من هو في الحلّ فقتله فيه واختار السيد الخميني عدم التغليظ. وفي الجواهر أن ظاهر النصّ والفتاوى اختصاص التغليظ بالقتل «ولذا قال المصنّف - أي المحقق الحلّي - ولا نعرف التغليظ في الأطراف؛ لأنه لم يذكره أصحابنا كما عن المبسوط والسرائر بل عن الأخير دون قطع الأطراف عندنا، بل في المسالك لا قائل به من أصحابنا ولا في قتل الأقارب

١- ١ مرواريد. على أصغر. الينابيع الفقهية: ج ٢٣، ص ٢٩، ط ١.

٢- ٢ المصدر السابق. ص ٨٧.

٣- ٣ المصدر السابق. ص ١٤٤.

٤- ٤ المصدر السابق. ص ٢٢٦.

٥- ٥ المصدر السابق. ج ٢٤، ص ٤٢.

٦- ٦ المصدر السابق. ج ٢٤، ص ٤٢.

٧- ٧ المصدر السابق. ص ٢١٠.

٨- ٨ المصدر السابق. ج ٢٥، ص ٣٣٩.

٩- ٩ النجفی. محمّد حسن. الجواهر: ج ٤٣، ص ٢٧.

١٠- ١٠ الخميني. روح الله. تحرير الوسيلة: ج ٢، ص ٥٠٢.

١١- ١١ الخوئي. أبو القاسم: مباني تكملة منهاج الصالحين: ج ٢، ص ٢٠٣.

١٢- ١٢ الشرائع، كتاب الحج.



- ١٣-١٣ النجفي. محمد حسن. الجواهر: ج ٤٣، ص ٣٠.  
١٤-١٤ الخميني. روح الله. تحرير الوسيلة: ج ٢، ص ٥٠٢.

ص: ١٣٠

للأصل وعدم الدليل، وبه صرح الفاضل وغيره نعم هو مناسب لمذاق العاقبة القائلين بالقياس والاستحسان كما يحكى عن بعضهم القول به فيها» (١) وبذلك قال السيد الخميني أيضاً (٢).

### ج- دية المقتول في المدينة المنورة

ج- دية المقتول في المدينة المنورة:

وبحث الفقهاء في دية المقتول في المدينة المنورة، وباقي المشاهد المشرفة، فاختار بعضهم التعليل واختار آخرون عدمه كما سيأتي مفصلاً في أحكام المدينة المنورة.

### ٣- استحباب دفن الميت في الحرم المكي

#### إشارة

٣- استحباب دفن الميت في الحرم المكي:

ومن خصائص الحرم المكي ما ورد في بعض الأخبار من استحباب الدفن فيه، فقد ورد في بعض الأخبار ان الميت يموت في منى أو عرفات فهل يُدفن هناك، أو يُنقل إلى الحرم؟ فيجيب الإمام عليه السلام بأن يُحمل إلى الحرم ويُدفن فيه وأنه أفضل (٣) وفي خبر آخر عن الإمام الصادق عليه السلام «من دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر. فقلت من برّ الناس وفاجرهم؟ قال من برّ الناس وفاجرهم» (٤).

فيُعرف من ذلك ان وجه الاستحباب هو خصوصية الأمن التي يتميز بها الحرم المكي، فهو آمن للأحياء والأموات معاً.

#### أحكام صيد الحرم

أحكام صيد الحرم:

وللحرم المكي خصوصية أخرى هي حرمة الصيد فيه، وهي حكم عام يشمل المحلّ والمحرم، نعم هي حرمة مؤكدة في المحرم وهناك خصوصيات إضافية فيه من جهات الفدية والكفارة.

١- ١ النجفي. محمّد حسن. الجواهر: ج ٤٢، ص ٣٠.

٢- ٢ الخميني. روح الله. تحرير الوسيلة: ج ٢، ص ٥٠٢.

٣- ٣ الحرّ العاملي. محمّد بن الحسن. الوسائل. ج ١٣، ص ٢٨٧، ط مؤسسة آل البيت.

٤- ٤ المصدر نفسه.

ص: ١٣١

قال الشيخ البحراني في الحدائق «قد صرح الأصحاب رحمهم الله بأنه يحرم من الصيد على المحل ما يحرم على المحرم في الحل والظاهر أنه مجمع عليه بينهم كما حكا في المنتهى» (١) وفي الجواهر «لا خلاف بيننا في أنه يحرم من الصيد على المحل في الحرم ما يحرم على المحرم منه في الحل والحرم، بل الإجماع بقسميه عليه مضافاً إلى النصوص التي منها ما تقدم آنفاً من صحيح الحلبي وحسنه، بل لعله كذلك عند العامة إلماً يحكى عن داود منهم من عدم الضمان إذا قتل صيداً في الحرم ولا ريب في فساده» (٢) ويكره ذلك لمن كان في الحل وهو يؤم الحرم، أو من كان ما بين البريد والحرم. ونقل في الجواهر قولاً بالحرمه عن الشيخ في جملة من كتبه (٣). وتردد صاحب الحدائق في المسألة (٤) والتحريم في الحرم المكى لا- يختص بالنقل. إذ يحرم على المحرم الاصطياد والأكل والإثارة والدلالة والأغلاق والذبح فرحاً وبيضاً. ويحرم على المحل الاصطياد والأكل (٥). وتجب عليه الصدقة فيما لو نتف ريشه من حمام الحرم وتكرر الصدقة بتكرر النتف (٦) وفي مفهوم الصيد بحث واسع بين الفقهاء. ففي الجواهر أن «الصيد هو الحيوان الممتنع حلالاً كان أو حراماً كما في القواعد مع زيادة بالأصالة التي يمكن إرادة المصنّف لها أيضاً ولو بدعوى انسياقها من اطلاق الممتنع، فلا- يرد حينئذ دخول ما توخّش من الأهلى وامتنع كالإبل والبقر ونحوهما ممّا قتله جائز إجماعاً محكياً في المسالك وغيرها بل ومحضياً، ولا- خروج ما استأنس من الحيوان البرى كالظبي ونحوه ممّا لا- يجوز قتله إجماعاً محكياً في المسالك وغيرها، بل ومحضياً بل عن الراوندى:

«هو- أى التعريف بما سمعت- مذهبنا مشعراً بالإجماع عليه، وما عن المبسوط والتذكرة والاتفاق على عدم حرمة قتل الذئب والفهد والنمر لا ينافى دخولها في اسم الصيد وأن حلت كما أنه لا ينافيه أيضاً اقتصار المصنّف على حرمة الثعلب والأرنب والضب واليربوع والقنفذ والزنبور وغير المأكول إذ أقصاه أن ما عداه

١-١ البحراني. يوسف. الحدائق. ج ١٥، ص ٢٩٧.

٢-٢ النجفي. محمّد حسن. الجواهر. ج ٢٠، ص ٢٩٤. والصحيحة المشار إليها هي المذكورة في الوسائل الباب الأول من أبواب تروك الإحرام الحديث الأول نقلًا عن الكافي بسند ينتهي إلى الحلبي عن الإمام الصادق ع أنه قال «... ولا تدلّن عليه محلاً ولا محرماً فيصطاده ولا تشر إليه فيستحل من أجلك فإن فيه فداء لمن تعمده».

٣-٣ المصدر السابق. ص ٢٩٧، ص ٢٩٩.

٤-٤ البحراني يوسف الحدائق: ج ١٥، ص ٣٠٠-٣٠٣.

٥-٥ الخميني. روح الله. تحرير الوسيلة. ج ١، ص ٣٥٨.

٦-٦ النجفي. محمّد حسن. الجواهر: ج ٥، ص ٣١٠.

ص: ١٣٢

صيد حلال» «ولكن مع ذلك قيل والقائل الشيخ في محكى المبسوط بل عن بعض نسبه إلى الأكثر، بل اختاره المصنّف في النافع: «يشترط أن يكون حلالاً، ولا- ينافيه إيجاب الكفارة في الثعلب والأرنب والقنفذ واليربوع والضب لإمكان كون ذلك لخصوص نصوصها لا لأنها صيد» ثم سرد الأدلة على ذلك، وعقب بالقول:

«فلا مستند حينئذٍ لدعوى العموم في الصيد» (١) واختار في الحدائق التعميم ونقل عن المدارك أن جملة من الأصحاب ألحقوا الأسد والثعلب والأرنب والضب والقنفذ واليربوع بالمحلل، وعن آخرين أنهم ألحقوا الزنبور والأسد والعظاية، وعن أبي الصلاح أنه حرّم قتل جميع الحيوان إلا إذا خاف منه أو كان حيّة أو عقرباً أو فأرة أو غراباً، واستظهر أن مراده بالحيوان «الممتنع لا مطلق الحيوان للنص والإجماع على جواز ذبح غيره، وعلى هذا يرجع كلامه إلى ما تقدّم نقله عن المحقّق في الشرائع من العموم للمحلل والمحرم» (٢) والصيد المحرم هو صيد البر دون ما كان من البحر.

ويتربّ على إتيان الصيد وعدم الالتزام بالتحريم ضمان القيمة والكفارة على تفصيل أورده الفقهاء في مصنفاتهم. ويتضاعف الضمان على من أصاب الصيد محرماً وهو في الحرم. قال في الجواهر: «كلّما يلزم المحرم في الحلّ من كفارة الصيد فداؤه أو بدله أو قيمته، أو المحلّ في الحرم من القيمة على الأصح يجتمعان على المحرم في الحرم فيجب الفداء والقيمة أو القيمتان على المشهور بل عن شرح الجمل للقاضي الإجماع عليه لقاعده تعدّد المسبّب بتعدّد السبب وللمعتبرة المستفيضة المتقدّمة في الحمام والطيور والفرخ والبيض بل هو المراد من المضاعفة في قول الصادق عليه السلام في حسن معاوية بن عمّار وإن أصبت الطير وأنت حرام في الحرم فالفداء مضاعف عليك، وإن أصبت وأنت حلال في الحرم فقيمة واحدة، وإن أصبت وأنت حرام في الحلّ فإنما عليك فداء واحداً». (٣)

١-١ المصدر السابق.

٢-٢ البحراني. يوسف. الحدائق: ج ١٥، ص ١٣٨.

٣-٣ النجفي. محمّد حسن. الجواهر: ج ٢٠، ص ٣١٦.

ص: ١٣٣

ويجرى على الصيد أحكام خاصة فلا يملك ولا يجوز أكله، قال في الجواهر «ولا يدخل الصيد في ملك المحرم في الحل وفي الحرم باصطياد ولا ابتياع ولا هبة ولا ميراث ولا غير ذلك من أسباب التملك كما في النافع والقواعد وغيرهما، بل في المدارك نسبتته إلى القطع به في كلام الأصحاب، بل عن المنتهى الاجماع عليه في الاصطياد» (١).

وعليه اخلاء سبيله، وإرجاع الثمن إلى المشتري في حالة البيع. سبب فساد المعاملة وإن تلف بيده فعليه الجزاء. وإن كان قد ذبحه فيجرى عليه حكم الميتة وعدم جواز تناول منه إلا في الاضطرار والمخمصه. ومن الأحكام أيضاً حرمة إخراج حمام الحرم وسائر الطير والصيد منه ووجوب رده إلى الحرم ولزوم ثمنه أو فداؤه لو تلف قبل الرد والإرجاع. وقد عقد صاحب الوسائل باباً بهذا العنوان ذكر فيه عدة روايات بهذا المضمون (٢).

#### ٤- أحكام شجر الحرم

٤- أحكام شجر الحرم:

وكما ذكرنا سابقاً فإن الأمن في الحرم لا يختص بالإنسان والحيوان، بل يتجاوزهما إلى النبات. فمن خصائص الحرم المكي عدم جواز قلع شجر الحرم سواء كان القالع محلاً أو محرماً. قال في المدارك: «اعلم أن قطع شجرة الحرم كما يحرم على المحرم يحرم على المحل أيضاً، كما صرح به الأصحاب، ودلت عليه النصوص وحينئذ كان المناسب أن لا يجعل ذلك من تروك الإحرام بل يجعل مسألة برأسها كما فعل في الدروس» (٣) واستظهر في الحدائق أن يكون الحكم كذلك في حشيش الحرم واحداً للمحرم والمحل (٤). واستثنى من التحريم النخل وشجر الفواكه سواء أنبت الله أو الإنسان، والأذخر، وما أنبت الإنسان أو غرسه من البقول والزرع والرياحين والشجر. وعودا المحالة وهي البكرة التي يستقى

١- ١ المصدر نفسه. ص ٣٣١.

٢- ٢ الحرّ العاملي. محمّد بن الحسن، الوسائل: ج ١٣، ص ٣٧.

٣- ٣ العاملي. محمّد. مدارك الأحكام: ج ٧، ص ٣٧٢.

٤- ٤ البحراني. يوسف. الحدائق: ج ١٥، ص ٥٣٧.

ص: ١٣٤

بها، وما ينبت في ملك الإنسان، واليابس من الشجر والحشيش لكونه ميتاً لا حرمة له، وما انكسر ولم يبين لأنه بمنزلة الميت (١). وذكر الفقهاء حكمين يترتبان على قطع شجر الحرم خاصة ولا يشملان حشيشه وهما:

### أ- الكفارة

أ- الكفارة:

قال في الحدائق: «قد اختلف الأصحاب في كفارة قلع الشجر، فقال الشيخ في الخلاف والمبسوط في الشجرة الكبيرة بقرة وفي صغيرة شاء، وفي الأغصان قيمته. وقال ابن الجنيد وإن قلع المحرم أو المحل من شجر الحرم شيئاً فعليه قيمة ثمنه. وقال أبو الصلاح في قطع بعض شجر الحرم من أصله دم شاء ولقطع بعضها أو اختلاء خلاها ما تيسر من الصدقة. وقال ابن البراج فيما يجب فيه بقرة: أو يقلع شيئاً من شجر الحرم الذي لم يغرسه هو في ملكه ولا- نبت في داره بعد بنائه لها، ولم يفصل بين الكبيرة والصغيرة. وقال ابن حمزة: والبقرة تلزم بصيد بقرة الوحش وقلع شجر الحرم، ثم قال تجب شاء بقلع شجر صغير من الحرم. وقال ابن إدريس: الأخبار واردة عن الأئمة عليهم السلام بالمنع من قلع شجر الحرم وقطعه ولم يتعرض فيها للكفارة لا في الصغيرة، ولا في الكبيرة. قال في المختلف: وهذا قول يشعر بسقوط الكفارة وظاهر المشهور بين المتأخرين القول الأول وتردد المحقق في الشرائع فيه» (٢).

### ب- وجوب الإعادة

ب- وجوب الإعادة:

أي إعادة الشجرة المقطوعة إلى الحرم. قال في الجواهر «ولو قلع شجرة منه وغرسها في غيره، أو لم يغرسيها، أعادها كما في القواعد وظاهرهما إرادته إلى مكانها كما عن المبسوط وعن التحرير والمنتهى والدروس إلى الحرم واستجوده

١- ١ المصدر السابق. ص ٥٣٣-٥٣٧.

٢- ٢ المصدر السابق. ص ٥٣١-٥٣٢.

ص: ١٣٥

في المسالك إلّا أن يكون محلّها الأوّل أجود فيتعيّن أو مساويه، وإلّا فأرض الحرم متساوية في الإحرام» ولو «جفت على وجه لم تفدها الإعادة العود إلى ما كانت عليه قبل كما عن المبسوط والتحرير والمنتهى والتذكرة يلزمه ضمانها معلّين له بالإتلاف. وفي القواعد قيل يلزمه ضمانها ولا كفارة ومقتضاه كون الضمان بالقيمة لا البقرة والشاة» (١).

## آداب الحرم وخصوصياته الأخرى

### ١- حكم لقطّة الحرم

آداب الحرم وخصوصياته الأخرى  
وللحرم المكي آداب وخصوصيات أخرى يمكننا إدراجها ضمن النقاط التالية:

#### ١- حكم لقطّة الحرم:

فقد تحدّث الفقهاء بشكل مفصّل عن خصوصيات لقطّة الحرم وامتيازها على لقطّة ما سواها من الأماكن. وأجاد صاحب الجواهر في بيان الأقوال والآراء والأدلة في المسألة؛ ولذا نقتصر على هذا المصدر في استعراضها. فقد كتب بعد أن استعرض الآراء والأقوال في المسألة: أنّ «محصل الجميع الحرمة مطلقاً من غير فرق بين الدرهم وأقل منه وأزيد، أو بتيّة الإنشاء وعدمها، وبتيّة التملك وعدمها والكراهة كذلك والتفصيل بين الأقل من الدرهم وغيره فيجوز الأوّل بلا كراهة والثاني معها أو مع الحرمة وبين تيّة التملك فلا يجوز مطلقاً وبتيّة الإنشاء فيجوز كذلك وبين الفاسق والعدل، فيحرم على الأوّل ويحلّ الثاني وأمّا التملك ففي المختلف لا يجوز تملك لقطّة الحرم إجماعاً، بل يجب تعريفها وفي التذكرة: لا يجوز تملكها عند أحد من علمائنا أجمع، لكن عن التقى القول بجواز تملكها بعد التعريف وربّما مال إليه بعض من تأخّر عنه» (٢).

١- ١ النجفي. محمّد حسن. الجواهر: ج ٢٠، ص ٤٢٧-٤٢٨.

٢- ٢ النجفي. محمّد حسن. الجواهر: ج ٣٨، ص ٢٨٤.

ص: ١٣٦

بيان ذلك أن المسألة تنحل إلى مسألتين: مسألة جواز الالتقاط وعدمه، ومسألة جواز التملك وعدمه. وفي المسألة الأولى ثلاثة آراء: رأى بالحرمة مطلقاً، ورأى بالكراهة مطلقاً. ورأى بالتفصيل. وهنا ثلاثة تفاصيل تفصيل بين الأقل من الدرهم وغيره فيجوز الالتقاط في الأقل بلا كراهة، ولا يجوز في غيره أو يكره، وتفصيل بين الالتقاط بتيه التملك والالتقاط بتيه التعرض والإنشاء فلا يجوز في الأول مطلقاً ويجوز في الثاني مطلقاً. وتفصيل بين العدل والفاسق فيجوز للأول دون الثاني. أما التملك بعد الالتقاط ففيه رأيان رأى بعدم الجواز ورأى بالجواز بعد التعريف.

## ٢- استحباب الغسل

٢- استحباب الغسل:

ومن آداب الحرم المكي الغسل لدخوله. ففي الوسائل أورد خبراً ينتهي سنده إلى أبان بن تغلب قال: «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام مزامله بين مكة والمدينة، فلما انتهى إلى الحرم نزل واغتسل، وأخذ نعليه بيديه ثم دخل الحرم حافياً فصنعت مثل ما صنع» (١) فقال: يا أبان من صنع مثل ما رأيتني صنعت تواضعاً لله محي الله عنه مائة ألف سيئة وكتب له مائة ألف حسنة، وبنى الله له مائة ألف درجة، وقضى له مائة ألف حاجة» (٢) كما أورد أخباراً أخرى تفيد استحباب الغسل أيضاً، ذكرها صاحب المدارك ونص على أن «مقتضاها استحباب غسل واحد، أما قبل دخول الحرم أو بعده من بئر ميمون الحضرمي الذي في الأبطح، أو من فح وهو على فرسخ من مكة للقادم من المدينة، أو من المحلل الذي ينزل فيه بمكة على سبيل التخيير، وغاية ما يستفاد منها أن إيقاع الغسل قبل دخول الحرم أفضل» (٣).

ورد عليه في الجواهر بأن «النصوص المزبورة ظاهرة الدلالة على غسلين

١- ١ الحر العاملي. محمد بن الحسن. الوسائل: ج ١٣، ص ١٩٥.

٢- ٢ الحر العاملي. محمد بن الحسن. الوسائل: ج ١٣، ص ١٩٥.

٣- ٣ العاملي. محمد. المدارك: ج ٨، ص ١٢١، ط مؤسسة آل البيت.



ص: ١٣٧

أحدهما للحرم والآخر لدخول مكّة» (١).

**٣- كراهة مطالبة الغريم**

٣- كراهة مطالبة الغريم:

وعقد في الوسائل باباً سَمَّاه «باب كراهة مطالبة الغريم في الحرم والتسليم عليه حتّى يخرج» ذكر فيه خبراً نقله عن الكافي بسند ينتهي إلى سماعة بن مهران عن الصادق عليه السلام أنّ سماعة سأله عن رجل لى عليه مال فغاب عني زماناً ثم رأيت يطوف حول الكعبة أفأتقاضاه مالي؟ قال لا لا تسلّم عليه ولا تروعه حتّى يخرج من الحرم» (٢).

ويظهر من هذا النصّ جلياً أنّ هذا الحكم من توابع خصوصية الأمن في الحرم؛ لأنّ مطالبة الغريم تسلب عنه الاطمئنان النفسى وتجعله في اضطراب.

ومن الطريف أن يلاحظ أن التحية التي غرضها اشاعة السلم والاطمئنان في المجتمع تصبح بالنسبة للغريم ذات أثر عكسى، فتثير في نفسه القلق والاضطراب من المطالبة بالدين.

**٤- كراهة سؤال الناس**

٤- كراهة سؤال الناس:

وعقد في الوسائل باباً أيضاً بعنوان «كراهة سؤال الناس في الحرم ويوم عرفه، وكراهة ردّ السائل بها» نقل فيه خبراً عن علل الشرائع للشيخ الصدوق عن الزهري أنّه قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام: لو ركبت إلى الوليد بن عبد الملك وكان بمكّة والوليد بها؛ لفضى لك على محمّد بن الحنفية في صدقات علي بن أبي طالب، فقال: ويحك، أفي حرم الله أسأل غير الله عزّ وجلّ إنّي لأنف أن أسأل الدنيا خالقها، فكيف أسألها مخلوقاً مثلي؟

قال الزهري: فلا جرم أنّ الله ألقى هيبته في قلب الوليد حتّى حكم له على

١-١ النجفي. محمّد حسن. الجواهر: ج ١٩، ص ٢٨٠.

٢-٢ الحرّ العاملي. محمّد بن الحسن. الوسائل: ج ١٣، ص ٢٦٥.

ص: ١٣٨

محمّد بن الحنفية» (١).

**٥- كراهة إنشاد الشعر في الحرم**

٥- كراهة إنشاد الشعر في الحرم:

وعقد في الوسائل أيضاً باباً سماه «باب كراهة إنشاد الشعر للمحرم وفي الحرم وإن كان شعر حقّ» ذكر فيه خبراً ينتهي سنده إلى حمّاد بن عثمان أنّه سمع من الإمام الصادق عليه السلام يقول: تكره رواية الشعر للصائم والمحرم وفي الحرم، وفي يوم الجمعة، وإن يروى بالليل. قال: قلت: وإن كان شعر حقّ؟ قال: وإن كان شعر حقّ» (٢).

الهوامش:

**تعمير الكعبة ومراسمه**

١- ١ الحرّ العاملي. محمّد بن الحسن. الوسائل: ج ١٣، ص ٥٥٦.

٢- ٢ المصدر السابق. ج ١٢، ص ٥٦٥.







ص: ١٤٢

تعمير الكعبة ومراسمه

إعادة بناء الكعبة سنة ١٠٣٩ هـ. ق.

من كتاب مرآة الحرمين لأيوب صبرى باشا

إعداد: السيد على قاضى عسكر

## المقدمة

المقدمة

تعدّ الكعبة المشرفة من أجمل أماكن الحرمين الشريفين وأكثرها جاذبية وقُدسية. وهى فى تراثنا الدينى قبله المسلمين فى كلّ أقطار الدنيا، وقد ورد فى الأخبار أنّ مجرد النظر إليها يكيل للناظر ثواباً جزيلاً.

لقد مرّت على البيت العتيق عبّر مختلف مراحل التاريخ حوادث تعرّضت جدران الكعبة خلالها إلى الانهيار فى بعض الأحيان. وقد أسهب المؤرّخون فى نقل أدقّ التفاصيل عن هذه الحوادث المؤسفة وبحث دقائق أمورها.

فى حج العام الماضى (١٤١٦ هـ)، وبعد انتهاء مراسم الحج الشريفه، بادرت الحكومة السعوديه، ودون انذار مُسبق بنصب السيّالة وأحاطت الكعبة الشريفه بجدار خشبى مرتفع ضمّ خلاله الكعبة وحجر إسماعيل عليه السلام إلّا الحجر الأسود الذى بقى خارج

ص: ١٤٣

الجدار الخشبي، مثيرةً بهذا العمل تساؤلات شتى، وتاركةً المعتمرين في حيرةٍ من أمرهم وألمٍ شديد، ذلك أنهم ما تحمّلوا كلّ تلك المشاق إلّا من أجل التشرف بالنظر إلى بيت الله الحرام والتمتع بكلّ ركنٍ وجانبٍ منه. وقد أورد بعض المعتمرين - ممن أُتيحت له الفرصة ودخل الجدار الخشبي إلى داخل الكعبة من خلال باب في الجدار - أنّ الحكومة السعودية أزالَت السقف الخشبي للكعبة المشرفة، وأقامت بالفعل عدّة أعمدة خرسانية، وغطت أرضية الكعبة كذلك بالاسمنت، وساوته ببوابة البيت العتيق.

ولكى تبقى الباب بمنأى عن أيّ ضررٍ أو تلفٍ (حسب ادعاء المسؤولين السعوديين) فقد حُلعت الباب من مكانها، ووُضعت في زاوية بعيدة عن متناول الأيدي. ثمّ بنّت الحكومة المذكورة سقفاً جديداً على الأعمدة الخرسانية التي نصبتهَا آنفاً، في حين بقي الحائط الخارجى للكعبة من دون أن يطرأ عليه أدنى تغيير. وطالت ترميمات الشاذروان وهو القاعدة السفلية المحيطة بالبيت الشريف، واستُبدلت الأحجار المحيطة بحجر إسماعيل عليه السلام. هذا وقد تمّ البناء في شهر رجب من عام ١٤١٧ هـ. ومن جانب آخر فقد وصلت إلَيّ نسخة مخطوطة باسم مرآة الحرمين تأليف أيوب صبرى باشا، وبعد إلقاء نظرة على تلك المخطوطة تبين لى أنّ المؤلّف تطرّق فيها إلى تاريخ الترميمات والترميمات التي أُجريت على الكعبة الشريفة، حيث يعرض أوجه الشبه بين أساليب التعمير والبناء في الماضي وما هي عليه في وقتنا الحاضر. ومن جملة ما ذكره، أنّ فيضاً عظيماً حدث في زمن الشريف مسعود والى مكة تسبّب في تهدّم جزء من جدار الكعبة الشريفة، فأوفدت الدولة العثمانية في حينها مبعوثاً لها يدعى «رضوان آقا»

للنظر بما يمكن القيام به من أجل إعادة بناء تلك الجدران وتعميرها. وبالفعل فقد أُقيم جدارٌ خشبي حول الكعبة المشرفة واستؤنِف البناء في الحال.

ويستطرد صبرى باشا قائلاً: لقد حذا مبعوث الدولة العثمانية لهذا العمل حذو عبد الله بن الزبير، بمعنى أنّ مبعوث الدولة كان قد أتبع الخطوات نفسها التي اتّبعتها عبد الله ابن الزبير، واستخدم الأساليب نفسها.

ص: ١٤٤

ومن هنا فقد عقدت العزم على نشر هذه المعلومات والأخبار التاريخية القيمة، ووضعها في متناول أيدي قراء مجلته ميقات الحج الأعراء، وأبداها بإعطاء نبذة ولو مختصرة عن الكتاب ومؤلفه ومترجمه:

وُلِدَ أيوب صبري باشا بن السيد شريف الإسلام بن الحاج أحمد في مدينة (أرمية) إحدى توابع (روم ايلي) (١) أو (تساليا) من توابع بنى شهر التركية.

وقد استهل حياته الاجتماعية والوظيفية بالالتحاق بدار صناعة الأسلحة في القوة البحرية التركية، واعتلى مناصب كثيرة بسرعة حتى وصل إلى منصب قائد، ثم أُوفِدَ إلى الحجاز بما يتناسب ومنصبه الجديد، وقضى فترة لا بأس بها في مكة والمدينة المنورة، فكانت نتيجة ذلك أن تعرّف على مُجمل تاريخ هذه المنطقة.

ومع أن تاريخ وصول صبري باشا إلى الحجاز لم يُعرف بالتحديد، إلّا أنه ذكر في مؤلفه (مرآة الحرمين) ما يلي (٢):

«تشرّف الحقيير مؤلف الكتاب بالوصول إلى مكة المكرمة في أواسط شهر شعبان سنة (١٢٨٩ هـ. ق.)» (٣).

وقد سجّل صبري باشا في خلال رحلته تلك الكثير من المعلومات والمذكرات وكان أحياناً كثيرة يقوم بالبحث والتقصّي شخصياً، فألّف بعد ذلك كتابه المعروف ب (مرآة الحرمين).

وإذا ما اعتبرنا سنة (١٢٨٩ هـ) هي السنة التي قام فيها صبري باشا بالسفر لأول مرة إلى الحجاز وعلمنا أن سنة (١٢٩٩) كانت السنة التي

ألّف فيها المذكور كتابه (مرآة الحرمين) لاستنتاجنا أن هذا الكتاب القيم استغرق حوالي عشر سنوات للظهور بمظهره ذاك (٤).

وقد ألّف الكتاب المذكور في ثلاثة أجزاء، يضمّ الجزء الأول كتاب (مرآة مكة)، والجزء الثاني (مرآة المدينة) وأما الجزء الثالث

فيدعى ب (مرآة الجزيرة العرب)، وطُبعت الأجزاء الثلاثة على التوالي سنة (١٣٠١) و (١٣٠٤) و (١٣٠٦) في مطبعة (سنده)

بالقسطنطينية - اسطنبول - بتركية باللغة التركية الاسطنبولية.

ويصف أيوب صبري باشا الهدف من تأليفه كتاب (مرآة الحرمين) قائلاً: «حيث إنّه لم يُؤلّف لحدّ الآن

١- ١ دائرة المعارف التركية العثمانية.

٢- ٢ عاتق بن غيث البلادي، نشر الرياحين، ج ١، ص ٨٦.

٣- ٣ ترجمة مرآة الحرمين، مخطوطة، ص ٦٠.

٤- ٤ طبقاً لما ذكره إبراهيم الكردي المكي، حيث يقول: «كتب أيوب صبري باشا في الجزء الأخير من كتابه مرآة الحرمين ص

١٣٤٣، يقول: انتهيت من تأليف كتاب مرآة الحرمين بعون الله الرحمن في يوم ٢٤ ربيع الأول المبارك، سنة ١٢٩٩ هـ. ق. ويضيف

إبراهيم الكردي قائلاً: ويظهر من ذلك أن المؤلف وبعد انتهائه من تأليف الكتاب سنة ١٢٩٩ هـ بدأ بطبع كتابه المذكور سنة ١٣٠١

وانتهى من إكمال طبعه بعد سنة من ذلك التاريخ. راجع: التاريخ القويم، ج ٦، ص ٣٣١.



ص: ١٤٥

كتابٌ مستقلٌ باللغة التركية حول ذلك، وحيث إن الروايات التي تداولتها ألسن وأفواه العامة، كانت مختلفة ومتضادة؛ لهذا فإن الوصول إلى الحقيقة المطلوبة كان في غاية الصعوبة، مما أدى إلى عدم اطلاع أبناء البلد بشكل مطلوب على فوائد وفصائل هاتين البلديتين الطيبتين، وصعوبة الحصول على المعلومات المطلوبة على حدٍ سواء ... لذا فقد عزم العاجز الفاني على توفير تلك المعلومات، ووضعها في متناول أيدي الخاصة والعامة من الناس نظراً لإحساسى بفوائدها الجمّة ومنزلتها العالية التي لا يمكن وصفها أو إيجاد نظير لها. وقد أُلّف كتاب مرآة الحرمين باللغة التركية في مجلدين اثنين، وهو يتحدّث بالتفصيل عن الجغرافية العامة لمكة والمدينة المنورة؛ تأسيس هاتين المدينتين، الأبنية الإسلامية والتاريخية الموجودة فيها، الحوادث والمناسبات التي طرأت على الحرمين الشريفين على مرّ التاريخ، الفتنه الوهابية وغير ذلك. وقد احتوى المجلد الأول على (٤٣٤) صفحة بينما احتوى المجلد الثاني من الكتاب على (٢٩٤) صفحة حيث زُيّنت صفحته الأولى والثانية بنقوش ذهبية ولاجوردية وخضراء، واحتوت صفحاته الخمس الأولى على تذهيب ما بين السطور، وكُتبت عناوين صفحاته بالحبر الأحمر محاطةً بإطار أسود اللون مُطعم باللونين الأزرق والأحمر كذلك، ثم أُحيط الإطار المذكور بإطار خارجي حوله أيضاً (١).

وقد اعتمد صبرى باشا في تأليفه الكتاب المذكور على عدّة مصادر، أهمّها: أخبار مكة للأزرقي، أخبار مكة للفاكهي، التفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير روح البيان، وتفسير أبي السعود، تفسير ابن كثير ... وصحيح البخاري، وفتاوى قاضي خان، وخلاصة الوفاء بأخبار مدينة المصطفى، ووفاء الوفا، وتاريخ الخميس، وتاريخ ابن هشام، والعقد الثمين في فضائل البلد الأمين، وبدائع الزهور في وقائع الدهور، وشفاء الغرام، ونور العين في مشهد الحسين، وقرّة العين في أخذ ثأر الحسين والأحكام السلطانية للماوردي، فذلكه الكتاب للجلبى، تدقيقات وتحقيقات الدكتور رائف أفندي، فضائل بيت الله، ذراع الكعبة المشرفة، مضبطة سهيلي أفندي، فتوح

ص: ١٤٦

الحرمين، تاريخ نوح أفندي، روضة الصفا لمحمد خاوند شاه، التواريخ التركية، وغيرها.  
 وكتب أيوب صبرى باشا هذا الكتاب باللغة التركية واستفاد من الحكايات والأشعار التركية والعربية والفارسية.  
 وقد أثنى عليه البعض كعاتق بن غيث البلادى فى كتابه: نشر الرياحين فى تأريخ البلد الأمين فى الجزء الأول، الصفحة ٨٦. ومحمد  
 طاهر الكردى صاحب كتاب التأريخ القويم، حيث قال: «والحق يقال، إنه كتابٌ فريد فى بابه، وحيد من نوعه ... وإنه لكتاب مشحون  
 بالفوائد والمعلومات التاريخية الوثيقة وحبذا لو ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية ثم يطبع وينشر لأنه كتاب خاص بتأريخ الحرمين  
 فقط».

وقد كتب الأديب الكبير «نجيب نادر أفندي» تقييماً جميلاً لكتاب مرآة الحرمين: «طالما طالعت أطايب المطولات، وتفردت فى أفخر  
 المفصلات، قصد الوصول لا- صدق التفاصيل، متوقياً الوقوع بسقطات الأفاويل، حتى حان الحين وحلت الحان، ورق يراع مرآة  
 الحرمين الرنان، وهتف هاتف التهليل، بسل سبيل السلسيل وخل الدخيل، وواصل الأصيل، فافتردت فرصة التفردس، واسترقت ساعة  
 التجسس، فإذا بذوات الذوايل، ومنهومات النهى وناعمات الأنامل، يحتجب المحاسن حياء، ويتوارين من أنوار المرآة الوراء، فراعنتى  
 يراعتهما، وبهرتنى براعتهما وقلت إن هذه:

تمثال أجيال مضت وسراه حلت محل الحال بعد فوات ...  
 قم صاح واستطلع صباحاً رائقاً واعجب من المرققات فى المرآة  
 مرآة نور الله زينها التقى تحكى حمى الفردوس فى نغمات  
 أهدي بها الأيام «أيوب» فما تنفك تشكر منه فيض هبات ...  
 والعلم يشهد أنه بحر له بربجل عوائد وصلات ...  
 أحيى لنا الأعيان فى آثاره ولتلك أكبر حكمه وثبات ...  
 فلقد أقر عيون كل ذوى الحجا ما بين ماض فى الزمان وآت

ص: ١٤٧

وغدا له الحر (النجيب) مؤرخاً «قد حصل الحرمين في مرآت» (١)

هذا وإن صبرى باشا بعد عودته من الحجاز حاز منصب رئاسة المحاسبات في القوة البحرية التركية وبعد أن حصل على رتبة لواء وهي من الرتب العسكرية بدأ بالتدريس في الكلية البحرية التي تُسمى «شاهانية» في إسطنبول.

وأخيراً توفي صبرى أيوب باشا في ١٥ من شهر صفر ١٣٠٨ هـ الموافق ٣٠ أيلول ١٨٩٠ الميلادي في إسطنبول ودفن في مقبرة قاسم باشا.

وقد صمّم وزير الانطباعات (٢) أيام حكومة ناصر الدين شاه على ترجمة الكتاب المذكور فأعطاه عبد الرسول المنشى (السكرتير) وكان مترجم البلاط آنذاك، وفعلاً تمت ترجمته في سنة (١٣٠٧ هـ) في دار الترجمة المعروفة ب (همايونى)، فخرج الكتاب على هيئة قطعة مثورة نثراً جميلاً ومسبوكة سبكاً دقيقاً.

وتصدى محمد القزوينى المعروف بالآشورى العاشر لنسخ الكتاب بالخط نستعليق وتذهيبه بدقّة مزينة بالأشكال الجميلة وذلك سنة (١٣٠٨ هـ) أى قبل ما يزيد على مئة عام.

وكما ذكرنا آنفاً فإن لصبرى باشا مؤلفات عدّة، أهمها:

١- تاريخ الوهابيين: باللغّة التركية وقد تمّ طبعه من قبل «منشورات بدر» سنة (١٩٩٢) باسطنبول.

٢- تكملة المناسك.

٣- ترجمة الشمائل.

٤- عزيز الآثار.

٥- رياض الموقنين.

٦- محمود السير.

\*\*\*

١- ١ التاريخ القويم ٦: ٣٣٣.

٢- ٢ وهو ما يعرف اليوم بوزير الثقافة والإرشاد، أو الإعلام.

ص: ١٤٨

يُعدُّ السلطان مراد خان رابع بن السلطان أحمد خان أحد السلاطين العثمانيين الباني الحادى عشر لبيت الله الحرام، حيث لم يجز شرعاً (١) تجديد بناء البقعة المقدسة أو طرف منها إلّا بعد إنهامها وسقوطها، ولذا فلم يجرأ أحد على تجديد أو تعمير البقعة المقدسة المباركة منذ أيام الحجاج الظالم، وحتى زمن السلطان المشار إليه آنفاً، حتى استوجب تعمير تلك البقعة المقدسة بعد أن اندرست أركانها الأربعة وآلت إلى السقوط، ممّا حدى بالمسؤولين إلى تعميرها (٢). وبالنظر إلى المسألة المذكورة لم يتمكن السلاطين سابقاً من تعمير أو تجديد تلك البقعة الشريفة، حتى وصل حالها فى أيام السلطان أحمد خان إلى وضع حرج وكادت أن تهتدم كلياً، مع أنّ السلطان أحمد خان كان ينوى قبل ذلك تجديد الأبنية الرخوة من البيت الحرام، ولكن لعدم حصوله على مجوز يسوغ له ذلك العمل، فقد تمّ تقوية البيت بالأحزمة والمفاصل الحديدية، وتمّ تعمير وترميم أحد الأركان الأربعة على قدر ما أمكن ذلك. وبالرغم من أنّ الترميمات المذكورة ساعدت على صيانة البيت المعظم إلى ما يقارب ثمانى عشرة سنة ومنعته من الانهدام والسقوط، إلّا أنّ الأمطار الغزيرة- التى رافقها الرعد والبرق والصواعق- سالت مياهها من الجبال المحيطة بالبقعة المقدسة، وتجمعت مكونة سبباً كسيل العرم (٣) فهجم السيل المذكور من أطراف الحرم الأربعة ودخل المسجد الحرام، وكانت شدّته تزداد ساعة بعد أخرى، وارتفع مقدار ذراعين بمحاذاة مفتاح باب الكعبة الشريفة. وقد تهدمت المتاجر والبيوت التى كانت فى طريق مسير السيل المذكور، ولم تستطع جدرانها من مقاومة قوّة السيل واندفاعه فجرفتها مياه السيل دافعة إياها داخل الحرم الشريف، وأحاطت به من كلّ جانب. ولا توجد إحصائية دقيقة حول عدد الأفراد الذين قُتلوا من جرّاء السيل والذين كانوا فى تلك المتاجر والبيوت.

١- ١ لم يوضح المؤلف المصدر أو المذهب الذى استند عليه فى عدم الجواز المذكور.

٢- ٢ إشارة إلى المباحث السابقة من هذا الكتاب مرآة الحرمين، التى سنشرها إن شاء الله.

٣- ٣ السيل الذى أصاب مدينة سبأ بأرض اليمن فى القرن الثانى قبل الميلاد وفرّق أهل هذه الأرض فى البلاد.

ص: ١٤٩

ولمّا كانت حيطان البيت المعظم عرضة للانهدام والسقوط فقد سقط فعلاً في اليوم الثاني من دخول السيل إلى الحرم الشريف (والمصادف لليوم الحادى عشر من شعبان) سقط الركن الشامى والعراقى دفعة واحدة وذلك بعد صلاة العصر من ذلك اليوم. وقد رافق ذلك السقوط والهدم صوت الرعد والبرق ممّا أحدث صوتاً رهيباً أثار فى نفوس أهالى مكّة الخوف والهلع ممّا حدى ببعضهم إلى مغادرة منازلهم، وترك وسائلهم داخل تلك البيوت. وقد أثار ذلك الانهدام والسقوط دهشة المكّيين وحيرتهم حتى أنّ البعض منهم وصف صورة ذلك اليوم وما حصل فيه بأنّها علامة من علامات يوم القيامة.

هذا وقد هامت النساء والرجال على وجوههم، ولم يعرفوا أىّ بلاء نزل بهم! فافتقرت الأمّ عن ولدها ولم تسأل عنه، وانفصل الابن عن أمّه وأبيه ولم يبادر أحد أن يجد من فقد، أو يتعقبه. وقد ظلّت المياه داخل الحرم الشريف مدّة ثلاثة أيام بعد انقطاع السيل، وتمّ فى اليوم الرابع خروج الماء من داخل الحرم إلى خارجه وذلك بعد انفتاح ممّر السيل (المسيل). سالكاً الطرق التى سلكها السيل من قبل بينما ظلّت الأحجار والأتربة التى كان السيل قد أتى بها داخل الحرم بارتفاع قامه انسان مكّونه تلالاً صغيرة تُذكر بما حدث.

وقد عقد الشريف مسعود بن إدريس (أمير مكّة آنئذ) مجلس استشارة داخل الحرم الشريف ضمّ جمهور الأشراف وسكان بلد الله الحرام، فانترعت قناديل الذهب والفضة، التى كانت معلّقة داخل الحرم الشريف. وكتب محمّد باشا والى مصر تفاصيل الحادثة وسقوط بيت الله الحرام وأرسلها إلى السلطان. ولمّا كان وصول تلك المعلومات إلى دار الخلافة فى اسطنبول وإيصالها إلى البلاط العثمانى يكلف وقتاً طويلاً، وحيث إنّه لم يكن من اللائق ترك الكعبة المشرفة على حالها تلك، فقد كتب (محمّد باشا) إلى مصطفى آقا (أمين جدّه فى ذلك الوقت)

ص: ١٥٠

يأمره بتحضير الآلات والأدوات اللازمة فوراً لتعمير بيت الله الحرام، وكتب في الوقت نفسه إلى الشريف بن مسعود يأمره بتطهير البيت الحرام من الحجارة والطين إلى حين وصول خبر من اسطنبول وأن يطلب من مصطفى آقا كل ما يلزمه أو يحتاجه لعمل ذلك.

وقد هياً الشريف مسعود بمساعدة مصطفى آقا وعلى بن شمس الدين أفندي (مهندس مكة المشرفة) الأخشاب اللازمة من جدة، وأحكم بواسطتها حيطان البيت المعظم، التي لم تتهدم بعد ودعم أطرافه الثلاثة بالسقالة اللازمة.

ولغرض حفظ السقف الشريف والحيولة دون سقوطه، أقيمت أعمدة من الخشب القوي عن أطرافه الأربعة ثم رُبطت تلك الأخشاب بعضها مع بعض وقد غطت تلك الأخشاب والألواح بيت العزة إلى سقفه.

وقد شرع في تلك الأعمال يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك، وانتهت في الثالث عشر من شهر شوال، حيث استمرت أربعة عشر يوماً، وتم إكساء بيت الله الحرام بالدنيم الأخضر، الذي كان قد هُيئ من قبل في المدّة التي تمّ فيها التعمير، وذلك في السابع عشر من شهر شوال. وقد كان تأثير انهدام بيت الله الحرام كبيراً على المسلمين في الأقطار الإسلامية كافة، وقد سيطر عليهم الحزن والألم، خاصّة المصريين لقرب المسافة بين بلدهم والبلد الحرام.

وبما أن موسم الحج كان قريباً، ولم يكن الجواب ورد بعد من اسطنبول ممّا هزّ مشاعرهم وأثر في نفوسهم أيما تأثير، ممّا حدى بمحمّد باشا والى مصر إلى احضار رضوان آقا (أحد المقرّبين للحرم الخاص بالسلطان) وأعطاه خلعة وأوكل إليه أمانة أبنية بيت الله الحرام حتّى وصول الأمر السلطاني من اسطنبول؛ لأنّ موسم الحج كان قد قرب، وأمره بالسفر إلى مكة المكرمة فوراً، وتحضير وتهيئة كلّ المستلزمات الضرورية للتعمير، وأخبره بلزوم طلب ما يحتاجونه

ص: ١٥١

هناك من مصر والكتابة إليه حول ذلك.

هذا وقد بعث محمّد باشا خلعه أيضاً إلى الشريف مسعود وبرساله توصية، وأوفد رضوان آقا إلى مكّة المكرّمة. فلما نزل رضوان آقا في إحدى المحلّات القريبة من مكّة، أرسل رسولاً إلى الشريف مسعود وأعلمه بكلّ ما يتعلّق بمأموريّته، والخلعة التي معه فأوفد الشريف كذلك أعيان البلاد وأشرفها لاستقبال رضوان آقا. ثمّ انتقل رضوان آقا إلى مكّة بعد أربعة أيام من لقائه بالمبعوثين من مكّة (أى فى السادس والعشرين من شوال) ووصل إلى الكعبة المشرفّة، وأقام فى المنزل الذى كان الشريف مسعود هنيأه له من قبل. واجتمع فى اليوم التالى (٢٧ من الشهر المذكور) كلّ الأهالى فى الحرم الطاهر وذلك لمشاهدة مراسيم إكساء الكعبة الشريفة. وقد اتّبع الشريف مسعود ورضوان آقا والعلماء وكلّ أعيان المملكة والقوات الحكومىة الأصول والتشريفات الخاصّة بتلك الشعيرة الشريفة، ووقف الجميع عند باب كعبة الله ومقام إبراهيم، وتمّ تلاوة الأوامر العالیه المكتوبه، التى نصّت على إبقاء أصحاب المناصب فى الحجاز على ما هم عليه، واحتوت الكتب كذلك على أوامر أخرى. ثمّ تمّ إهداء الخلعة الفاخرة التى أرسلها والى مصر إلى الشريف مسعود الذى أهدى من جانبه خلعةً فاخرةً إلى رضوان آقا، وإلى الوفد الذى كان يرافقه حسب درجتهم ومنزلتهم. ثمّ شرع المجتمعون بتلاوة الأدعية الخاصّة بهذه المراسيم تجلّت من خلالها عظمة الإسلام وعزّته، ثمّ تفرّق الجمع بعد ذلك. وبعد مرور ثلاثة أيام على وصوله إلى مكّة المكرّمة، دعا رضوان آقا إلى تجمّع فى داخل الحرم الطاهر يضمّ الشريف مسعود وأعيان المملكة وذلك للنظر فى أمر الأحجار والطين والغرين الذى تجمّع داخل الحرم الشريف، ومداخل المحل المقدّس بسبب السيل الذى حصل من قبل، ثمّ تشاور المجتمعون حول كيفة

ص: ١٥٢

تطهير وتنظيف تلك الأماكن، فأبدى الحضور آراءهم حول ذلك، وتلخصت في أنه من العسير القيام بتطهير وتنظيف الحرم الشريف في مدة قصيرة. ولأنّ الوقت كان يقترب من موسم الحج، وكانت القوافل تتوافد على مكّة المكرّمة من شتى الأقطار، رفض رضوان آقا كلّ الآراء التي قيلت في ذلك الاجتماع ولم يقبلها.

وأرسل رجاله إلى القرى والقصبات الواقعة بين المدينة المنورة وجدة، وأمرهم بجلب كلّ دابة مثل البغال والجمال واعطاء أصحابها ضعف الاجرة التي يحصلون عليها، واغرائهم بالحضور مع حيواناتهم إلى مكّة المكرّمة، فلمّا تمّ له ذلك بدأ بالعمل بهمة عالية وقام بتطهير البيت الحرام من الأحجار والطين خلال سبعة وعشرين يوماً وانتهى من ذلك في (١٩ من ذى القعدة الحرام).

والجدير بالذكر أنّ مادة الطين والحجارة اللتين جاء بهما السيل إلى داخل الحرم الشريف كانا قد اختلطا وتحجّرا تحت شعاع الشمس مكوّنتين طبقة صلبة في الحرم المذكور، بلغ ارتفاعها حوالي (٧-٨) أذرع ممّا تعذّر تكسيها حتّى بواسطة المعاول الحديدية. فكانوا يصبّون عليها الماء في الليل ليأتوا في اليوم التالي وقد لانت بعض أجزاء تلك الطبقة الجليّة فيعملون على تكسيها. وكان العمّال يفصلون الرمل عن الحجارة وينقلون كلّ مادة إلى جهة معيّنة ويضعونها على شكل ركام هناك.

وذكر المرحوم سهيلي أفندي في مضبطته، أنّه كانت تُنقل تلك الأحجار والطين والرمال وما إلى ذلك على نحو (٣٠-٤٠) ألف مرّة من الحرم إلى خارجه على الدواب. ولمّا امتلأ مجرى عين زبيدة من كثرة الأحجار والطين ابتلى أهل مكّة بعطش شديد وقلمة مياه الشرب، فقام رضوان آقا أيضاً بإصلاح وتعمير بعض أماكن ذلك المجرى الذي تهدّم فانتهى من هذا العمل والخدمة الجليّة في السادس من ذى الحجّة.

**كرامات ومعجزات بيت الله الحرام**



ص: ١٥٣

كرامات ومعجزات بيت الله الحرام

لَمَّا آلت الكعبة الشريفه، تلك البقعة المقدسه إلى السقوط، تغير طعم ماء زمزم وأصبح مُرّاً لا يُطاق شربه، فاجتمع العلماء الأعلام ورجال البلد وقروا تطهير وتنظيف البئر المذكورة قائلين: إن أهل الإيمان يحتاجون إلى شرب الماء من زمزم ويتحسرون على ذلك. إلماً أن تلك العملية كانت تحتاج إلى مبلغ كبير (٣٠) ألف قرش في ذلك الوقت، وصرف مبلغ كهذا كان بالطبع يتطلب أمراً من السلطان نفسه، ولم يكن رضوان آقا موكلاً بصرف مبلغ يزيد على (٥-٦) آلاف قرش، فقد أخبر رضوان آقا الجموع بأنه سيرسل بكتاب إلى والى مصر، ويطلب منه الإذن بصرف ذلك المبلغ، ولكي لا تبقى الأحوال هكذا ويتوقف العمل إلى حين وصول الجواب قرّر أن يشغل نفسه بعمل ما غير ذلك. هذا وقد توقّف رضوان آقا عن تطهير بئر زمزم حتى اشعار آخر. ومن جهة أخرى بدأت مرارة بئر زمزم الشريف تتناقص تدريجياً منذ البدء ببناء الكعبة الشريفه، ولما انتهت عملية البناء، صار ماء بئر زمزم حلواً بالمرّة، سائغاً شرابه وبهذا فهو لم يحتج إلى تنظيف ولا تطهير.

هذا وكان رضوان آقا قد كتب إلى والى مصر في أوائل ذى القعدة، ذاكراً كلّ ما يحتاجه من الأدوات والآلات والألواح والأخشاب التي يلزم تحضيرها للبناء، وطلب ارسال تلك المواد في أسرع وقت ممكن. وبمجرد وصول خطاب رضوان آقا قام والى مصر محمّد باشا بتحضير وتهيئة كلّ تلك المستلزمات على الفور، وأحضر كذلك بعض النجارين والحرفيين وأرسلهم جميعاً نحو الحجاز، فوصلت تلك الأشياء مع أصحابها جدّه في أواخر ذى القعدة وسلموا مسوّدّة تضمّ تلك الأشياء إلى أحمد قباني أفندي كاتب المالية في جدّه، وقام هذا الأخير (وحسب الأمر الذي كان لديه من قبل رضوان آقا) بإرسال تلك الأشياء إلى

ص: ١٥٤

مكة المكرمة في قافلتين. وقد وضعت الأشياء التي أرسلت في القافلة الأولى في البيوت التي تعرف بمضارب عبد الرحمن بن عقيق وحُفظت هناك. وأمّا رضوان آقا فكان قد أصلح ورَّم الطرق المائية التي كانت تمرّ بوادي خليص، والتي كانت قد تعرّضت للخراب من جزاء السيل، وذلك قبل وصول القافلة، ولهذا فقد انقطعت المياه عن تلك المناطق تماماً. وقد أصلح رضوان آقا المجرى المذكور وعمره، وبقي أياماً في الوادي المُشار إليه وبيّن لعلی بن شمس الدين مهندس مكة المكرمة كلّ الأماكن الخربة التي يتوجب إصلاحها وتعميرها. فجرت المياه في العين المذكورة في التاسع من ربيع الثاني وأقيدت تلك المياه إلى مكة المشرفة، وعاد بعد ذلك إلى مكة. وكان قد عين رجالاً لتحضير الحطب والفحم والجص وكلّ المستلزمات الأخرى التي يحتاجها بناء وتعمير الأماكن الشريفة، وأعطى كلّاً منهم ما يكفيه من الأجر إزاء ذلك، ثمّ جمع الأحجار التي كانت قد سقطت من تلك الأبنية، وتمّ وضعها في أماكنها المناسبة وأصلحت وعُمرت على أكمل وجه وأعطى النجارون والبناؤون الأوامر والتعليمات اللازمة حول ذلك. ولما كان قد شاع بين الأهالي أنّ الأحجار الخاصية بالأبنية ستوضع في أماكنها المناسبة، تردّدت أقوال بين الأهالي وكلّ عبّر عن ذلك بما ارتآه، فاعترض بعض العلماء ممّن لم يجيزوا ذلك على هذا العمل وقدّموا احتجاجهم إلى رضوان آقا. وكان من بين العلماء المعترضين، محمّد علي بن علان مُفتي الشافعية، إذ قال: إنّه ما لم يصل نائب أو وكيل معيّن من قبل السلطان لا يمكن الشروع في تلك الأعمال، وعلى الجميع أن ينتظروا أمر السلطان في كلّ الأحوال، وقد كتب العالم المذكور فتوى بذلك مصرّحاً برأيه.

فدعى رضوان آقا فقهاء المذاهب الأربعة للاجتماع في الحرم الشريف، وأخبرهم أنّ البعض قد اعترض على أعمال التعمير في بيت الله الحرام، وطلب

ص: ١٥٥

منهم أن يفتوه في أنه: هل يجوز لمن يرسله البلاط العثماني أن يتولى مسؤولية تلك التعميرات أم لا؟ فأجاب العلماء الأعظم من أهل الفتوى وكان من بينهم شيخ الإسلام خالد بن أحمد المالكي، وعبد العزيز الزمزمي (مفتي الشافعية) وأحمد بن محمّد آقا شمس الدين (مفتي الحنفيّة) وعبد الله بن أبي بكر القرشي (مفتي الحنابلة)، بما يلي: «إنّ هذا العمل فرض كفائي، وكلّ من أخذ على عاتقه عمل ذلك فله الأجر والثواب». وبعد صدور هذه الفتوى بدأ رضوان آقا العمل طبقاً لتلك الفتوى، وتهيئاً لإصلاح الأحجار المذكورة وترتيبها. إلّا أنّ الشيخ محمّد علي بن علان الذي كان على رأس المعارضين على ذلك كرّر اعتراضه وشجبه لتلك الأعمال، وحشد جمعاً غفيراً من الأهالي وأمرهم بمنع العمّال والنحّاتين من مواصلة أعمالهم ممّا حدى برضوان آقا إلى استدعاء علماء المذاهب الأربعة ثانية، وشرح لهم المسألة بالتفصيل وطلب منهم أن يفتوه بذلك. فذكر كلّ العلماء الحاضرين جملةً: «يجوز كلّ فعل ما دعت إليه ضرورة أو حاجة» وافتوا بجواز العمل بالتفصيل، واستطاعوا إقناع الحشود المعارضين، وإفهامهم الأمر على حقيقته، وأنّه لا بدّ من البدء بالعمل قبل وصول الأمر العثماني.

وجدير بالذكر أنّ المعارضين لم يكونوا ليعترضوا على إصلاح الحجارة، أو وضعها في أماكنها المناسبة بل كان اعتراضهم على غير ذلك كما ورد في كتاب قدّمه المهندسون وأبدوا ملاحظاتهم فيه. وإليك بعض الأسباب المجبرة التي استند عليها أولئك المعارضون:

السبب الأوّل:

أنّ الأحجار الساقطة من الأبنية المباركة لم تكن تصلح للاستعمال أبداً، لأنّ الكثير منها كان قد تعرّض للكسر، فلا يمكن والحال هذه تعمیر بيت الله الحرام بتلك الأحجار، ولذا وجب احضار كمّيّة كافية من

ص: ١٥٦

الأحجار من خارج البلاد.

السبب الثانى:

مع أنه يمكن بناء حائط يسند الحائط الذى لم يتهدم بعد وإصاقهما بعضهما ببعض، إلّا أنه وبمرور الوقت سيتهدم الحائط القديم إضافة إلى وجود جدران قديمة أخرى آتلة للسقوط، والتي يتوجب تهديمها ثم بناؤها من جديد وهو ما تفرضه قواعد الفن المعماري.

### وأما الجواب عن تلك الادعاءات

وأما الجواب عن تلك الادعاءات:

الجواب الأول:

لا يجوز الإتيان بأحجار من الخارج وإصلاح الأحجار المتكسرة، ويجب استخدام الأحجار الموجودة كما هي، أى أنه يجب ترميم وبناء الحيطان الخاصة بالأبنية المباركة بالأحجار القديمة الأصلية لتلك الأبنية.

الجواب الثانى:

أن تهديم الحيطان التي لم تتهدم يعدّ عملاً سهلاً، لكنّ الصعوبة تكمن فى أن أحجار هذه الحيطان لا يجوز إخراجها عن موضعها بل يجب إبقاؤها وبناء الكعبة الشريفة بها ممّا يشكّل عائقاً فى البناء.

ولا يظن أن المعترضين كانوا يطالبون بما قلناه فقط، بل أنهم إضافة إلى ذلك أرادوا أن يتدخل البلاط العثماني فى تلك العملية حيث إن واقعة تهديم بيت الله الحرام أمرٌ يتعلّق بالبلاط المذكور، لذا فلا يجوز بدأ العمل بالترميم والبناء، بل والبت فيه قبل صدور أمر عثمانى بذلك، وحتى إن كان الأمر يتعلّق بتنظيف الحرم الشريف واكساء الكعبة المشرفة بردائها الخاص. إضافة إلى ذلك فإنهم لم يجيزوا تهديم الحائط الواقع بين الركن اليماني والحجر الأسود بأي شكل من الأشكال، بينما كانوا يجيزون الجلوس داخل الكعبة، وتدرّس كتاب البخارى فى عقر تلك الدار المقدّسة ويحلّونه على الاطلاق. إلّا أنّ جميع تلك الادعاءات وكما رأينا كانت واهية ولا أساس لها من الصّحة، ذلك انّ عدم جلب الأحجار من الخارج

ص: ١٥٧

لن يؤمن وصول جدران بيت الله الحرام إلى ارتفاعه الأول، وإذا لم يُصلح ما بقي من الأحجار الأصليّة فإنّه وحسب قواعد الفن المعماري لن تستقر في أماكنها المناسبة، وأنّ إلصاق الجدار المائل بآخر جديد لا يجوز أبداً نظراً لعدم امكانيّة دوامه وبقائه. وأمّا اعتراضهم على تنظيف الحرم الشريف وتطهيره من الأحجار والطين وما إلى ذلك، فإن كان اعتراضهم هذا بسبب خوفهم من دخول الحيوانات والدواب إلى المسجد الحرام وهتكها لقدسيّة الحرم، فإنّه كذلك غير صحيح؛ لأنّ تلك الأحجار والطين لا يمكن نقلها خارج الحرم الشريف إلّا بواسطة تلك الدواب كما فضّلناه أعلاه، وأنّ تلك الحيوانات تقوم بهذه العمليّة في حوالي (٣٠-٤٠) ألف مرّة كلّ يوم وهو ما يصعب على الانسان تنفيذه ولو بمصاريف باهظة، وقد تطول مدّة التطهير إلى (٥) أو (٦) سنوات ممّا سيؤدّي إلى حرمان الحجّاج في تلك الفترة من الطواف وأداء مراسم الحج على النحو المطلوب، ولذا لا يمكن حتّى للجاهل قبول ذلك أو تجويزه، وبما أنّه يجوز إحاطة الكعبة المشرفة بالجدران الخشبيّة، وتنظيف الأماكن المهمّة وأداء التعظيمات الواجبة، حسب الفتاوى التي ذكرت في آخر هذه المقالة. وبما أنّ تدرّيس كتاب البخاري في داخل تلك البقعة المقدّسة غير جائز؛ لذا فإنّ رضوان آقا استند على تلك الفتاوى الصادرة من علماء المذاهب الأربعة وبدأ بالعمل بمقتضى ما حوّل إليه.

وقد أطلع محمّد باشا والي مصر كما ذكرنا الباب العالي في اسطنبول على الواقعة المؤلمة لتهدّم بيت الله الحرام، كما أخبره بذلك الشريف مسعود في كتاب مفصل، فقد أحدثت تلك الرسالة ضجّة كبيرة عند الباب العالي وأوصل الخبر إلى السلطان نفسه فأصدرت الأوامر إلى السيّد محمّد أفندي أنقروى (نقيب الأشراف) مطالبة إياه بالإشراف على تنفيذ الأعمال المطلوبة للبقعة المقدّسة

ص: ١٥٨

وإرجاعها إلى حالتها السابقة، وأصدر أمراً آخر إلى محمد باشا والى مصر لإرسال ما يستطيع إرساله من أموال الجزية المفروضة على الأقباط المصريين لتأمين احتياجات تلك العملية، وكذلك أمر والى مصر بتعيين شخص متدين ليكون أمين الأبنية المباركة وإيفاده إلى هناك لمراقبته سير العمل في تلك الأماكن المقدسة، فأوكل إلى سيد محمد أفندي (المذكور آنفاً) هذا المنصب وأرسله إلى مكة المكرمة وأعلم الشريف مسعود بالأمر السلطاني. فشكّل محمد باشا والى مصر مجلساً لتعيين وانتخاب شخص لمنصب أمانة الأبنية والأماكن المقدسة وذلك حسب الأمر الصادر له من السلطان العثماني، ودعى جميع المسؤولين في الحكومة وأعيان البلاد وخطب فيهم قائلاً: لقد أطلعتُ الباب العالي على تهديم بيت الله الحرام وأرسلتُ كتاباً إلى البلاط السلطاني يضمّ كتاب الشريف مسعود حول ذلك، وأمر جلالة السلطان بتعيين سيد محمد أفندي أنقروى (قاضي المدينة المنورة) للإشراف على التعميرات المطلوبة، وأمر جلالة كذلك بتعيين شخص متدين من مصر لأمانة الأبنية المذكورة، وأمر بتأمين مصاريف ذلك من خزينة مصر الشخصية. ويتضمّن الأمر السلطاني أيضاً إرسال خلعته إلى الشريف مسعود وأمر بتسليم البيروقراطية السلطاني إلى من يُعيّن بمنصب الأمانة المذكورة. وتعلمون بأنني قد أوفدت قبل هذا رضوان آقا، وقد أرسل رضوان آقا بدوره كتاباً ذكر فيه كل ما يحتاجه لتلك الأبنية، وقد عُين محمّد چاوش لمرافقة القافلة التي ستحمل هذه الأشياء إلى الحجاز، فإذا أرتأيتم أنّ رضوان آقا يليق بهذه المهمة فلنرسل محمّد چاوش إلى هناك حاملاً تلك المستلزمات معه، وإلا فاتفقوا على من ترضونه بديلاً لرضوان آقا لإتمام هذه المهمة. وبعد أن تداول المجتمعون وتبادلوا الآراء حول ذلك وتشاوروا فيما بينهم، اتفق الجميع على أنّ رضوان آقا هو الشخص المناسب واللائق لذلك لما عُرف عن تدينه واستقامته وأهليته في

ص: ١٥٩

مثل تلك الأمور، وقد تصدّى من قبل لأعمال من هذه وأبرز فيها قدرته ومعرفته، ولكي لا- نضيع وقتاً ثميناً نصرّفه في البحث والمداولة، فإننا لا نجد أنسب وأجدر منه للقيام بذلك.

فأرسلت العطيّة التي بعث بها السلطان إلى رضوان آقا وباقي الأشياء اللازمة؛ لكي يستطيع المشار إليه إتمام جميع الأعمال الخاصّة بالأبنية المقدّسة الموكّلة إليه. فنكون قد أدّينا واجبنا تجاه خزينة الدولة من حيث صرفها لتلك الأموال من جهته، وإلى الأماكن المقدّسة في الكعبة الشريفة من جهة أخرى.

وهكذا صادق محمّد باشا والى مصر على مأمورية رضوان آقا، ثم كتب رسالة مُفصّلة إلى الشريف مسعود وبعث بها بواسطة مأمور خاص محملاً إياه الفرقان والخلعة من قبل جناب السلطان إلى الشريف المذكور. وكان سيّد محمّد أفندي (في تلك الفترة في مصر) فأرسل مع الوفد الذاهب إلى مكّة المكرمة حاملًا معه الآلات والأشياء التي كان رضوان آقا قد طلبها من قبل. فحملت تلك المستلزمات إلى جهة قناة السويس، وشُحنت داخل سفينة القبطان هناك وهو محمّد بيك (قبطان السويس) لتُسلم بعد ذلك إلى رضوان آقا، وهكذا تحرّكت السفينة متّجهة إلى جدّة.

وصل محمّد بيك إلى ميناء ينبع في اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الثاني. فنزل محمد چاوش من على متن السفينة ثم امتطى جملًا وتوجّه إلى مكّة المكرمة قاطعاً الصحراء. فلما وصل بيّن تجديد مأمورية رضوان آقا قائلاً: مع أنّ سيد محمد أفندي لا يزال في مصر الآن، إلّا أنّ جميع الأمور الخاصّة بأبنية البيت المعظم المباركة قد فوّضت إلى باشا والى مصر بصورة تامّة، وقد عمّل اللازم ودوّنت الأوامر السلطانية المطلوبة؛ لكي يتم ذلك بالدقّة والعناية المطلوبتين. وقد عين محمد باشا رضوان آقا وكيلًا عنه لأداء هذه المهمّة الشريفة نيابة عنه.

ص: ١٦٠

هذا وقد وصل سيد محمد أفندي إلى مكة المكرمة بعد فترة وجيزة والتقى رضوان آقا وبحثا مسألة الأبنية المباركة للكعبة الشريفة بالتفصيل. وفي الوقت الذي كان يواصل محمد چاوش رحلته برّاً من ميناء ينبع إلى مكة المكرمة، كان محمد بيك يقطع البحر باتجاه ميناء جدة فوصلها في الحادي والعشرين من ربيع الثاني، وسَلَّمَ الأشياء التي كانت بعهدته، كالألات والألواح واللوازم الأخرى إلى أحمد قباني أفندي كاتب المالية طبقاً للقائمة المثبتة عنده لتلك المواد. ولَمَّا كان أحمد قباني أفندي يعلم أن الأبنية الشريفة بحاجة ماسّة إلى تلك الألواح والمواد، فقد هياً قافلة خاصّة في تلك الليلة مباشرة، وبعث بها إلى مكة المكرمة في الحال، فوصلت القافلة في صباح اليوم الثاني إلى البلدة الطيبة (مكة). وما إن وصلت هذه القافلة مكة توجه رضوان آقا على التّو وأحاط الكعبة الشريفة بتلك الألواح. ثم وصلت باقى المواد التي كانت في جدّة بعد ذلك بيوم واحد فوضعت في مخزن خاص وحُفظت هناك.

وهكذا سِتَرَتْ الكعبة عن أنظار عشاقها في الثاني والعشرين من ربيع الثاني بواسطة تلك الألواح احتراماً وتعظيماً لها عن رؤيتها بتلك الحالة. ولَمَّا كان سيّد محمد أفندي ناظر العمليات حاملاً لأمر السلطان، كتب إلى سيد عبد الكريم أفندي وكان أخاً للشريف مسعود، وإلى جميع الأشراف والأعيان والقاضى وشيخ الإسلام في مكة المكرمة يدعوهم فيها إلى الاجتماع في داخل الحرم الشريف وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الثاني وفي ساعة معيّنة.

وفعلًا تمّ الاجتماع داخل الحطيم الشريف، وقُرِئَ الأمر السلطاني الذي كان يخاطب الشريف (مسعود) شخصياً. ولَمَّا كان الشريف مسعود مريضاً راقداً في سريره، لم يستطع الحضور إلى ذلك الاجتماع، فأُرسلت الخلعة السلطانية التي بعث بها السلطان إلى دار المشار إليه، ثم ألبس رضوان آقا الخلعة التي أرسلت



ص: ١٦١

إليه أمام الحضور، وألبس سيد علي بن إفرح وباقي الخدّمة هناك خلعاً كذلك حسب ما كان متعارفاً عليه في ذلك الوقت، وبدأ الحاضرون بالدعاء لرفعة الإسلام وشموخه. وأُهدى إلى رضوان آقا كذلك البيرق السلطاني نظراً لخدمته الجليلة. هذا ولأنّ رضوان آقا لم يشأ أن تُناط إليه أعمال غير تلك الأعمال المقدّسة التي خدم فيها الأماكن الشريفة، فقد طلب أن تُناط إليه مأموريه شيخ الحرم (في المدينة المنورة) لأنّه كان مولعاً كما ذكرنا بالأعمال الخاصّة بالأماكن المقدّسة. فقبِلَ طلبه، ووكلت إليه قصبه جدّه المعمورة ومنصب شيخ الحرم لدار الهجرة. ولما أنهى رضوان آقا مأموريته على أحسن وجه رجع إلى اسطنبول، ثمّ وُكِّل إليه منصب بيكسر بيكي كرى كذلك لكنّه لم يقبل ذلك المنصب.

وقد ورد في الرسالة التي بعث بها محمد باشا والى مصر إلى الشريف مسعود: أن الوالى يحثّ الشريف مسعود لبذل كلّ الجهود والمساعدة من أجل إتمام عملية البناء والتعمير المذكورتين وأن يستعين بمن شاء لإنهاء ذلك. فسُيِّرَ الشريف مسعود بذلك كثيراً، وبعث يشكر الوالى المصرى على ايكال تلك المهمّة إليه، وأهدى خلعاً إلى رضوان آقا والوفد المرافق له. ثمّ انتقل بعد ذلك الشريف مسعود إلى الملكوت الأعلى فى السابع والعشرين من ربيع الثانى تاركاً منصبه شاغراً. وقد أدّى رحيل الشريف مسعود إلى إحداث ضجّة بين الأهالى. ممّا حدى برضوان آقا إلى استخدام كلّ طاقاته وملكاته الرفيعة والعمل على نشر الهدوء والأمن فى تلك المنطقة، ثمّ أعلن أنّ كلّ من يسعى إلى نشر الفوضى والإخلال بالأمن هو مهدور الدم. وقد قرأ المنادون هذا الاعلان فى الأزقة والأسواق والمحلّات على الناس. وأما الشريف مسعود فبعد تجهيزه وتكفينه والصلاة على جنازته فى الحرم الشريف أُقيمت له مراسم التشييع ثمّ دُفن فى

ص: ١٦٢

مقبرة المعلماء، وقد دعى رضوان آقا جميع الأعيان والأشراف في مكة والقاضي وشيخ الحرم وذوى المقامات والمناصب العليا من الأهالي وغيرهم فحضر الجميع في الحرم الشريف. ثم خاطب رضوان آقا السيد الشريف عبد الله ابن حسن (والذى كان فى ذلك الوقت مفخرة آل عبد مناف ومُنتخب السادات والأشراف) بقوله: يا سيدنا، نعلمكم أنه بشهادة ومصادقة جميع الحاضرين فى هذا الحشد، وكذلك الموجودين فى كل الأماكن والنواحي، يُناط إليكم المنصب الأميرى الجليل والرتبة العال العال للشرف على الأشراف، والذى هو حقكم الصريح والواضح فنرجو منكم أن تلبسوا خلعة الإمارة الفاخرة، وأن تبدأوا بضبط وإحكام أمور المملكة. وهكذا أطفئت نار الفتنة والفوضى التى أراد أهل الضلال والفساد تأجيجها.

ومع أن سيد عبد الله أفندى كان معارضاً لهذا التكليف الذى وكله رضوان آقا إلى الشريف عبد الله بن حسن، إلا أن جميع الحاضرين من الأعيان والأشراف والعلماء الأعلام فى مكة المكرمة خاطبوا الشريف عبد الله بن حسن قائلين: «إن التكليف الذى وكل إليكم من قبل رضوان آقا نافع للدين والدولة، ونحن كذلك نطلب منكم قبول هذا المنصب». فلبس الشريف المذكور خلعة خضراء (١)، وشرع بالقيام بمهام عمله فى حفظ الأمن ومنع الفوضى.

لقد أنقذ عمل رضوان آقا البلاد من فتنة كبيرة، وطرد الأوهام التى عشعشت فى أدمغة الأهالي، فشكر له الخلائق عمله ذاك والخدمة الجليلة التى قدمها للكعبة المشرفة، فكانت تلك إحدى خدماته الفرعية فى الواقع التى برز فيها كما هو ديدنه. هذا وقد بقيت الأحجار الساقطة من جدران الكعبة الشريفة داخل الحرم المبارك متناثرة هنا وهناك، فاجتمع الأشراف والأعيان فى المملكة وخدمته بيت

١-١ الخلعة الخضراء: الثوب الذى يرتديه شريف مكة فى تلك الفترة.

ص: ١٦٣

اللّه الحرام فى يوم الجمعة غُزّة جمادى الأولى فى الحرم الطاهر، وجمعوا الأحجار التى كانت موجودة فى الحرم، فوُضِعَ قسم منها قرب الركن العراقى تجاه المقام الحنفى، وأقاموا عليها خيمه تحفظها. ثم جمع الخدمه ما تبقى من الحجر ووضعوه قرب المدرسه السليمانيه، وأحضِرَ الكثير من أساتذته النحت من خارج البلاد.

وكان المرحوم الشريف مسعود قد وضع قناديل الذهب والفضه الخاصه ببيت الله الحرام قرب محلّه باسقليه. وقد أُخرجت تلك القناديل فى اليوم المذكور ووضّبت الواحده تلوا الأخرى وطُوبقت مع سيجلّ خاص بها ثم سيّلمت إلى رضوان آقا. فكان من تلك القناديل ثمانى عشره مصنوعه من الذهب وإحدى وثلاثون مصنوعه من الفضه فكان مجموع الكلّ إحدى وخمسين قطعه.

ثم اجتمعت الهيئه المذكوره فى يوم السبت (الثانى من جمادى الأولى) ووضعوا الأحجار التى كانت فى أطراف الركن العراقى تجاه المقام الحنفى، ثم رُفعت أحجار المرمر الخاصه بالمطاف الشريف ووضعوا فى مكان ما قرب باب السده. هذا وبدأ الحجارون بتسويه وترتيب الحجارة الساقطه من الكعبه الشريفه، وشرع النجارون كذلك بقطع الأخشاب والألواح اللازمه.

ثم خلعت باب خزينه الشموع (وهى عباره عن نصف سقايه عباس بن عبد المطلب) فى الثالث من جمادى الأولى، وأُخرج الحزام الذى كان قد أرسله السلطان أحمد خان، وأحضِرَ جمع من الصاعه بحضور قاضى مكّه وشيخ الحرم وسائر الأعيان فى البلاد، وفصلوا الذهب والفضه عن الحزام المذكور، فأخرجوا من صفائح الحديد لذلك الحزام عشره آلاف درهم من الذهب ومئته وأربعه وعشرين درهماً من الفضه. إلّا أنّ ذلك لا يشمل الذهب والفضه التى كانت موجوده فى الجدار الذى يتوسط الركن اليمانى والحجر الأسود. فلو حُسِبَ الذهب والفضه الموجوده فى حزام هذا الطرف كذلك لوجب إضافة ثلث المقدار

ص: ١٦٤

المذكور إليها.

وقد أرسل محمد باشا والى مصر قدراً كافياً من الأخشاب والألواح والآلات بالسفينة عن طريق السويس إلى جدة. وقد تعرضت السفينة التي كانت تحمل تلك المواد إلى عاصفة هوجاء مما أدى في النهاية إلى غرقها في البحر، وقد وصلت أخبار غرقها إلى مكة المكرمة في يوم الجمعة (١٥ جمادى الأولى) مما تسبب في حزن وكآبة الأهالي هناك.

وفي اليوم الثالث والعشرين من الشهر المذكور، بُدئَ بتهديم جدران الكعبة المشرفة بعد أن أُحيط البيت الشريف بسور خشبي، وكان الغرض من ذلك هو منع الأهالي من النظر إلى العمال والمشتغلين في البيت الشريف، وهي الطريقة التي استخدمها عبدالله ابن الزبير قبل ذلك حيث أحاط البيت الشريف بستار مانع عندما أراد تهديم الكعبة.

وبينما كان النجارون مشغولين بإقامة السور حول الكعبة، كان رضوان آقا والشيخ من جهة ورئيس العمال من جهة أخرى يتباحثون في اختيار اليوم المناسب لتهديم البقعة المقدسة. وبعد ساعات من المباحثات قرّر الطرفان أن يكون يوم الأحد يوم تهديم وتخريب البيت العظيم. وفعلاً بُوشر العمل بذلك يوم الأحد الرابع والعشرين من الشهر المذكور بحضور الأشراف الكرام والعلماء الأعلام وسائر الأهالي هناك. فأُحيطت جدران الحرم الشريف من الخارج بسور من الألواح الخشبية إلى ارتفاع ستة أذرع، وفتحوا طريقاً يستطيع من خلالها أهل الطواف تقبيل واستلام الحجر الأسود، كما فعل ابن الزبير ذلك من قبل أيضاً. وكان الطائفون يطوفون حول الكعبة خارج السور الثاني المُحاط بها.

وقد وُضعت سقالة متينة وقوية في أطراف السور الأربعة.

وكان هدف رضوان آقا من بناء تلك السقالة تسهيل ذهاب ومجيء

ص: ١٦٥

البنائين، وسهولة تنقل العمال الذين كانوا ينقلون الطين والحجر. وبعد انقضاء سنته أو سبعة أيام على تلك الأعمال، استخرج ما تبقى من الحزام الحديدي الذي كان فوق جدار الحجر الأسود (١) وذلك في غرة جمادى الآخرة، ثم اجتمع في اليوم الثاني من الشهر المذكور الشريف على بن بركات وسادة البلدة صباحاً في دائرة الحطيم الشريف، ولاحظوا مع رضوان آقا جدران بيت الله الحرام، التي لم تتهدم بعد مع سقفه. وقد حضر هناك أيضاً معماريو الأبنية الشريفه ومهندسو البلاد عموماً. فعابن المهندسون والمعماريون الأماكن المذكورة وفحصوها بدقة وانتظام. فتوضّوا إلى أنّ الجدران التي لم تتهدم وسقف الدار الشريف قد أصابها التهرؤ والفساد فخطبوا الحضور قائلين أنّ أبنية هذه البقعة الشريفه قد تحركت وترحلت عن موضعها الأصلي، وها نحن نُخبركم بأنّ لا تتهمونا بالتقصير والإهمال وإخفاء الحقيقة عنكم، وقد قلنا ذلك من قبل أمام فقهاء المذاهب الأربعة وقاضي أفندي وجميع الأشراف والأعيان في البلدة، وها نحن نكرّر ذلك مرّة أخرى أنّه لا يجوز تعمیر جزء من بيت الله الحرام والاقتصار على ذلك؛ لأنّ جميع أركان وجدران البيت الشريف آتلة للتهدم والسقوط في أيّ وقت؛ لذا فإنّ تجديد كلّ أجزاء البيت العظيم واجب وحتميّ، وقدّموا أدلتهم لإثبات ادّعاءاتهم أمام جميع المسلمين الحاضرين، وقد وافق الحضور على تلك التصريحات، وذلك لإسكات محمد علي بن علان الذي كان ضمن العلماء الذين اعترضوا من قبل، ذلك أنّ (ابن علان) لم يُجزّ تهديم جدران البيت ما دامت لم تسقط بعد، واستطاع بهذه الفرية خداع مجموعة من الناس وحرضهم على منع المهندسين والمشتغلين من تهديم الجدران، التي أصابها السيل وتهرأت بسبب ذلك لمجرد أنّها لم تسقط فعلاً. ممّا حدى برضوان آقا إلى التردّد في المسألة واستفسر من فقهاء المذاهب الأربعة ممّن ملأت شهرتهم الآفاق، فأجاب أولئك العلماء بفتواهم المشهورة

١-١ في النسخة الأصلية: شجر الأسود، وهو اشتباه من المؤلف على ما يظهر.

ص: ١٦٦

قائلين: «لا بأس بتجديد البناء ما دامت الضرورة تقتضى ذلك بشهادة أهل الخبرة على أن يصرف لذلك من المال الحلال». وبالاستناد إلى الورقة المختومة للمهندسين والمعماريين وشهادة أكثر المسلمين، فقد أُزيل الستار المكون من الألواح الخشبية، التي كانت موضوعه بدل الجدران المتهدمة، ورُفِعَتِ الأحجار المتبقية بكلِّ احترام وتعظيم، ووَضِعَتْ في محل قرب المدرسة الباسطية والذي تمَّ تعيينه من قبل.

وَبُدِيَ في يوم الأربعاء الرابع من جمادى الآخرة بعملية إنزال السقف الشريف، ولم يفارق رضوان آقا في ذلك اليوم المهندسين والمعماريين، وأنزل كذلك الذي كان فوق السقف المبارك، واللوحه التي كانت مخصّصة لربط الكسوة الشريفه، ووَضِعَتْ في خزينة الشموع، وُجِمِعَ ما سقط من التراب من السقف الشريف ووضع قرب المطاف.

وفي يوم الجمعة (السادس من جمادى الآخرة) اجتمع الشريف على ابن بركات والأعيان والعلماء وفقهاء المذاهب الأربعة داخل الحطيم الكريم، وشاهدوا العمارة الجديدة لبيت الله الحرام، وأكّدوا متانته وقوة البناء الجديد. هذا وقد حضر الاجتماع كذلك الشيخ محمد على بن علان الذي كان أحد المعترضين من أهل مكّة. فقام رضوان آقا وخطب بالجموع قائلاً: إنّ بن علان لا يرضى على هدم الجدران التي خرّبها السيل، ويُلقي بعض الأحاديث المحرّضة على العصيان، وإشعال نار الفتنة بهذا الخصوص ممّا تسبّب في إخلال الأمن والفساد بين الناس. فماذا أنتم قائلون؟ فصاح الحضور والفقهاء جميعاً: إنّ الجدران التي أريتموها إيانا، وحسب قول المهندسين والمعماريين يجب أن تهدم، ويُجَدَّدَ أساس بيت الله الحرام حيث وصل الأمر إلى درجة الوجوب. وأنزلت بقية السقف الشريف في يوم السبت السابع من جمادى الآخرة،

ص: ١٦٧

ووضع قسم منها قرب مدرسة السليمانية، بينما وضع القسم الآخر فوق الأحجار المتراكمة في أطراف بيت الله الحرام. وكان السبب في وضع الألواح في أماكن متفرقة هو عدم اصابتها عندما كانوا يهدمون الجدار الشريف، وسقوط أحجاره عليها وحمايتها من التلف.

وفي ظهر ذلك اليوم تم إنزال الجدار الشريف، أي ما تبقى من الجدار من جهة بئر زمزم، ثم في اليوم التالي (٨ جمادى الآخرة) أنزل الجدار الغربي، أي بقية كعبة الله الشريفة، الذي كان مقابل باب إبراهيم، واللوحه التي كانت موضوعة فوق هذا الجدار، ثم هدم الجدار اليماني أيضاً وهو بقية الجدار المقابل لباب الصفا.

ولما انتهت عملية هدم الجدار اليماني في (٩ جمادى الآخرة) يديى بتهديم بقية الجدران الأخرى لبيت الله الحرام وذلك يوم (١٠ جمادى الآخرة)، ثم هدموا العتبة العليا لباب الكعبة الشريفة في يوم الجمعة (١٤ جمادى الآخرة) فجاء بالباب العليا لبيت الله نهراً إلى الموقع الخاص الذي فيه الحجّارون الذين كانوا مشغولين بتنظيف وتسوية الأحجار الشريفة، ثم خلع وقلع الباب الشريف، ثم وُضِعَتْ واقفه في الخلوة التي كانت تقع تحت دار المرحوم ميرزا.

بعد ذلك هُدمت أحجار الشاذروان لبيت الله الحرام، والركن اليماني والأحجار الأخرى، التي كانت موضع استلام الطائفين الكرام، ووضع كل منها في أماكن مختلفة. وقد احتوت أحجار الشاذروان على بعض الحلقات الحديدية المكسوة بالذهب، والتي كانت مخصصة لربط الكسوة الشريفة.

وفي يوم الأربعاء (الثامن عشر من جمادى الآخرة) لم يبق حجر في طرف من أطراف جدران الكعبة سوى تلك التي كانت فوق وتحت الحجر الأسود، فأحضرت جميع الآلات والأدوات الخاصة بالحجارين والتجارين ووضعت في خزينة المال. وفي يوم الخميس (١٩ من الشهر المذكور) نُقِلَتِ الأحجار الكبيرة

ص: ١٦٨

إلى محل قريب من بيت الله الحرام؛ وذلك للبدء بحفر وتطهير أساس وجدران بيت الله الأربعة، وقد تمّ تعيين ذلك على أساس الأحجار الخضراء اللون الأصليّة للبناء الشريف، وأساسه الذي ظهر بعد ذلك وبُدِيَ بالتجديد عند الجانب الشامي من الكعبة الشريفة فوضِعَ صَفٌّ من الأحجار، وقد وُضِعَ أساس بيت الله في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الآخرة. من الأحجار الأساسية لكعبة الله حتى سقفها حسب الترتيب الذي سار عليه عبد الله بن الزبير. وُضِعَ (٢٥) صَفًّا من الحجر، إلّا أنّ الأحجار التي كانت موجودة على الأحجار خضراء اللون؛ ولأنّها كانت موجودة تحت شاذروان الكعبة لم تُحَسَّب مع تلك الصفوف. وقد عُدَّتْ الأحواض المائلة في يوم (٢٤) جمادى الآخرة، ثمّ نُقِلَتِ الأحجار التي كانت في الخارج إلى المطاف الشريف.

ثمّ جيءَ بأحجار جديدة من جبل شبيكة في اليوم الخامس والعشرين من جمادى الآخرة، ووضعت بالقرب من ضريح العارف بالله الشيخ محمود بن إبراهيم أدهم ونُحِتَتْ هناك، ثمّ حُمِلت إلى الحرم الشريف في المسجد الحرام من قبل الحمالين، ثمّ غُسِلت تلك الأحجار قرب المقام المالكي، وكانت تُنْقَل بعد ذلك إلى مقربة من جدران كعبة الله.

وفي اليوم السادس والعشرين من جمادى الآخرة شرع بالبناء على الأحجار، التي كانت قد وُضِعَتْ سابقاً وارتفع البناء من الجهات الأربعة الطائفين إلى أرضية المطاف، وقد حضر ذلك اليوم كلّ من شريف مكة وقضاة الحرمين المحترمين وشيخ الحرم وجميع العلماء وفقهاء أهل مكة للتمتع بذلك المشهد العظيم، فكان كلّ أولئك الرجال الحضور يتشرفون بحمل الأحجار ونقلها اعتقاداً منهم بأنهم بهذه الخدمة الجليلة ينالون منزلة رفيعة. وانشغلوا لمدّة، وبعد ذلك جاءوا إلى الحطيم الكريم وجلسوا هناك.



ص: ١٦٩

ولمّا كان رضوان آقا أيضاً معهم، فقد قام بعد مدّة وأخرج دفترًا من جيبه وقرأ اسم الشريف عبد الله وقاضى مكّة المكرّمة المعظّمة وشيخ الحرم ونائب ووالى البلدة المباركة وفقهاء المذاهب الأربعة وعشرين شخصاً آخرين كانوا مستخدمين فى خدمة البناء، ولكل واحد منهم ألبس خلعة وبعد ذلك ختموا مجلس البناء.

وفى اليوم الذى يُدعى بالعمل فى قواعد أساس بيت الله الحرام، قام أحد فضلاء مكّة المكرّمة وألقى قصيدة ارتجالية (رفع الله قواعد البيت) على المدعوّين المشار إليهم كما سُرح. وبعد أن زار المدعوّون أساس بيت الله عديم الإندراس، واكتسوا بالخلعة داخل الحطيم الكريم، وجلسوا بمعينة زوّار آخرين حول بيت الله وتلوا القرآن، عادوا.

وكان رضوان آقا يجمع الحُفّاظ وقراء القرآن كلّ يوم داخل المقامات الأربعة، ويبدأون بقراءة القرآن الكريم كلّ، وكان قد عيّن ثلاثة قُراء فقهاء يأتون كلّ يوم، ويقومون بقراءة سورة الفتح فى الوقت الذى يبدأ العمّال فيه بالبناء. هذا وقد أضاف رضوان آقا باباً إلى المحيط والمكوّن من الألواح وسلّم، مفتاح تلك الباب إلى شخص عيّنه هو بنفسه، وكان كلّما فُتحت تلك الباب فى الصباح كان القراء الموجودون داخل المقامات الأربعة قد انتهوا من ختم القرآن المجيد، وإذا بُدئ العمل فى جدران الكعبة، قام الحُفّاظ الموجودون فى المقام الحنفى بتلاوة سورة الفتح المباركة. هذا وقد دامت تلك الأصول والتقاليد حتّى الانتهاء من بناء البقعة المشرّفة لبيت الله الحرام، إذ كان القرآن يُختم كلّ فى يوم واحد وتقرأ سورة الفتح بعد ذلك. وكانت الأيام (٢٦، ٢٧، ٢٨ من جمادى الآخرة) قد خُصّصت لتحضير الأدوات واللوازم الخاصّة بالأحجار المتعلّقة بالصف الثانى للبناء وترتيبها، ثمّ بُدئ بتنفيذ الأحجار للصف الثانى فى (٢٩) من الشهر المذكور، ثمّ

ص: ١٧٠

وُضِعَ الحجر المبارك في اليوم الثلاثين من ذلك الشهر في زاوية من الركن اليماني، ثم أُذِيب مقدار كافٍ من الرصاص وُصِبَ على المكان المتكسر له من سائر جهاته فالتأم مع بعضه.

وأثناء وضع الحجر المبارك في محله الشريف قام الأمين على مفتاح البيت المبارك بإحضار العطور الخاصية وعطّر بها الحجر المذكور والأحجار الموجودة عند أطرافه. وبعد أن وضع البناؤون الحجر المبارك في محله الشريف وأحكموا عليه من كل جهاته بدأوا بتنفيذ أحجار الصف الثاني للركن الغربي والجدار الشامي، وانتهوا من إتمام ووضع أحجار الصف الثاني لأركان البيت الحرام الأربعة في اليوم التالي، الذي كان الأول من شهر رجب المرجب.

وشرع في (٢) رجب بتخمير وتصفيه الطين وتحضير أحجار الصف الثالث، ثم وضعت العتبة الشريفة لباب الكعبة الطاهرة على الأحجار المرصوفة، ثم شرع الصاغة الموجودون بوضع إناء النحاس المخصّص للحجر الأسود في مكانه وُثِبَت بالفضة، وأما الحجارون فقد قاموا بوضع ثلاثة ألواح ضخمة داخل بيت الله الحرام وتركيزها هناك بمعونة الحمالين، وتمّ نقل مصراعي باب الكعبة المطهرة إلى الباحة المقدسة لبيت الله الحرام.

هذا وقد انتهت الأعمال الخاصة بالكعبة الشريفة في أواخر شهر رمضان المبارك من تلك السنة وتمت بكل دقة وعناية.

وقد كُتِبَ على لوحة عُقِّت في أعلى الباب الشريف للكعبة الطاهرة فوق اللون اللاجوردى للباب الذهبية ما يلي:

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَبَكَّةَ مَبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ

فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (١)، وكُتِبَت الآيات التالية تحت تينك الآيتين الشريفتين:

## تاريخ اللوح

ص: ١٧١

تأريخ اللّوح

اللّوح لما استرم مجدداً قد بدّل السلطان أحمد عسجداً

قيد الله من حديد ذو جدا الله أنعم بالمجدد أيّدا

ألهمت في تأريخه لما بدا للّوح والسلطان أحمد جدداً وبعد أن علّقوا القطعة الشريفه المذكوره، أنزلوا الكسوة العتيقه وعلّقوا ستاراً جديداً كما سنذكر ذلك بعد هذا في محلّه. وكانت العاده والتقاليد بين السلاطين والملوك تقضى بتقسيم الكسوة المباركه القديمه بين خُدام بيت الله الحرام إلّا أنّ الشريف عبد الله وأمين المفتاح وعموم الخُدام في بيت الله الحرام وكلّ الذين كان لهم حقّ في تلك الكسوة تنازلوا عن حقّهم إلى رضوان آقا وذلك لما قدّمه من سعي وهميّه، وبذله من جهد تجاه البيت العتيق وأهدوا إليه الكسوة وأصرّوا عليه لقبولها، فقبلها رضوان آقا وقسّم (٤٠) ألف ليره على خُدام بيت الله هديّه منه. وأمّا رضوان آقا فقد قدّم بدوره تلك الكسوة الشريفه هديّه إلى السلطان لما امثل أمامه في بلاطه وشكر جناب السلطان هميّه وسعى رضوان آقا، وكان موضع احترامه وتقديره.

وفي اليوم الخامس من شهر شوّال إفتتحوا البيت الشريف فدخل الرجال والنساء وأدوا واجبات العبوديه لله تعالى.

الهوامش:

**الحجّ البدلي**



ص: ١٧٣

الحجج البذلى

محمد على المقدادى

قال الله الحكيم: (

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) (١).

إن الاستطاعة من أهم شرائط وجوب الحج، كما دلت عليها الآية المباركة والروايات الواردة عن رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

والاستطاعة على ثلاثة أقسام: ١- الاستطاعة البدنية، ٢- الاستطاعة المالية، ٣- الاستطاعة البذلية.

فالاستطاعة البدنية خارجة عما نحن فيه وإن كان لها دخل فى إتيان الحج.

وأما الاستطاعة المالية فتحصيلها تارة يكون من مجراه الطبيعى وهو تملك الزاد من طرقه المشروعه وتهيئه الراحله، وتارة أخرى تحصل الاستطاعة ببذل البازل وعطائه وهبه الواهب وإباحته، وهذه الأخيرة هى التى نسميها بالاستطاعة البذلية.

١- ١ سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

ص: ١٧٤

وقبل الخوض في البحث لابد من أن نتعرض إجمالاً إلى معنى البذل عند أهل اللغة ثم نتابع دراستنا وبالله التوفيق.  
قال الطريحي: والبذل: العطاء.

وبَدَلَ بَدَلًا من باب قَتَلَ: سَمَحَ وأَعْطَاهُ وجَادَ به وهو يناقِضُ المنع (١).

وقال ابن منظور في لسان العرب:

بَذَلَ / البَذْلُ: ضد المنع.

بَدَلَهُ يَبْدُلُهُ بَدَلًا: أَعْطَاهُ وجَادَ به (٢).

وقال الفيومي في المصباح المنير:

بَدَلَهُ: (بَدَلًا) من باب قَتَلَ: سَمَحَ به وأَعْطَاهُ و (بَدَلَهُ) أَباحه عن طيب نفس (٣).

فمعنى البذل هو العطاء والإباحة عن طيب نفس من ناحية المعطى (الباذل) إلى الآخذ والقابل (المبذول له).

وعلى ذلك فالحجج البذلي هو إعطاء ما يحجج به بحيث يصير ذلك الشخص مستطيعاً بسبب هذا الإعطاء. وبعبارة أخرى: الحجج البذلي هو إعطاء الاستطاعة وبذلها إلى من ليس بمستطيع أن يحجج.

١-١ مجمع البحرين ١: ١٧١.

٢-٢ لسان العرب ١١: ٥٠.

٣-٣ المصباح المنير، الجزء الأول: ٤١.

ص: ١٧٥

## آراء الفقهاء فى المسألة

آراء الفقهاء فى المسألة:

أجمع فقهاء الإمامية على أنه لو بذل باذل نفقة الحج لمن لم يكن له زاد وراحلة ويقال للمبذول له: حجّ وعلّى نفقتك، وجب عليه الحجّ؛ لأنه صار بذلك مستطيعاً، ولا فرق بين أن يكون الباذل أباحه له أو ملكه، كائناً من كان الباذل. وعن الشافعى أنه إذا بذل له ولده ما يتمكّن به من الحجّ لزمه، لأنه أمكنه الحجّ من غير منة (١).

دو فصلنامه «مقات الحج»، ص: ١٧٥

وفى إشارة السبق: ... ومن حجّ ببذل غيره له ما يحتاج إليه لكونه فاقد الاستطاعة، صحّ حجّه ولا يلزمه قضاؤه لو استطاع بعد ذلك (٢). وفى النهاية:

... ومن ليس معه مال وحجّ به بعض إخوانه، فقد أجزأه ذلك عن حجّة الإسلام، وإن أيسر بعد ذلك، إلّا أنه يستحبّ له أن يحجّ بعد يساره، فإنّه أفضل (٣).

وقال المحقّق الحلى رحمه الله: لو بذل له الركوب والزاد، وجب عليه الحجّ مع استكماله بقیة الشروط، لتحقق الاستطاعة، وكذا لو حجّ به بعض إخوانه أو خدماً حاجاً ويوصل معه، ودلّ على ذلك روايات ... (٤).

وقال صاحب الحدائق رحمه الله: ظاهر الأصحاب (رضوان الله عليهم) الإجماع على أنه لو بذل له باذل الزاد والراحلة ونفقة له ولعياله، وجب عليه الحجّ وكان بذلك مستطيعاً، وتدلّ عليه جملة من الأخبار ... (٥).

وقال صاحب الجواهر رحمه الله: وكيف كان فلو بذل له زاد وراحلة ونفقة له بأن استصحبه فى الحجّ وأعطى نفقة لعياله إن كانوا، أو قيل له: حجّ وعلّى نفقتك ذهاباً وإياباً ونفقة عيالك، أو لك هذا حجّ به وهذا لنفقة عيالك، أو أبذل لك استطاعتك للحجّ، أو نفقتك للحجّ وللإياب ولعيالك، أو لك هذا للحجّ بما يكفيك منه وتنفق بالباقي على عيالك، ونحو ذلك، وجب عليه الحجّ من حيث الاستطاعة إجماعاً محكياً فى الخلاف والغنية وظاهر التذكرة والمنتهى وغيرهما إن لم يكن محصّلاً، وهو الحجّة بعد النصوص المستفيضة أو المتواترة (٦).

وقال الفقيه اليزدى رحمه الله: إذ لم يكن له زاد وراحلة ولكن قيل له: حجّ وعلّى نفقتك ونفقة عيالك وجب عليه، وكذا لو قال: حجّ بهذا المال وكان كافياً له ذهاباً وإياباً ولعياله، فتحصل الاستطاعة ببذل النفقة كما تحصل بملكها (٧).

وقال رحمه الله فى موضع آخر: لافرق فى البازل بين أن يكون واحداً أو متعدداً، فلو قال له: حجّ وعلينا نفقتك، وجب عليه (٨).

١- ٤ المغنى، لابن قدامة ٣: ١٧٠.

٢- ١ إشارة السبق، للحلبى: ١٢٧، من كتاب «الجوامع الفقهية».

٣- ٢ النهاية، للشيخ الطوسى رضى الله عنه: ٢٠٤.

٤- ٣ المعبر ٢: ٧٥٢.

٥- ٤ الحدائق الناضرة ١٤: ٩٩.

٦- ٥ جواهر الكلام ١٧: ٢٤١.

٧-٦ العروة الوثقى ١: ٤٤٥.

٨-٧ المصدر نفسه ١: ٤٤٩.



ص: ١٧٦

وقال الإمام الراحل الخمينى الكبير (قدس الله روحه): لو لم يكن له زاد وراحلة ولكن قيل له: «حجّ وعلى نفقتك ونفقة عيالك» أو قال: «حجّ بهذا المال» وكان كافياً لذهابه وإيابه ولعياله وجب عليه، من غير فرق بين تملكه للحجّ أو إباحته له، ولا بين بذل العين أو الثمن، ولا بين وجوب البذل وعدمه، ولا بين كون الباذل واحداً أو متعدداً، نعم يعتبر الوثوق بعدم رجوع الباذل، ولو كان عنده بعض النفقة فبذل له البقية وجب أيضاً، ولو لم يبذل تمام النفقة أو نفقة عياله لم يجب، ولا يمنع الدين من وجوبه (١).

وقال الشيخ الطوسى رحمه الله فى الخلاف: إذا بذل له الاستطاعة لزمه فرض الحج، وللشافعى فيه وجهان: أحدهما مثل ما قلناه، والثانى وهو الذى يختارونه أنه لا يلزمه. - دليلنا - إجماع الفرقة والأخبار الواردة فى هذا المعنى، وأيضاً قوله تعالى: (

من استطاع إليه سبيلاً)

وهذا قد استطاع (٢).

أقول: لم أجد بين الإمامية من خالف فى وجوب الحجّ بالنسبة للمبذول له، فحينما وثق المبذول له بقول الباذل ووثق أيضاً بأنه لا يرجع عن قوله: «حجّ وعلى نفقتك» فعليه الإقدام فى إتيان ما وجب عليه.

وما نقله الشيخ الطوسى رحمه الله عن الشافعى فى أحد قوليهِ الموافق لما اختاره الشيخ فهو الذى نقلنا عن المغنى قبل قليل بأنه يجب على الوالد أن يقبل ما بذله ولده للحجّ، فراجع (٣).

ولا يخفى أن للشافعى قولاً آخر فى قبول الصلّة ويقول: الصلّة لا تحرم على أحد من الناس ... وإنما السبيل الذى يوجب الحجّ أن يجد المؤنة والمركب من شىء كان يملكه قبل الحجّ أو فى وقته (٤).

وفى كتاب الفقه على المذاهب الخمسة: البذل - جاء فى كتاب المغنى للحنابلة: «إذا بذل شخص مالا لغيره فلا يجب عليه أن يقبل البذل، ولا يصير

١-١ تحرير الوسيلة ١: ٣٧٧.

٢-٢ الخلاف، للشيخ الطوسى ١: ٣٧٣.

٣-٣ المغنى ٣: ١٧٠.

٤-٤ كتاب الأم، للشافعى، الجزء الثانى: ١١٦.

ص: ١٧٧

مستطيعاً بذلك، سواء أكان البازل أجنبيّاً أم قريباً، وسواء أبذل له الركوب والزاد، أم لا. وعن الشافعى أنّه إذا بذل له ولده ما يتمكّن به من الحجّ لزمه؛ لأنّه تمكّن من الحجّ من غير منّة تلزمه، ولا- ضير يلحق به». وقال الإمامية: إذا أعطاه مالاً على سبيل الهدية دون أن يشترط عليه الحجّ لم يجب عليه كائناً من كان البازل، وإن بذل مشروطاً عليه الحجّ وجب القبول، ولا يجوز أن يرفض، حتّى ولو كان البازل أجنبيّاً؛ لأنّه والحال هذه يكون مستطيعاً (١).

### اهل السنّة وأقوالهم فى المسألة

أهل السنّة وأقوالهم فى المسألة:

لم أجد حتّى رواية واحدة حول الحجّ البذلى فيما عندهم من كتب الحديث وإنّما الموجود هو الأقوال المنقولة عن علماء المذاهب الأربعة السنيّة، نستعرضها:

### المذهب الشافعى

المذهب الشافعى:

قال الشافعى فى كتاب الأم: ومن كفاه غيره مؤونته أجزاءً عنه متطوعاً أو بأجرة لم ينتقض حجّه إذا أتى بما عليه من الحجّ، ومباح له أن يأخذ الأجرة ويقبل الصدقة، غنياً كان أو فقيراً، الصلّة لا تحرم على أحد من الناس، إنّما تحرم الصدقة على بعض الناس. وليس عليه إذا لم يجد مركباً أن يسأل ولا يؤاجر نفسه وإنّما السبيل الذى يوجب الحجّ أن يجد المؤونة والمركب من شىء كان يملكه قبل الحجّ أو فى وقته (٢).

وللشافعية قول آخر وهو أنّه لا يلزم الحجّ إذا بذل المال ولد أو أجنبى، ولا يجب قبوله، لما فى قبول المال من المنّة (٣). وهذا القول موافق لما سأنقل من ساير المذاهب السنيّة الأخرى، وأمّا ما نقلت من كتاب الأم فهو موافق لمذهب الإمامية كما لا يخفى.

### المذهب الحنفى

١- ١ الفقه على المذاهب الخمسة: ١٩٤.

٢- ٢ كتاب الأم، للشافعى، الجزء الثانى: ١١٦.

٣- ٣ الفقه الإسلامى وأدلته، وهبة الزحيلي ٣: ٣٣.

ص: ١٧٨

المذهب الحنفى:

ونرى فى فقه مذهب أبى حنيفة أنه لا يجب قبول الحج البدلى، من دون فرق بين من تعتبر منته أو لا. قال فى كتاب الفتاوى الهندية، فى مذهب أبى حنيفة: ومنها القدرة على الزاد والراحلة بطريق الملك أو الإجارة دون الإعارة والإباحة، سواء كانت الإباحة من جهة من له منته عليه كالوالدين والمولودين. أو من غيرهم كالأجانب. كذا فى السراج الوهاج. ولو وهب له مال ليحج به لا يجب عليه قبوله سواء كان الواهب ممن تعتبر منته كالأجانب أو لا تعتبر كالأبوين والمولودين، كذا فى فتح القدير (١).

## المذهب الحنبلى

المذهب الحنبلى:

ونرى فى فقه هذا المذهب ما رأينا فى مذهب الحنفية من عدم لزوم الحج البدلى. قال ابن قدامة الحنبلى: ولا يلزمه الحج ببذل غيره له ولا يصير مستطيعاً بذلك، سواء كان البازل قريباً أو أجنبيّاً وسواء بذل له الركوب والزاد أو بذل له مالاً. وعن الشافعى أنه إذا بذل له ولده ما يمتكّن به من الحج لزمه لأنه أمكنه الحج من غير منته تلزمه ولا ضرر يلحقه، فلزمه الحج كما لو ملك الزاد والراحلة. ولنا أن قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم «يوجب الحج الزاد والراحلة»، بتعيين فيه تقدير ملك ذلك أو ملك ما يحصل به بدليل ما لو كان البازل أجنبيّاً، ولأنه ليس بمالك للزاد والراحلة ولا ثمنهما فلم يلزمه الحج كما لو بذل له والده ولا نسلم أنه لا يلزمه منته، ولو سلمنا فيبطل ببذل الوالد وبذل من للمبذول له عليه أيادى كثيرة ونعم (٢). انتهى كلام ابن قدامة.

١-١ الفتاوى الهندية فى مذهب أبى حنيفة ١: ٢١٧.

٢-٢ المغنى، لابن قدامة ٣: ١٧٠.

ص: ١٧٩

وفيه أنه لماذا لا يلزم قبول ما بذل؟ فإذا قبل ما بذله الباذل فله التصرف في الشيء الموهوب له وأن يصرفه في طريق الحج. ثم إن ما نقله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

يوجب الحج الزاد والراحلة، فلم يصرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم باشتراط الملكية القبلية فيهما، لأنه يمكن إحراز الزاد والراحلة ولو من طريق قبول الهبة وغيرها وقبولها جائز بلاشك، أضف إلى ذلك أن الهبة نوع من أنواع التمليك؛ لأننا نرى في تعريف الهبة: أن الهبة هي تمليك العين من غير عوض (١).

وعلى ذلك فالمبذول له بعد الوثوق بعدم رجوع الباذل عن قوله، يمكن له أن يمتلك الزاد والراحلة أو أثمانهما من قبل الباذل، وبعد التملك يجب عليه إتيان الحج؛ لأن المبذول له قد استطاع: ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً).

## المذهب المالكي

المذهب المالكي:

ومذهب مالك: لا يجب الحج بالعطية من هبة أو صدقة بغير سؤال، ولا بالسؤال مطلقاً أي سواء أكانت عادته السؤال أم لا، لكنّ الراجح أن من عادته السؤال بالحضر، وعلم أو ظن الإعطاء في السفر ما يكفي، يجب عليه الحج، أي أن معتاد السؤال في بلده يجب عليه الحج بشرط ظن الإعطاء، وإلا فلا يجب عليه (٢).

ونرى مذهب المالكية أيضاً في كتاب هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك: ... أن من كانت عادته السؤال في بلده وإن سأل في الطريق أعطى لا- يعتبر في حقه القدرة على ذلك ويلزمه الحج، بخلاف من لا يسأل في بلده وإن كان إذا سأل في الطريق أعطى (٣).

وفيه ما لا يخفى، حيث إنهم قالوا بعدم وجوب الحج على من أعطى له الزاد

١- ١ شرح للمعة ٢: ٢٣١ طبريز، رحلى.

٢- ٢ الفقه الإسلامي وأدلته ٣: ٢٨.

٣- ٣ هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك ١: ١٨٧.

ص: ١٨٠

والراحلة ولكنهم أفتوا بلزوم الحج على من يسأل الناس! وهو يصير مستطيعاً بذلك الأمر المرجوح الذي ذكره رئيس هذا المذهب في كتابه (١). والعجب أن من يأخذ الهبة للحج بطيب نفس من الواهب، لا يصير مستطيعاً ولا يجب عنه القبول!

## روايات الباب

### ١- روايات أهل السنة

روايات الباب:

١- روايات أهل السنة:

بعدهما راجعت كتب أهل السنة الروائية والفتوائية، كصحيح المسلم، وصحيح البخاري، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، والسنن الكبرى للبيهقي، والمبسوط للسرخسي، والمحلّي لابن حزم، والموسوعة الفقهية (الكويت) و...، لم أجد رواية صريحة حول الحج البدلي. وكل ما عثرت عليه إطلاقات وردت في كتبهم:

نقل البغوي في مصابيح السنة عن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً تَبْلُغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحْجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ( وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا )» (٢).

ونقل الشوكاني في نيل الأوطار عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عز وجل ( من استطاع إليه سبيلاً )

قال: قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة. رواه الدارقطني (٣).

ونقل أيضاً عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الزاد والراحلة يعني قوله: ( من استطاع إليه سبيلاً )

رواه ابن ماجه (٤).

١- ١ أنظر: الموطأ لمالك بن أنس ٢: ٩٩٧-١٠٠٠.

٢- ٢ مصابيح السنة، للبغوي ٢: ٢٢٨، الدر المنثور ٢: ٥٦.

٣- ٣ نيل الأوطار، للشوكاني ٤: ٢- ٣٢١.

٤- ٤ المصدر نفسه.

ص: ١٨١

وروى الترمذى فى سننه عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! ما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة (١).

## ٢- روايات الإمامية

٢- روايات الإمامية:

١- روى الصدوق فى كتاب التوحيد عن العلاء بن رزين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله - عز وجل - ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً )

قال: يكون له ما يحج به، قلت: فمن عرض عليه فاستحى؟ قال: هو ممن يستطيع (٢).

٢- عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: قوله تعالى (

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً )

؟ قال: يكون له ما يحج به قلت: فإن عرض عليه الحج فاستحى؟ قال: هو ممن يستطيع الحج، ولم يستحى؟! ولو على حمار أجدع

أبتر، قال: فإن كان يستطيع أن يمشى بعضاً ويركب بعضاً فليفعل (٣).

٣- عن معاوية بن عمارة قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: رجل لم يكن له مال فحج به رجل من إخوانه. أيجزيه ذلك عن حجة الإسلام، أم هى ناقصة؟ قال:

بلى هى حجة تامة (٤).

٤- عن الإمام الصادق عليه السلام - فى حديث - قال: فإن كان دعاه قوم أن يحجوه فاستحى فلم يفعل فإنه لا يسعه إلا (أن يخرج) ولو على حمار أجدع أبتر (٥).

٥- نقل الشيخ المفيد رحمه الله فى المقنعة عن المعصوم عليه السلام قال: من عرضت عليه نفقة الحج فاستحى فهو ممن ترك الحج مستطعاً إليه السبيل (٦).

٦- عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من عرض عليه الحج ولو على حمار أجدع مقطوع الذنب فأبى فهو مستطع للحج (٧).

١- ١ سنن الترمذى ٣: ١٧٧، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢- ٢ وسائل الشيعة ١١: ٤-٣٣، الباب ٨ من أبواب وجوب الحج وشرائطه، الحديث ٢.

٣- ٣ التهذيب ٥: ٣-٤، الاستبصار ٢: ١٤٠/٤٥٦، وسائل الشيعة ١١: ٤٠-٣٣.

٤- ٤ وسائل الشيعة ١١: ٤٠، ١٤١٨٦.

٥- ٥ المصدر نفسه، ١٤١٨٧.

٦- ٦ المصدر نفسه، ١٤١٨٨.

٧- ٧ المصدر نفسه، ١٤١٩١.

ص: ١٨٢

٧- عن أبي أسامة زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً )

قال: سألته: ما السبيل؟ قال: يكون له ما يحج به، قلت: رأيت إن عرض عليه مال يحج به فاستحيى من ذلك؟ قال: هو ممن استطاع إليه سبيلاً، قال: وإن كان يضيق المشى بعضاً والركوب بعضاً فليفعل، قلت: رأيت قول الله: ( ومن كفر )

، أهو في الحج؟ قال: نعم، قال: هو كفر النعم، وقال: من ترك (١).

٨- عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: رجل عرض عليه الحج فاستحيى أن يقبله أهو ممن يستطيع الحج؟ قال: نعم مره فلا يستحيى ولو على حمار أبترو وإن كان يستطيع أن يمشى بعضاً ويركب بعضاً فليفعل (٢).

أقول: لا يخفى أن الأخبار التي ذكرناها، بين صحيحة وحسنه وغيرهما، تدل على وجوب قبول ما بذل للحج من قبل المبدول له، وأن الإمام عليه السلام فسر الآية المباركة في سورة آل عمران (٣)، فيمن يكون له ما يحج به ولو بعروض الحج له، وأن الاستطاعة الواردة في تلك الآية كما ذكره صاحب كتاب تفصيل الشريعة - دام بقاءه - من العناوين التي أخذت في موضوعات أدلة الأحكام، فإن الحاكم في تشخيصها هو العرف، ومن الواضح حكم العرف بثبوت القدرة عند البذل خصوصاً إذا قيل له: حج ببذل المال، وكان كافياً للحج لنفقة عياله، فالآية بنفسها تدل على الوجوب بالبذل (٤).

كما لا يخفى أيضاً بأنه لافرق بين البذل والهبة وإن زعمه بعض؛ لأن المفردة (عرض) التي كانت في تلك الأخبار تشمل البذل والهبة كليهما.

نعم، من فرق بين البذل والهبة صرح بعدم وجوب قبول إتيان الحج بسبب الهبة، وفيه ما لا يخفى بعد الدقة والنظر فيما نقلناه من الأخبار الواردة في هذا الباب وأقوال أهل اللغة.

١- ١ تفسير العياشي ١: ١٩٣، الحديث ١١٥. وسائل الشيعة ١١: ٤٢، ١٤١٩٤.

٢- ٢ تفسير العياشي ١: ١٩٢.

٣- ٣ سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

٤- ٤ تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، للعلامة الأستاذ الشيخ الفاضل اللنكراني - دام بقاءه - ١: ١٧٦-١٧٥.

ص: ١٨٣

ثم إنه يظهر من كلمات بعض الأعظم القول بعدم الفرق بين البذل والهبة، كالشهيد رحمه الله في الدروس حيث قال: في الفرق [بين البذل والهبة] نظر (١). وبه صرح المحقق الأردبيلي في شرح الإرشاد والسيد السند رحمه الله في المدارك (٢) وقال صاحب الحدائق رحمه الله: الظاهر أنه لا فرق بين بذل الزاد والراحلة وبين هبتهما في حصول الاستطاعة، لإطلاق النصوص المتقدمة (٣). أضف إلى ذلك كله أنه تحصل الاستطاعة بمجرد قول الباذل: «حجّ وعلّي نفقتك ونفقته عيالك» وحينئذ هل الواجب الواقع على عاتق المبدول له صار واجباً مطلقاً حتى يلتزم به، أم صار واجباً مشروطاً، لكي يستطيع المبدول له في قبول الحجّ وعدمه؟ لا شك في أنه لا يشترط تحصيل شرط الواجب المشروط كما اشترط ذلك في الواجب المطلق مثل تحصيل الطهارة للصلاة ومسّ الكتاب العزيز، وعلى ذلك فمن لم يتحقق له الاستطاعة فلا يجب عليه تحصيلها. فالحجّ وإن كان واجباً مشروطاً بالنسبة إلى الاستطاعة ولكن الاستطاعة البذلية حصلت بمجرد قول الباذل فصار الواجب هنا واجباً مطلقاً فوجب على المبدول له القبول، ووجب عليه أيضاً الإقدام في تهيئة المبادئ للتشرف إلى الحجّ لما استفدنا من الآية المباركة والأخبار الدالة على وجوب القبول.

ومما يجدر ذكره أن في أكثر الروايات الواردة في هذا الباب ذليلاً يحكى: أن على المبدول له الخروج إلى الحجّ ولو على حمار أجدع أبتري، ونحن نرى أن الاستطاعة في سائر الأمور تكون لصالح الحاجّ، وأن لا يتحليل أي حرج ومشقة وأن يحجّ موافقاً لزيه وشرفه، بخلاف الحجّ البذلي، لأنّ الحجّ البذلي ربّما يستلزم الحرج والمشقة على المبدول له كما قد يستلزم ركوب حمار أجدع أبتري: فما هي الطريقة لرفع هذه العويصة؟

١-١ الدروس: ٨٣.

٢-٢ مدارك الأحكام ٧: ٤٨. ط، جماعة المدرسين.

٣-٣ الحدائق الناضرة ١٤: ١٠٤.



ص: ١٨٤

أقول:

أولاً: تلك الفقرة ليست في صحيحه العلاء بن رزين وعلى ذلك فهذه الصحيحة كافية لإثبات وجوب القبول.

وثانياً: كأن تلك الفقرة تحكى عن الحث والتوكيد لإتيان الحجج البذلي، وأنه لا ينبغي رد هذه الاستطاعة البذلية.

وثالثاً: هذا الذيل (ولو على حمار...) يحكى عن استقرار الحجج عليه وبعد أن استقر الحجج على المبدول له، يجب عليه المبادرة ولو بالركوب على حمار أجدع أبت.

ثم أنه لا يبقى مجال للقول بلزوم العقد والتملك فيما إذا وهبه، بأن الهبة تحتاج إلى الإيجاب والقبول ويلزم على الواهب أيضاً أن يملكه، كما لا يبقى مجال للبحث في التملك بعد ما قلنا: إن المبدول له صار مستطاعاً بعد قول الباذل: «حجج وعلى نفقتك ونفقة عيالك». لإطلاق النصوص، فلانحتاج إلى التملك.

وبهذا ظهر ضعف ما ذكره ابن إدريس حيث قال:

والذى عندى فى ذلك، أن من يعرض عليه بعض إخوانه ما يحتاج إليه من مؤونة الطريق فحسب، لا يجب عليه الحجج، إذا كان له عائلة تجب عليه نفقتهم، ولم يكن له ما يخلفه نفقة لهم، بل هذا يصح فيمن لا يجب عليه نفقة غيره، بشرط أن يملكه ما يبذل له، ويعرض عليه، لا وعداً بالقول دون الفعال... (١) وقال صاحب المدارك رحمه الله بعد نقل كلام صاحب السرائر رحمه الله: وهو تقييد للنص من غير دليل (٢).

نعم يمكن القول بوثوق ما قاله الباذل واطمئنان المبدول له به، فتأمل.

قال صاحب المدارك رحمه الله: ... لا يبعد اعتبار الوثوق بالباذل، لما فى التكليف بالحجج بمجرد البذل مع عدم الوثوق بالباذل من التعرض للخطر على النفس المستلزم للحرص العظيم والمشقة الزائدة، فكان منفيّاً (٣).

## بذل العين أو بذل الثمن

١-١ السرائر، لابن إدريس ١: ٥١٧.

٢-٢ مدارك الأحكام ٧: ٤٦.

٣-٣ المصدر نفسه.

ص: ١٨٥

بذل العين أو بذل الثمن

إن إطلاق الأدلة يقتضى عدم الفرق بين بذل الزاد والراحلة وبين أثمانهما، به صرح صاحب المدارك، وصاحب الحدائق، وصاحب الجواهر وغيرهم.

قال السيد السند رحمه الله فى المدارك: إطلاق النصّ وكلام أكثر الأصحاب يقتضى عدم الفرق بين بذل عين الزاد والراحلة وأثمانهما ... واعتبر الشارح (١) قدس سره. بذل عين الزاد والراحلة، قال: فلو بذل له أثمانهما لم يجب القبول ... ويتوجه عليه أولاً: أن مقتضى الروايات المتقدمة تحقق الاستطاعة ببذل ما يحجّ به، وهو كما يتناول بذل عين الزاد والراحلة، كذا يتناول أثمانهما ... (٢).

وقال صاحب الحدائق رحمه الله: بقى الكلام فيما ذكره شيخنا الشهيد الثانى رحمه الله - وقبله العلامة فى التذكرة - من دعوى حصول الفرق بين بذل عين الزاد والراحلة وبذل أثمانهما فى وجوب الحجّ، وحصول الاستطاعة على الأول دون الثانى، فإن إطلاق النصوص المتقدمة شامل للأمرين. وتعليقهما المنع فى الثانى - باعتبار اشتماله على المنّة، وأنه موقوف على القبول وهو شرط للواجب المشروط فلا يجب تحصيله - وارد عليهما فى بذل العين أيضاً. وبالجملة فالنصوص المتقدمة - كما عرفت - شاملة باطلاقها لعين الزاد والراحلة وأثمانهما، فإن عمل بها على إطلاقها فى الموضوعين، وإلا فلا فيهما (٣).

وقال صاحب الجواهر رحمه الله: ... إنّ المتّجه لذلك كلّ أيضاً ما صرح به غير واحد من الأصحاب من عدم الفرق فى الوجوب بين بذل الزاد والراحلة وبين بذل عين أثمانهما (٤).

### وينبغى التنبيه على أمور

وينبغى التنبيه على أمور:

الأول:

لا فرق فى البازل بين أن يكون واحداً أو متعدداً، لأنّ الخبر الرابع

١- ١ الشارح هو الشهيد الثانى رضى الله عنه، صاحب المسالك.

٢- ٢ مدارك الأحكام ٧: ٤٦.

٣- ٣ الحدائق الناضرة ١٤: ١٠٣.

٤- ٤ جواهر الكلام ١٧: ٢٦٦.

ص: ١٨٦

من الأخبار التي ذكرناها في هذا المقال: (... فإن كان دعاه قوم أن يحجّوه ...) (١) صريح في مورد تعدد البازل وإطلاق ساير الأخبار (فإن عرض ...) يشمل صورة تعدد البازل وعدمه.

الثاني:

هل يجب على المبدول له أن يعيد الحجّ إذ استطاع استطاعه مالية أم لا؟ ظاهر رواية معاوية بن عمّار ورواية الفضل بن عبد الملك بل صريحهما (٢) وكلمات الأصحاب أيضاً يدلّ على أن هذا الحجّ مجز عن حجّة الإسلام. وإليك بعض كلماتهم: قال ابن البراج رحمه الله: ومن لا يكون متمكناً من الاستطاعة ومكّنه بعض إخوانه من ذلك وجب عليه الحجّ، فإن أيسر بعد ذلك كان عليه إعادة الحجّ استحباباً (٣).

وقال الحلبي رحمه الله: ومن حجّ ببذل غيره له ما يحتاج إليه لكونه فاقد الاستطاعة، صحّ حجّه، ولا يلزمه قضاؤه لو استطاع بعد ذلك (٤).

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: ... ومن ليس معه مال، وحجّ به بعض إخوانه، فقد أجزأه ذلك عن حجّة الإسلام، وإن أيسر بعد ذلك، إلّا أنه يُستحبّ له أن يحجّ بعد يساره، فإنّه أفضل (٥).

وقال في الحدائق: ومما يوضح ذلك بأوضح وجه، دلالة الأخبار المتقدّمة على حصول الاستطاعة الشرعية بالبذل، وأنّه يجب عليه الحجّ بذلك، وهي حجّة الإسلام البتة، وليس بعدها إلّا الاستحباب (٦).

وقال الفقيه اليزدي رحمه الله: الحجّ البذلي مجز عن حجّة الإسلام فلا يجب عليه إذا استطاع مالاً بعد ذلك على الأقوى (٧).

الثالث:

هل الدّين مانع عن قبول الحجّ البذلي أم لا؟

قال المحقّق القمي رحمه الله: وأما مسألة بذل الحجّ إلى المديون فالظاهر أن الدّين

١- ١ وسائل الشيعة ١١: ٤٠، ١٤١٨٧.

٢- ٢ المصدر نفسه، ١٤١٨٦، ١٤١٩٠.

٣- ٣ المهذب، للقاضي ابن البراج ١: ٢٦٨.

٤- ٤ إشارة السبق: ١٢٧- الجوامع الفقهية.

٥- ٥ النهاية: ٢٠٤.

٦- ٦ الحدائق الناضرة ١٤: ١٠٧.

٧- ٧ العروة الوثقى ١: ٤٤٦.

ص: ١٨٧

ليس مانعاً لوجوب الحجّ بل الواجب هو القبول وأداء الحجّ لإطلاق الأخبار الواردة وإطلاق مدلول الاستطاعة. وكذا من وهبه مال؛ لأنّ يحجّ به فالظاهر وجوب الحجّ عليه (١).

وقال صاحب الجواهر رحمه الله: ولا يمنع الدّين الوجوب بالبذل وإن منعه في غيره... للإطلاق المزبور، وليس المبدول من أملاكه المطلقة له كى يجب عليه إعطاؤه ما يلزمه منه، ومن هنا قلنا لا يمنعه الدين، ومن ذلك من وهب له مال اشترط الحجّ به عليه كما صرّح به في الدروس (٢).

وقال صاحب الحدائق رحمه الله: الثالث- قال في المسالك: ولا يشترط في الوجوب بالبذل عدم الدين أو ملك ما يوفيه به بل يجب الحجّ وإن بقي الدين.

أقول: وهو كذلك لإطلاق النصوص (٣).

أقول: إنّ الاستطاعة البذلية ليست كالمالية؛ لأنّ سبق الدين، حالاً كان أو مؤجلاً، مانع شرعى لاستقرار الاستطاعة المالية، وهذا بخلاف الاستطاعة البذلية، لأنه لا يمكن صرف ما بذله الباذل في أداء الدين. فبهذا وبغيره أجمع فقهاء الإمامية على وجوب القبول، لما في الدليل من القوّة والمتانة.

هذا كلّه إذا كان الدين ممّا لا يمكن أن يصرف الوقت والزمان لأدائه، فلو صرف المبدول له ذلك الزمان الذى أراد أن يصرفه للحجّ، فى العمل لأداء الدين، فهل يمكن القول بعدم وجوب القبول فى صورة التراحم بين صرف الوقت فى أداء الدين الحال وبين صرفه فى أداء الحجّ البذلى، أم لا يمكن القول بعدمه؛ لظاهر قول الأكثر بعدم كون الدين مانعاً للاستطاعة البذلية وإطلاق النصّ؟ الأوجه هو الأخير.

الرابع:

هل يجوز للباذل الرجوع عن بذله أم لا؟

قال الإمام الخمينى قدس سره: يجوز للباذل الرجوع عن بذله قبل الدخول فى

١- ١ جامع الشتات ١: ٦٣.

٢- ٢ جواهر الكلام ١٧: ٢٦٧-٢٦٦.

٣- ٣ الحدائق الناضرة ١٤: ١٠٥.

ص: ١٨٨

الإحرام وكذا بعده على الأقوى، ولو وهبه للحجّ فقبل فالظاهر جريان حكم ساير الهبات عليه، ولو رجع عنه في أثناء الطريق فلا يبعد أنه يجب عليه نفقة عوده، ولو رجع بعد الإحرام فلا يبعد وجوب بذل نفقة إتمام الحجّ عليه (١).

وقال المحقق النائيني قدس سره: وأما بعد إحرامه فالأقوى لزوم البذل ولغوئه رجوعه نحو مامرّ من لغوئه رجوع مالك المكان عن إذنه في الصلاة فيه بعد الإحرام لها (٢).

أقول: لا يمكن إتيان العمل من قبل المبذول له، إلا إذا اطمأن بصحة ما قاله البازل، فيما إذا كان البلد الذي يريد أن يخرج منه إلى الحجّ نائياً جداً، خصوصاً إذا كان المبذول له، ممّن ليس له زاد وراحلة، ولا يمكن له تحصيلهما بالتسكع أو غيره. ولذا قلنا بوثوق ما قاله البازل واعتماد المبذول له، به.

وبما أنّ للبازل حقّ الرجوع عن بذله قبل الإحرام أو بعده. فهل للمبذول له، أخذ نفقة الرجوع (إن كان الرجوع قبل الإحرام) ونفقة الإتمام (إن كان رجوع البازل عن بذله بعد الإحرام) أم لا؟

الظاهر أنّ هذا الأخذ حقّ موجود للمبذول له، لأنّه اعتمد على البازل، والقاعدة المبتنية على النبوي المرسل المشهور: «المغرور يرجع على من غره» (٣) حاكمه في هذا المورد بلاشك.

وأما التنظير الذي ذكره المحقق النائيني قدس سره فليس دخيلاً في المقام كما لا يخفى.

وأما بالنسبة لنفقة الإتمام فيما إذا كان رجوع البازل عن بذله بعد الإحرام، فالمجال للبحث فيه واسع لا يسعه هذا المقال. وبالنتيجة فما قاله الإمام الخميني قدس سره جيد لا غبار عليه.

الخامس:

هل الكفارات وثمان الهدى على عاتق البازل أم على المبذول له؟

إنّ الحجّ بجميع أفعاله وفروعاته، وواجباته، وشرائطه، عمل واحد. فإذا

١-١ تحرير الوسيلة ١: ٣٧٨.

٢-٢ رسالة في مناسك الحج، للمحق النائيني رحمه الله.

٣-٣ مستمسك العروة الوثقى ١٠: ١٤٤.

ص: ١٨٩

تحقق كل الأعمال من عند شخص تحقق الحج وأما إذا أفسد ذلك الشخص واجباً من واجباته أو شرطاً من شرائطه، لم يتحقق الحج وصار الحج حجاً ناقصاً غير مبرئ للذميمة. والباذل بعد أن بذل الحج للمبذول له، أراد منه حجاً تاماً وصحيحاً، ولذا ضمن أداء كل المؤونة اللازمة للحج، فمن تلك المؤونة ثمن الهدى.

وبما أن الهدى واجب من واجبات الحج فعلى البازل أدائه.

وأما الكفارات التي تترتب على موجباتها، فيما أنها خارجة عن هيكلية الحج، بل هي جزاء أعمال ارتكبتها المبذول له، فعلى عاتقه أن يؤدي ما وجب عليه من الكفارات، اختيارية كانت تلك الأعمال الموجبة لها، أم إضطرارية، وليس على البازل أدائها. به قال الإمام الخميني قدس سره وتوقف في ذلك السيد الفقيه اليزدي رحمه الله في العروة فراجع.

قال في تحرير الوسيلة: «الظاهر أن ثمن الهدى على البازل، وأما الكفارات فليست على البازل وإن أتى بموجبا اضطراراً أو جهلاً أو نسياناً، بل على نفسه» (١).

الهوامش:

### الحج في الادب العربي







ص: ١٩٢

الحج في الأدب العربي

على كل أفق بالحجاز ملائكتك تزف تحايا الله والبركات

لدى الباب جبريل الأمين، براجه رسائل رحمانية النفحات

وما سكب الميزاب ماءً، إنما أفاض عليك الأجر والرحمات

وزمزم تجرى بين عينيك عينا من الكوثر المعسول منفجرات

ويرمون إبليس الرجيم، فيصطلى وشانيك نيراناً من الجمرات لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم لبيت طهور الساح والعرضات

ص: ١٩٣

أرى الناس أصنافاً، وفي كل بقعة إليك انتهوا من غربه وشتات  
تساووا، فلا الأنساب فيها تفاوت لديك، ولا الأقدار مختلفات  
عنت لك في التراب المقدس جبهة يدين لها العاتي من الجبهات  
وركب كإقبال الزمان محجل كريم الحواشي كابر الخطوات  
يسير بأرض أخرجت خير أمة وتحت سماء الوحي والسورات  
يفيض عليها اليمن في غدواته ويضفي عليها الأمن في الروحات  
إذا زرت بعد اليوم قبر محمد وشاهدت مثوى الأعظم العطرات  
ستهمي مع الدمع العيون مهابة لأحمد بين الستر والحجرات  
ويشرق نور تحت كل ثنية وضاع أريج تحت كل حصاة  
لمظهر (١) دين الله فوق تنوفه (٢) وباني صروح المجد فوق فلاة  
عيد سعيد عيد سعيد عيد سعيد

١-١ معلنه: الجاهر به.

٢-٢ المفازة، وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف.

ص: ١٩٤

يا مَوطئاً من عهد إبراهيم لا يُمحي.. ولا تَعفو عليه رياح  
بيديه شادَ أَجَلَ بيتِ يُبْتَنى لَهِ يَغدى نَحوَهُ وَيُراخ  
تهوى النفوس إليه.. فهي بساحه لا إثم يُرهِقُها ولا أتراخ  
وهناك «إسماعيل» قامَ مُلَبياً وكلاهُما بدعائه مِلحاح  
قمرانٍ من وحى الإله سناهُما خُلِقَ أبْر. وَعِفَّةٌ وسماخ  
رباه.. هذا البيتُ بيتُك خالِصاً ومعالِمُ التوحيد فيه صُراخ  
أرنا مناسِكننا على النهج الذى يُرضيكَ عَنّا.. ليس عنه بَراخ عيد سعيد عيد سعيد  
أوصى بها الرحمن، فهي عَظيمةٌ مَن غيرها الرحمن قد أوصى بها؟  
لو لم تكن خير البلاد على الثرى ما كان بيت الله فوق ترابها ولما اصطفاه الله قبله خلقه ولما سعى الساعون نحو ركابها

ص: ١٩٥

ولما اصطفى خير البرية مرسلًا بالحق والتوحيد من أعرابها  
وقفت على رأس الخلو دينها وبأهلها تاجاً، ألا أعظم بها  
النسك والإيمان من أفيائها والعدل والإحسان من أطيابها  
فكأنها صوت الزمان وثغره وكأن «زمنها» زلال رضاها  
«سجيلها» باق على أعدائها وعلى حقول الحق: قطر سحابها  
أترابها خير التراب ذا «منى» وهناك «طيبة» أين من أترابها؟  
دانت لها الدنيا، فما عرف الوري شعبا طهور الظل مثل شعابها  
لو يوضع البيت العتيق بكفة الأرض في الأخرى لأعدلها بها  
حمداً لك اللهم أن أبصرتني درب الحجاز فكنت من أنسابها  
هي قلب هذى الأرض، مقله وجهها والباقيات علقن في أهدابها  
خلق النهار كصباحها متألقا والليل داجٍ مثل كون حجابها

ص: ١٩٦

فسل «الصفاء» و «منى» وكلّ ثتيه عن أشرف الماشين فوق رحابها  
حجت لها قبل الأنام سماؤها بحجيج «سجيل» على سلابها  
أرض يكاد- لفرط عزة رملها- يروى عطاشى الماء وهج سراها  
جمع الزمان جميعه فإذا به يجثو خشوع القلب فى محرابها  
من ها هنا مرّ «الأمين» ومن هنا أسرى وفاض العدل من «أبوابها»  
ما زال يخترق الفضاء «بلالها» هرم الزمان ولم تزل بشبابها  
عشرون عاماً ما اغتسلت من اللظى واليوم أبردنى عظيم شرابها  
أهلى.. من ازدانوا بنور فضائها وأحبتى فى الله.. من أحبابها! أبكى على وطنى.. وحين دخلتها صار البكاء توسلاً لثوابها!!  
أعظمت من شوقى خيول تشردى لما رمتنى فى نعيم هضابها..!  
وطنى عزيز.. والأعز من الثرى دينى، فما روحى بغير كتابها؟

ص: ١٩٧

فوحق من خلق الخليقة واستوى حلمى يكون القلب عتبه بابها  
 فاغسل فؤادك يا شريد بمائها أو شح ماء فاغتسل بترابها! عيد سعيد عيد سعيد عيد سعيد  
 بيت بنته يد التقوى وشيده أبو النبيين.. للأجيال يرفعه  
 أمجاده فى كتاب الدهر حافظه ثوب الجلال عليه الرب يخلعه  
 تدرع بسياج الدين حرمته والله من عبث الباغين يمنعه  
 أولاه بالحج تشرifa وتكرمه حتى غدت موئل التقديس أربعه  
 وكعبه الروح بالتوحيد شاهده كالشمس تسطع نورا وهى متبعه عيد سعيد عيد سعيد عيد سعيد  
 رعى الله ركباً يمموا أرضها التى أجادت يد الغيث الهتون صقالها (١)  
 ولما ألتوا فى السرى يلملم لأجسادهم احرامها قد حلالها (٢)  
 ولتوا فلبوا بالنسيم عليهم وحيوا فأحيوا للنفوس كمالها (٣)  
 يمينا بهبات النسيم بسحره لقد فاز من مدت إليه شمالها (٤)  
 شدا باسمها الحادى فحرك ساكناً وذكر موصول الحنين اتصالها

١-١ يمموا: قصدوا، الهتون: المدرار.

٢-٢ يلملم: مكان يحرم منه الحاج القادم من اليمن.

٣-٣ بلوا: شفوا.

٤-٤ بسحره: وقت السحر.

ص: ١٩٨

ولما رأوا أعلامها هاج شوقهم وحثوا مطاياهم وحلوا عقالها  
 وحين تجلّى وجهها خضعوا له فله ربّي ما أعزّ جلالها  
 وطافوا بها مستبشرين بأنعم من الله لم يحصوا بعد خصالها  
 رَقُوا لِلصِّفَا بِالْحَمْدِ شُكْرًا لَسَعِيهِمْ وَبِالْمَرُوءَةِ النَّفْسُ اشْتَفَتْ مَا بَدَأَ لَهَا (١)  
 وَقَدْ أَسْعَدُوا يَوْمَ الصُّعُودِ وَأَسْعَفُوا وَنَالَتْ نُفُوسَ الطَّالِبِينَ مَنَاهَا  
 وَفِي عِرْفَاتٍ عَرَفُوا بِسَعَادَةٍ عَلَيْهِمْ بِجَمْعِ الشَّمْلِ شَامُوا اشْتِمَالَهَا (٢)  
 فَكَمْ تَائِبٍ مُسْتَغْفِرٍ مُتَيَقِّنٍ بِمَغْفِرَةٍ تَهْمِي بِقِيضِ سِجَاهَا (٣)  
 وَذِي عِلَّةٍ قَدْ طَالَ عُمُرُ مِطَالِهَا فَقَصَّرَ عَفْوُ اللَّهِ عَنْهُ مِطَالِهَا  
 وَإِذْ نَفَرُوا فَازُوا فَهَمَّ نَفَرِ التَّقَى سَقَتَهُمْ سَحَابُ الْعَفْوِ صَفْوًا زُلَالَهَا (٤)  
 بِمَزْدَلِفَاتٍ أَقْبَلَ الْوَفْدُ مُقْبَلًا وَلَاقَتْ مِنَ الْبُشْرَى النَّفُوسُ اقْتِبَالَهَا  
 أَفَاضُوا دَمُوعًا إِذْ أَفَاضُوا مَخَافَةً مِنَ الْبَيْنِ أَحْيَتْ لِلنَّفُوسِ اعْتِلَالَهَا

١-١ رَقُوا: صَعَدُوا.

٢-٢ شَامُوا: نَظَرُوا وَتَطَلَّعُوا.

٣-٣ تَهْمِي: تَتَابَعُ وَتَعْمَرُ، السَّجَالُ جَمْعُ سَجَلٍ، وَهُوَ ذُنُوبُ الْمَاءِ.

٤-٤ نَفَرُوا: يَقْصِدُ النِّفِيرَ إِلَى مَزْدَلِفَةَ.

ص: ١٩٩

وعاود لتوديع الحما سُبِقَ الحما وألسنة الوفد استطابت سؤالها  
 وزمزم حادِيهم بزَمَزَ مُرْصِدٍ تروَى وذى صدَّ حَبْتَهُ وصالها (١)  
 وبل غليلاً في طواف وداعه فأحسن لكن كم دموع أسالها (٢)  
 وقد رَفَعُوا أيدي الدعا بانكسارها وجرم الرجا حتى أتى الفتح حالها  
 وما استكثروا من أدمع مستهله نهار استقلوا للرحيل انهمالها (٣)  
 وَقَلَّ لِقَوْمٍ فَارَقُوا الكعبة البكا وقد فقدوا أفضالها واكتمالها  
 وَقَدْ آلَ ذَاكَ الصَّحْبُ بَعْدَ وَدَاعِهَا إِلَى أَسْفٍ إِذْ فَارَقَ الصَّحْبُ آلَهَا (٤)  
 أجادوا وجدوا في السرى قاصدى الح- مى وقد نَفَرُوا ضَبَّ الفلا وغزالها (٥)  
 وشارف من أرض الحصيب دليلهم عرائس روض حين أرخت دلالها (٦)  
 أغانى حادِيهم شُكْرٌ لربهم وأدعية لا يكتُمون احتفالها (٧)  
 إلهى مثل الشمس لاحت دُنُوبُنَا فيسر علينا بالمتاب زوالها

- ١-١ زمزم حادِيهم: صاح بصوت مدو، مُرْصِدٍ: أى: مر أيها الظالمى. تروى: تضلع.
- ٢-٢ وبل: روى. غليلاً: شوقاً.
- ٣-٣ انهمالها: سيلانها.
- ٤-٤ آل: رجع. آلها: أهلها.
- ٥-٥ السرى: المسير.
- ٦-٦ شارف: رأى عن قرب. الحصيب: مكان باليمن.
- ٧-٧ احتفالها: التجمع بها.



ص: ٢٠٠

أحلنا على العفو العميم فإننا سئمنا على التسويف دهرًا محالها  
وَصَلَّ على خير الأنام محمدٍ صلاةً مدى الدنيا تُديم اتصالها  
الهوامش:

**القرامة وفتنتهم فى مكة**

ص: ٢٠١

القرامطة وفتنتهم في مكة

يعقوب الجعفرى

تُعدُّ فرقة «القرامطة»- التي وصفها التاريخ بأنها فرقة مشاغبة ومُتمردة، وكانت عاملاً أساسياً أدى إلى مذابح جماعية، وإلى حملات إغارة على أموال المسلمين- فرعاً من الفرقة المعروفة ب «الإسماعيلية» حيث ظهرت في قلب المجتمع الإسلامي، وسببت الكثير من المتاعب والمشاكل آنذاك بسبب أفكارها وعقائدها الخاصّة، خصوصاً في العهد العبّاسي، ممّا أدى إلى وقوع العديد من الضحايا نتيجة انحرافاتهم الايدولوجية والمغالاة في أفكارهم. ويمكننا القول بوجود التشابه الكبير بينها وبين فرقة الخوارج المعروفة التي ظهرت في عهد الخلفاء الأمويين وإن اختلفتا من الناحية العقائدية.

و «الإسماعيلية» هي فرقة من فرق الشيعة كانت تعتقد بإمامة «إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام» وذلك بعد وفاة جعفر الصادق عليه السلام، وأولاد إسماعيل من بعده ثم انقسمت على نفسها إلى عدّة فرق أُخرى. وقد انبرى من الفرقة ذاتها

ص: ٢٠٢

شخصيات فسّر كل منهم المذهب الإسماعيلي حسب ما يرتثيه هو ودعا إلى إمامة شخصيّة معيّنة في ذلك الزمان. وكان «حمدان قرمط» أحد أبرز أولئك الدعاء من الإسماعيلية، والسبب المباشر في ظهور العديد من الحوادث في حينها، فأوجد هذا فرقة منشعبه عن الإسماعيلية وذلك بعد وفاة أبو الخطاب الأجدع أحد مؤسسي فرقة الإسماعيلية، وأدخل «حمدان قرمط» تعديلات وآراء جديدة على المذهب المذكور فسمي أتباعه بعد ذلك بالقرامطة.

وتذكر المصادر لروايات أهل السنة - وعلى غرارها المصادر الغريبة كذلك - أن حمدان قرمط كان أحد تلاميذ عبدالله بن ميمون القداح، الذي له تأثير واضح على تشكيل آراء ومعتقدات حمدان قرمط، وتعتبر المصادر ذاتها أن عبدالله بن ميمون هذا هو أحد موالى الإمام جعفر الصادق عليه السلام وينسبونه إلى اليهودية (١) أحياناً والديسانية (٢) والمجوسية من أصل إيراني (٣) أحياناً أخرى.

كما وينسبون الفاطميين «في مصر» إلى حمدان قرمط هذا (٤).

هذا في حين توثق المصادر الشيعية عبدالله بن ميمون، وتسقط كل الاحتمالات - كما سنرى - التي تقول بكونه ينتمي إلى القرامطة أو الإسماعيلية.

وقبل إيراد أي نصوص عن علماء ورجالات الشيعة حول عبدالله بن ميمون، نستدعي انتباه الأخوة القراء إلى آراء بعض من الكتاب المعروفين حول نفس الموضوع.

ينقل ابن النديم عن شخص يدعى ابو عبدالله بن رزام حيث كان لهذا الأخير كتاب في الرد على الإسماعيلية ما يلي (دون أن يؤيد أو يُفند ادعاءات ابن رزام هذا):

في البداية، كان ميمون قدّاح من أتباع أبو الخطاب، وكان يجهر بالدعوة إلى

١- ١ الإسماعيليون في التاريخ، تأليف عدد من المستشرقين، ترجمة يعقوب آثرند، مقالة برنارد لويس، ص ٨٠.

٢- ٢ الفهرست لابن النديم، ص ٢٧٨.

٣- ٣ الاسلام في ايران، بطروشنسكي، ترجمة كريم كشاورز، ص ٢٩٩.

٤- ٤ روند نهضتهای ملی و اسلامی در ایران، تأليف انصاف پور، ص ٤٥٤.

ص: ٢٠٣

إلوهية على بن أبي طالب، وقد كان وأبنته عبدالله، ديصاني المذهب، ومن محلة على أطراف الأهواز، وكان ابنه عبدالله مشعوذاً وساحراً وقد ادعى النبوة لفترة طويلة، ... وفرّ إلى السلمية بالقرب من حمص وهناك انضم إلى دعوته رجل يسمى حمدان بن الأشعث الملقب ب (قرمط) (١).

بعد ذكر قصة تشتت أصحاب محمد بن إسماعيل بن جعفر، يتابع الخواجه رشيد الدين القول بأن (عبدالله بن ميمون القداح كان قد اكتسى حُلْمَةً العابد الزاهد، وقد أقام في منطقة عسكر مكّرم، ومنها رحل إلى كوهستان عجم أهواز حيث قام بدعوة الناس وإرسال الرسل إلى العراق والرى وإصفهان وقم وهمدان) (٢).

يقول الفخر الرازي في تعريف فرقة الباطنية مايلي:

(يروى أنّ رجلاً من الأهواز يدعى عبدالله بن ميمون القداح وكان من الزنادقة، جاء إلى جعفر الصادق عليه السلام، وقد قضى أكثر وقته في خدمة ابنه إسماعيل وبعد وفاة إسماعيل أصبح في خدمة ابنه محمد، ودعا إلى أتباع هذا الأخير مدعيًا بتلقّي الزندقة على يده) (٣). كما يلاحظ، فإنّ عبدالله بن ميمون هذا يعرف على أنّه مؤسس فرقة الباطنية والقرامطة وعلى أنّه رجل دجال وكذاب، في حين هو في المصادر الشيعية أحد أصحاب الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام المخلصين، وبأنّه أحد رواة الأحاديث الثقات.

يقول النجاشي في (الرجال):

كان عبدالله بن ميمون الأسود القداح أحد موالى بنى مخزوم ... وكان يروى عن الإمام الصادق عليه السلام وهو رجل ثقة، وتنسب إليه كتب مثل (مبعث النبي) و (صفة الجنة والنار) (٤).

وحسب قول النجاشي وهو أحد علماء الرجال المعروفين، بأنّ عبدالله بن

١- ٥ ابن النديم، المصدر نفسه.

٢- ٦ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص ١٠.

٣- ٧ اعتقادات فرق المسلمين، الفخر الرازي، ص ١٠٦.

٤- ٨ رجال النجاشي، ص ١٤٨.

ص: ٢٠٤

ميمون ثقة، لا يبقى مجال للشك في منزله ابن ميمون الجليل، خاصية بعد علمنا أن كل كتب رجالتنا لم تورد قدحاً في تعريفها لعبدالله بن ميمون، ولو كان إسماعيلياً كما قيل، لما تردّد علماء الرجال في ذكر ذلك على الإطلاق، ذلك أن علماءنا في الرجال يمتلكون حساسية عجيبة تجاه الأشخاص المنتمين إلى مذهب منحرف.

ويقول الكشي بعد نقله حديثاً للإمام الباقر عليه السلام في معرض تأييده لعبدالله بن ميمون: كان عبدالله بن ميمون يقول بالترديد (كذا) (١).

ولا يعرف المقصود بكلمة «ترديد» بوضوح، فربما أراد معنى أنه كان «يحبّ زيدا» في حين ذكر البعض احتمالات وتفسيرات غير منطقية لذلك ولا علاقة لها به (٢). أضف إلى ما قيل أن كل كتب الشيعة في شرح الملل والنحل وأمثال فرق الشيعة للنوبختي والمقالات والفرق للأشعري، وخلال وصفهم للفرق الإسلامية كالإسماعيلية والقرامطة، لم يذكروا شيئاً بصدد ابن ميمون أو حتى ثابت بن سنان وهو أحد المعاصرين لحمدان قرمط، الذي أُلّف كتاباً تحت عنوان «تاريخ أخبار القرامطة» فهو لم يذكر اسم عبدالله بن ميمون البتة. وعلى أي حال وطبقاً للمصادر الشيعية فليست هناك أدنى علاقة بين عبدالله بن ميمون وبين القرامطة. فالشيء المسلم به هو أن مؤسس فرقة القرامطة وهي فرقة متفرعة عن الإسماعيلية، هو رجل يسمّى حمدان بن الأشعث القرمطي الذي اعتزل جماعة محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد وفاة الأخير وأحدث فرقة متشعبة عن الإسماعيلية بعد أن أوجد آراء ومعتقدات خاصة لهذه الفرقة. وطبقاً لما أورده ابن النديم فإن حمدان قرمط كان مشغولاً بالزراعة وتربية الحيوان في قرية تسمى «قس بهرام» وكان رجلاً ذكياً، ممّا حدا برجل عالم مثل «عبدان»، الذي صنّف كثيراً من الكتب باتباعه وأرسل رسلاً ومبلغين إلى سواد الكوفة لنشر معتقداتهم هذا (٣).

### كلمة القرامطة

١- ٩ اختيار معرفة الرجال، الكشي، ج ٥، ص ٦٨٧.

٢- ١٠ تنقيح المقال للمامقاني، ج ٢، ص ٢٢٠.

٣- ١١ الفهرست، ابن النديم، ص ٢٧٩.

ص: ٢٠٥

كلمة القرامطة

علمنا فيما سبق أنّ كلمة القرامطة مأخوذة من لقب مؤسسها حمدان قرمط، ونريد الآن فهم معنى هذه الكلمة أكثر وما تعنيه من مضامين، والسبب الذي من أجله نسبت هذه الكلمة إلى حمدان. لقد وردت احتمالات كثيرة بهذا الصدد، نذكر أهمها فيما يلي:

- يقول ابن النديم أنّ السبب في إطلاق كلمة «قرمط» على حمدان هو أنّه كان قصير القامة (١).
- ويقول البغدادي: كان يقارب ما بين خطوه في السير أو أنّه كان يضع فواصل قليلة بين السطور في كتاباته (٢).
- ويقول ابن منظور دونما إشارة إلى وجه تسمية القرامطة بهذا الاسم:

القرمطة هي المقاربة ما بين القدمين وكذلك بين السطور في الكتابة والدقة في ذلك (٣).

- ويقول الجرجاني: قرمط هي إحدى قرى واسط (٤)، في حين يُسمّى ابن خلف الأشعري لقب حمدان ب «قرمطويه» (٥).
- وينقل الدكتور مشكور عن الطبري وثابت بن سنان قوله أنّ هذه الكلمة أي قرمط، بمعنى كرميتي وتعني حُمْرة العين، وينقل عن ابن الجوزي قوله أنّ كرميتي تعني حدة البصر وقوته، ثمّ يُضيف: ويظهر أنّ هذه الكلمة مأخوذة عن اللهجة الآرامية المحلية لمدينة واسط واستعيرت منها لهذا المعنى والتي لا يزال معناها مُدلّس (من دالس مدالس). يقول كارل نولدروس: لكلمة «قرمط» علاقة وثيقة بالأصل اليوناني «قرماتا» وتعني الحرف. وكذا كلمة «قرمط» التي تُطلق على الخط الخاص بالنسخ، وقد كُتبت بالألفباء السريّة القرمطية متون كثيرة ذكرت في اليمن (٦).

١- ١٢ المصدر السابق.

٢- ١٣ الفرق بين الفرق، البغدادي، ص ٢٨٢.

٣- ١٤ لسان العرب، ج ٧، ص ٣٧٧. وانشد الخيام النيشابوري: انا لا اعرف أسرار العوالم وكذا انت إننى أجهل خط القرمطى وكذا أنت

٤- ١٥ شرح المواقف للجرجاني، ج ٨، ص ٣٨٨.

٥- ١٦ المقالات والفرق، ص ٨٣.

٦- ١٧ أدب الفرق الإسلامية، الدكتور محمد جواد مشكور، ص ٣٥٩.

ص: ٢٠٦

- وينقل لويس ماسينيون الذى كتب عدّة تحقيقات بخصوص القرامطة، ينقل عن «ولرز» أنّه يسوّى بين كلمة القرامطة وكلمة يونانية مشابهة لها تماماً، إلّا أنّه يُحتمل أن تكون هذه الكلمة مشتقة عن اللغة المحليّة الآرامية لمدينة واسط، أى بمعنى «مُبدّلِس». ويُطلق المصطلح «قرمط» فى علم الخطوط على الخط الكتابى الذى كان يدعى بالنسخ. وقد عثر كريفين أخيراً على خطوط قرمطية فى متون وجدها بالخطّ السرى فى اليمن (١).

- ينقل بطروشفسكى بعد إيراده لأقوال ماسينيون، فى حاشية لكتابه عن لسان «ايفانوف» قائلاً: إنّ كلمة «قرمط» مأخوذة عن كلمة «قرميئة» وتعنى الفلاح أو الريفى فى اللهجة السريانية فى المناطق السفلى لما بين النهرين، أى اللغة الآرامية نفسها (٢).  
فلو تصوّرنا أن لقب «قرمط» قد أطلق على مؤسس فرقة القرامطة من قبل مخالفيهم ومناوئهم، فإن أنسب معنى لذلك هو التديس والمدلّس بعد علمنا بأنّ أولئك المخالفين قد اطلقوا على عبدالله بن ميمون - بغضّ النظر عن صدق انتسابه إلى القرامطة - لقب المشعبد والحيال. وأمّا فى حال تصوّرنا أن هذا اللقب إنّما أطلق على حمدان قرمط من قبل مريديه ومناصريه فالمعنى الأصح لهذه الكلمة هو «الفلاح»، ذلك أن ابن النديم وكما أوضحنا سابقاً قد ذكر أن حمدان كان يشتغل بالزراعة وتربية الحيوان، مع بقاء الاحتمالات الأخرى لمعنى هذه الكلمة من أنّه كان أحمر العينين أو أنّه كان قريب الخطو فى مشيه أو أنّه كان يكتب بخطّ ناعم، علماً بأنّ هذه الأمور ثانوية وليست ذات أهمية يُعوّل عليها.

### معتقدات القرامطة

معتقدات القرامطة:

تعدّ الأصول والمعتقدات الأولية للقرامطة نفسها التى تعتقد بها

١- ١٨ الاسماعيليون فى التاريخ، ص ١٣٤.

٢- ١٩ الاسلام فى ايران، ص ٢٩٨.

ص: ٢٠٧

الإسماعيلية، إلماً أن هذه الفرقة المتشعبة عن الإسماعيلية تملك بعض العقائد الخاصية بها، التي تميزها عن باقي الفرق والجماعات المنتميه بدورها إلى الإسماعيلية؛ ولأن تلك العقائد هي كل ما ذكرته كتب المناوئين لهذه الفرقة فلا يمكن إزاء ذلك الاعتماد على صحتها ودقة انتسابها إلى القرامطة.

وطبقاً لمؤلفات النوبختي وأبي خلف الأشعري، فإن القرامطة يقولون بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ويعرفونه على أنه الإمام القائم المهدي المذكور، بل أنهم يقولون بنبوته ونبوته سائر الأئمة كذلك، ويقولون: إن رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد انقطعت عنه يوم الغدير وانتقلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم انتقلت منه إلى باقي الأئمة، وإن الأئمة مع كونهم يحتفظون بمقام الإمامة فهم يمتلكون مقام الرسالة كذلك. ويضيف هؤلاء قائلين: إن محمد بن إسماعيل حتى لم يمت وهو غائب في بلاد الروم (١).

ويقول أبو الحسن الأشعري: يعتقد القرامطة أن «محمد بن إسماعيل» حتى وهو نفسه المهدي الذي أخبر عن ظهوره (٢). وأما الشهرستاني فيقول: لقد مزج أولئك (الذين يعرفون في العراق بالباطنية والقرامطة والمزديكية والمعروفون في خراسان بالتعليمية والملحدة) كلامهم بكلام بعض الفلاسفة، ولهم في ذلك المؤلفات. ويقول هؤلاء: إن الله تعالى ليس موجوداً وليس غير موجود، وكذا فإنه ليس عالماً وليس جاهلاً وليس قادراً ولا عاجزاً. وقس على ذلك سائر صفاته تعالى! ذلك أن الإثبات الحقيقي يقتضي أن يكون من جهة إطلاقنا عليه شريكاً مع سائر الموجودات وهو ما يعرف بالتشبيه (٣). ويقولون كذلك: وكما أن الأفلاك والطبائع هما في حركة دائمة بواسطة تحريك النفس والعقل، فإن المجتمع البشري أيضاً في حركة مع الشرائع بتحريك النبي والوصي وهذا حاصل وواقع في كل زمان وعلى شكل

١- ٢٠ المقالات والفرق، ص ٨٣، وفرق الشيعة ص ١٠٤.

٢- ٢١ مقالات الاسلاميين للأشعري، ج ١، ص ٩٨.

٣- ٢٢ الممل والنحل للشهرستاني، ج ١، ص ١٩٤.



ص: ٢٠٨

سبعة فسبعة حتى ينتهي ويصل إلى دورته الأخيرة ويحين وقت يوم القيامة وتُرفع التكاليف عن البشر (١). ويُضيف أبو الحسن الملقب، بعد أن ينسب إليهم عدداً من العقائد العجيبة كقولهم بعدم وجوب الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج، يُضيف قائلاً:

وهم يُكفرون من يخالفهم وينسبونه إلى الشرك ويحللون ماله ودمه، ويمكنهم أخذه أسيراً لديهم (٢). والحق أن ما ينسب إلى القرامطة من العقائد والآراء أكثر مما قلناه بكثير، وإنما أردنا ذكر بعض تلك العقائد حتى تكون أرضية مناسبة لبحوثنا فيما بعد.

### قيام دولة القرامطة في الإحساء والبحرين

قيام دولة القرامطة في الإحساء والبحرين:

يذكر المؤرخون أن القرامطة تمكنوا من تشكيل دولة قومية نسبياً وذلك سنة (٢٨٦) في المناطق الجنوبية من الخليج الفارسي في البحرين والقطيف والإحساء، وكان يرأسهم شخص يُدعى «أبوسعيد الجنابي» آنذاك. وقد وردت أخبار مختلفة عن هذه الشخصية وهو ما كتبه المؤرخون هنا وهناك. وأفضل ما لدينا من الأخبار هو ما رواه ابن حوقل عن سوابق أبو سعيد هذا، وكيفية تعرفه على فرقة القرامطة، وتشكيل حكومتهم في البحرين وأماكن أخرى، ونورد أدناه نصّ العبارات التي ذكرها ابن حوقل: «كان أبوسعيد بهرام الجنابي من «جنابة» وبائعاً للطحين. اعتنق معتقدات القرامطة وآمن بها وانضمَّ إلى «عبدان كاتب» زوج أخت حمدان قرمط، ثم بدأ بنشر هذه الدعوة في نواحي ومناطق مدينه جنابة أو «كنايه» ومناطق أخرى مثل فارس، فاستطاع الحصول على أموال كثيرة من الناس. فكتب حمدان قرمط إلى أبوسعيد كتاباً من «كلواذا» يدعوه للمجيء والمثول لديه. ثم أرسله هو

١- ٢٣ المصدر اعلاه.

٢- ٢٤ التنبيه والرّد للملطي، ص ٢٠- ٢١.

ص: ٢٠٩

وعبدان كاتب إلى البحرين وأمره بدعوة الناس هناك إلى مذهبه، مُعزّزاً بعثته بالأموال والرسائل والتوصيات الخاصة بذلك. ولما وصل أبوسعيد إلى البحرين تزوّج هناك امرأة من بنى سنبر وبدأ بنشر دعوته بين عرب تلك المنطقة فالتفّ حوله كثيرون، واستطاع بمساعدتهم فتح مدن كثيرة في تلك الأنحاء فانضمّ إليه عدد كبير من العشائر والقبائل إمّا من خوف ورهبة أو موّدة ورغبة (١).

ويذكر الطبري في تقرير موجز عن ذلك قائلاً:

في هذه السنة (٢٨٦) خرج رجلٌ من القرامطة يُدعى أبوسعيد الجنابي في البحرين فاجتمع حوله جماعة من الأعراب والقرامطة... فاشتدت شوكته وقويت دعوته. فقتل كثيراً من الحضرة ثم رحل إلى موضع يسمّى القطيف، التي تبعد عدّة منازل عن البصرة وقتل جمعاً كثيراً منهم كذلك. وقيل إنّه كان يرغب في فتح البصرة، فلما علم والى البصرة بتيّة القرامطة كتب إلى السلطان يخبره بذلك، فأمره السلطان بجمع الخراج والصدقات ويبنى بتلك الأموال سوراً حول البصرة. فكانت مخارج هذا العمل قد وصلت إلى أربعة عشر ألف دينار. وبالفعل فقد استطاع البصريون من بناء سورٍ حول المدينة لحمايتهم من أيّ اعتداء (٢).

ويورد ابن عماد الحنبلي تفاصيل أكثر حول هذه الحادثة حيث يقول: لقد بنى السور المحيط بالبصرة بأمر من المعتضد العباسي في حين كان أبوسعيد يشتغل بالكيالة، ويقول عن لقبه: إنّه كان من «جنابة» وهي إحدى قرى الأهواز. ثم ينقل عن الصولي قوله: أنّ أبوسعيد كان معوزاً فقيراً يبيع الطحين. فجاء إلى البحرين وهناك بدأ ينشر دعوته فانضمّ إليه جمعٌ ممّن بقي من الزنج واللصوص، فاشتدت شوكته وتمكّن من دحر جيوش الخليفة مرّات عدّة آنذاك.

وطبقاً لما رواه ثابت بن سنان: فإن قرامطة البحرين شنّوا هجوماً على

١- ٢٥ صورة الارض، ابن حوقل، ص ٦٢.

٢- ٢٦ تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٨٦.

ص: ٢١٠

مدينة دمشق سنة (٣٠٦) فقتلوا الكثير من أهالي دمشق، بل إنهم زادوا على ذلك بحملتهم على مصر فاصطدموا مع جيش جوهر الصقلي قائد قوات المعز لدين الله الفاطمي، في منطقة تدعى ب «عين الشمس» فهزموا جيش الصقلي، إلّا أنّ جيوش الفاطميين تمكّنت بعد هذه الحملة من دحر قرامطة البحرين وطردهم من مصر. وفي ذلك ينشد حسين بن بهرام قائلاً:

يا مصر إن لم أسق أرضك من دم يروى ثراك فلاسقاني النيل (١) وقد وردت الكثير من الروايات المشابهة في عدد من كتب التاريخ ولكن لا مجال هنا لذكرها جميعاً، ونكتفي بذكر موجز لما أورده ابن الأثير، من أنّ أبوسعيد الجنابي الذي كان رأس القرامطة في البحرين، لما قُتل كان يحكم الأحساء (٢) والقطيف والهجر والطائف وسائر بلاد البحرين، حيث قتله غلام له (٣).

وبعد مقتل أبوسعيد، تولّى رئاسة القرامطة من بعده ابنه أبوطاهر سليمان الجنابي أحد أكثر الحكام القرامطة شغباً وصخباً، فسار الابن على ما وجد عليه أباه من السلوك والمغالاة. فامتدّت قدرته إلى معظم المناطق، وهو الذي كان يهاجم قوافل الحجّاج مراراً فيقتلهم ويسلب أموالهم، حتّى انتهى به الأمر إلى هجومه على الكعبة المقدسة وحدث فيها مقتل مريعه، فسرق الحجر الأسود منها كما سنورد ذلك مفصّلاً فيما بعد.

كان أبوطاهر هذا قاسى القلب ومتهوراً. شنّ بعد اكتمال السور حول البصرة حملة عليها فاستطاع الدخول إلى المدينة بمساعدة قواته، والسلاّم التي استخدمها للعبور من على السور المحيط بالمدينة.

وطبقاً لما ذكر ابن كثير: فقد كان تحت امرته (١٧٠٠) فارس، ولمّا تسنى لهم

١- ٢٧ شذرات الذهب، ابن عماد الحنبلي، ج ٢، ص ١٩٢.

٢- ٢٨ تاريخ أخبار القرامطة، ثابت بن سنان، ص ٥٨-٥٩.

٣- ٢٩ ورد في بعض كتب المؤرخين الغربيين المترجمة الى الفارسية اسم هذه المنطقة ب «لحساء» وهو خطأ والصحيح هو اسمها المعروف ب «أحساء» وقد وصل هذا الخطأ عبر التراجم المعروفة للمؤرخين الإيرانيين أمثال السيد انصاف پور في كتاب روند نهضتها.

ص: ٢١١

الدخول إلى المدينة قاموا بمجزرة حقيقية حيث اوقعوا السيف في رقاب الناس مدّة سبعة عشر يوماً ... (١).  
واتخذ ابوطاهر من «الهجر» مقراً وعاصمته لمملكه، والتي كانت على ما يذكره ياقوت مركز البحرين، وتطلق هذه التسمية أحياناً على مجموع البحرين (٢).

وكان أبوطاهر يمتلك فدائيين ورجالاً انتحاريين كثيراً مما ساعده على إحراز النصر في كلّ غزوه كان يقوم بها. ويُقال إن «ابن أبي الساج» لما أراد المسير بجيشه المؤلّف من ثلاثين ألفاً من الجنود نحو القرامطة لمحاربتهم، وإتماماً للحجّة، أرسل إلى أبوطاهر الجنابي رسولاً. فلما وصل الرسول إلى أبوطاهر سأله قائلاً:

كم عدد جنود «ابن أبي الساج»؟ فأجابه الرسول: ثلاثون ألف فارس. فسخر منه أبوطاهر قائلاً: الحقّ أنّه لا يملك حتّى ثلاثة فرسان. ثمّ التفت إلى أحد فرسانه وأمره بقتل نفسه، فاستلّ هذا خنجرًا وشقّ بطنه في الحال. فقال أبوطاهر للرسول: ما الذي يستطيع «ابن أبي الساج» عمله مع جنود فدائيين كهؤلاء (٣)؟

مهما يكن من أمر فقد كان أبوطاهر مخلوقاً عجيّباً، فقد أغار على المدن والمناطق المجاورة وقتل الكثير من سكّانها، ومن هذه المناطق الكوفة والبصرة والرقّة والقادسية ورأس العين ونصيبين وكفر توّثا والموصل وغيرها من المناطق. بل حتّى وصل به الأمر إلى شنّ حملات ضدّ دمشق وفلسطين إلّا أنّه لم يوفّق في ذلك، ووصل إلى حدود بغداد لكنّه طفق راجعاً (٤).

وإضافة إلى ما قيل فأبوطاهر كان شاعراً مُجيداً كذلك، ويُلاحظ ممّا نُسب إليه من الشعر كيف يصف طموحاته وأنه الداعي إلى المهدي بعينه، بكل وضوح.

ويقصد بالمهدي هنا بطبيعته الحال، المهدي الفاطمي الذي خرج في أفريقيا. ومن أشعاره مما يلي:  
أغرّكم مني رجوعى إلى هجر فعماً قليل سوف يأتكم الخبر

١- ٣٠ الكامل لابن الأثير ٦: ١٨٧.

٢- ٣١ البداية والنهاية لابن كثير ١١: ١٥٨.

٣- ٣٢ معجم البلدان لياقوت الحموي ٥: ٣٩٣.

٤- ٣٣ روند نهضتها، انصاف پور، ص ٤٧٠، نقلًا عن حبيب السير.

ص: ٢١٢

إذا طلع المريخ من أرض بابل وقارنه كيوان فالحذر الحذر  
 فيا ويلهم من وقعته بعد وقعته يساقون سوق الشاة للذبح والبقر  
 سأصرف خيلي نحو مصر وبرقه إلى قيروان الترك والروم والخزر إلى أن يقول:  
 أنا الداع للمهدى لا شك غيره أنا الصارم الضرغام والفارس الذكر  
 أعمر حتى يأتي عيسى بن مريم فيحمد آثاري وأرضي بما أمر (١) على كل فلسنا هنا بصدد ذكر جميع تفاصيل حياة أبوطاهر، ويُعلم  
 مما أوجزناه أن أبوطاهر كان قد شكّل دولةً قويّةً في البحرين وجنوب خليج فارس وكان من الصعب مواجهته، ممّا يوضّح لنا السبب  
 في عدم توجيه اللوم إلى المسلمين حتى بعد سلب وسرقة الحجر الأسود من قبل القرامطة، كما سنذكر ذلك فيما بعد.  
 هذا وقد تناوب على سدة الحكم في البحرين بعد موت أبوطاهر سنة (٣٣٢) سلسلة الجنابيين القرامطة، إلّا أنّهم لم يملكوا نفس القدرة  
 والسلطان السابقين.

### هجوم القرامطة على مكة وقصة الحجر الأسود

هجوم القرامطة على مكة وقصة الحجر الأسود:  
 لقد أدخلت الحملات الوحشية التي كان يقوم بها القرامطة على المدن القريبة والبعيدة الرعب والهلع في نفوس المسلمين، وخصوصاً  
 عمليات الإبادة والقتل الجماعي التي كان القرامطة يمارسونها، وبالأخصّ على قوافل الحجّ التي كانت تتعرّض دوماً لغارات وحملات  
 من هذا النوع. فقد كان الحجّاج الذين

١- ٣٤ الكامل لابن الأثير، ج ٥، ص ١٨٧، وراجع كذلك: الخطط للمقريزي، ج ١، ص ٢٥٠ فما بعد.

ص: ٢١٣

يمرّون بمناطق يُسيطر عليها القرامطة وخصوصاً القادمين من العراق، يتعرّضون لحملاتهم الوحشية، حتّى وصل الأمر إلى أنّه في سنة ٢٦٣ و ٣١٦ لم يتمكن أى من الحجاج القادمين من العراق من أداء مراسم الحجّ في هاتين السنتين (١).

وفي سنة ٣١٧ وصل الأمر إلى ذورة الخسونة والوحشية فنتجت عنه فاجعه كبرى، فقد امتنع القرامطة على غير عادتهم من مهاجمة قوافل الحجّاج القادمين من العراق باتجاه الديار المقدّسة، فوصلت القوافل ومنها قافلة العراق بقيادة منصور الديلمي سالمه إلى مكة دون مضايقة تذكر (٢). إلّا أنّ القرامطة بقيادة أبوطاهر الجنابي هاجموا الحجّاج يوم التروية في مكة على حين غرة فقتلوا منهم جمعاً غفيراً، وليس ذلك وحسب بل هجموا على أهل مكة وعملوا منهم مذبحه مريعة وانتهكوا حرمة وقديسية المسجد الحرام.

ويذكر أنّ أبوطاهر هاجم الحجّاج وأهل مكة على رأس (٩٠٠) فارس بينما كان هو ثملاً ممتشقاً حسامه على ظهر حصانه الذى تبوّل قريباً من بيت الله الحرام (٣).

وينقل المؤرّخون أنّ القرامطة قتلوا ما استطاعوا من الحجّاج وأهل مكة، وهتكوا الحرمات ودنّسوا المقدّسات. فقتلوا ما يقارب (١٧٠٠) نفس كان معظمهم متمسكاً بأستار الكعبة (٤). وكانت سيوف القرامطة تحصد رؤوس الناس من الطائفين والمصلّين وحتّى الذين هربوا من بطشهم إلى الوديان والجبال، فكان الناس يصيحون عليهم: أو تقتلون ضيوف الله؟ فكان القرامطة يجيبونهم: إنّ من يخالف أوامر الله ليس بضيف له. وقد وصل عدد الذين قُتلوا في هذه الحملة الوحشية قرابة (٥) ألف انسان، ورمى القرامطة بجثث أكثر هؤلاء في بطن بئر زمزم ودُفن الكثير كذلك منهم دون أن يُغسلوا أو يكفّنوا (٦).

وفي تلك الحالة التى كان القرامطة يُذبّحون فيها المسلمين ويعملون من

١- ٣٥ النجوم الزاهرة، ابن تغرى، ج ٣، ص ٢٢٦.

٢- ٣٦ البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١١، ص ١٦٣-١٦٥.

٣- ٣٧ المصدر السابق، ص ١٧١، وانظر كذلك تقى الدين الفارسي في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ج ٢، ص ٢١٨.

٤- ٣٨ اتحاف الورى بأخبار أم القرى، نجم عمر بن فهد، ص ٣٧٤، وقد ذكر في شفاء الغرام أنّ عدد الفرسان القرامطة الذين هاجموا مكة كان ٧٠٠ فارس.

٥- ٣٠ الكامل لابن الأثير ٦: ١٨٧.

٦- ٣٩ شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢١٨.

ص: ٢١٤

جثتهم كومات متراكمة بعضها فوق بعض، كان أبوطاهر ينشد البيت التالي وهو يقف بقرب الكعبة:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا (١) هذا وإضافةً إلى المقتلة العظيمة التي أحدثها القرامطة، والوحشية التي أتبعوها مع الحجاج، واستيلائهم على أموالهم وأموال أهل مكة، فقد قاموا بسرقة معظم الحلبي والنفائس الموجودة في الكعبة ومن جملة ما سرقوا ستار الكعبة المشرفة، وقلعوا بابها ثم عمدوا إلى ميزابها لقلعه وأرسلوا واحداً منهم إلى سطح الكعبة لأجل ذلك إلا أن المرسل لفعل ذلك سقط من على السطح وخرّ ميتاً في الحال. وأهم مما قيل فقد سرق القرامطة الحجر الأسود بعد أن قلعه بواسطة مقلاع أو فأس وحملوه معهم إلى البحرين. وقد ورد موضوع سرقة الحجر الأسود من قبل القرامطة في كتب التاريخ جميعاً، وقد اضافت مصادر تاريخية أخرى قائله إن أبوطاهر ضرب الحجر الأسود بفأس كانت بيده وذلك في محاولة لقلعه، فانكسر الحجر ثم التفت إلى الجموع هناك قائلاً لهم: أيها الجهلة! أنتم تقولون: إن كل من يرد البيت فهو آمن وقد رأيتم ما فعلت أنا إلى الآن. فتقدم إليه رجل من الحاضرين ممن كان قد هيا نفسه للموت فأمسك بلجام حصان أبوطاهر وأجابه قائلاً: إن معنى ذلك ليس كما قلت بل إن المعنى هو أن من يدخل هذا البيت فعليكم منحه الأمان على نفسه وماله وعرضه حتى يخرج منه. فامتعض القرمطي وتحرك بحصانه دون أن ينبس بنت شفة (٢).

وذكر ابن كثير أن أبوطاهر هدم القبة التي كانت موضوعة على رأس بئر زمزم، وهو الذي أمر رجاله بقلع باب الكعبة ونزع ستارها الذي قطعه إرباً إرباً ووزعه على أصحابه، ثم أمر أحد رجاله بالصعود إلى سطح الكعبة لقلع ميزابها فلما سقط الرجل من أعلى السطح ومات انصرف أبوطاهر عن قلع الميزاب،

١- ٤٠ تاريخ مكة، أحمد السباعي، ج ١، ص ١٧١.

٢- ٤١ تاريخ أخبار القرامطة، ص ٥٤. وقد نقل هذا الشعر بصيغ مختلفة وقد ذكر ما أوردناه آنفاً في كتب أخرى بالإضافة إلى ما ضمته من أخبار القرامطة، مثل النجوم الزاهرة ج ٣، ص ٢٢٤، شذرات الذهب ج ٢، ص ٢٧٤. اتحاف الوري ج ٢، ص ٣٧٥، تاريخ مكة، ج ١، ص ١٧١، وكتب أخرى كذلك. في حين ورد نص عجز البيت بصورة مختلفة في كتب غير التي ذكرناها: الخلق وأفنيهم أنا. البداية والنهاية ج ١١، ص ١٧١، وهو يشبه إلى حد بعيد الادعاء بالألوهية وهو ما يستبعد.

ص: ٢١٥

وتوجه إلى الحجر الأسود وأصدر أوامره إلى رجاله بإخراج الحجر، فعمد أحدهم إلى فأس وبدأ يضرب الحجر به وهو يقول: «أين الطيور الأبائيل، أين الحجارة من سجيل؟» ولما قلعوا الحجر أخذوه ورحلوا إلى بلادهم (١).

وقد جاء في التكملة لتأريخ الطبري أن القرامطة سرقوا الحلبي التي كان الخلفاء قد زينوا بها الكعبة وأخذوها معهم، ومن تلك الحلبي «درّة اليتيم» التي كان وزنها أربعة عشر مثقالاً من الذهب، وأفراط ماريه وقرون كبش إبراهيم عليه السلام وعصا موسى والموزونة ذهباً، وطبق ووشيعه من الذهب وسبعة عشر قنديلاً من الفضة وثلاثة محاريب فضية أقصر من الإنسان بقليل كانت موضوعة في صدر البيت (٢).

وقد قيل: إن كثيراً من العلماء المحدثين قتلوا أثناء الهجوم الذي قام به القرامطة على الحجّاج أثناء طوافهم، من جملتهم: الحافظ أبو الفضل بن حسين الجارودي وشيخ الحنفية في بغداد أبو سعيد أحمد بن حسين البردعي وأبو بكر بن عبد الله الرهاوي وعلي بن بابويه الصوفي وأبو جعفر محمد بن خالد البردعي (والذي كان يسكن في مكة) (٣).

وذكر أن أحد المحدثين في ذلك الوقت أنشد بيتاً من الشعر بينما أحاطت به سيوف القرامطة:

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية أهل الكهف لا يدرون كم لبثوا (٤) وقد ظلّ القرامطة يرزحون في مكة مدة أحد عشر يوماً وقيل ستة أيام وبرواية أخرى سبعة أيام، ورجعوا بعدها إلى هجر مصطحين معهم الحجر الأسود. ويقال: إن أربعين بعيراً هلكوا حينما أرادوا حمل الحجر الأسود، وبقي مكانه في الكعبة خالياً فكان الناس يمسحون أيديهم بمكانه ويتبركون به (٥).

١- ٤٢ المنتظم لابن الجوزي، ج ٦، ص ٢٢٣.

٢- ٤٣ البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٧٢.

٣- ٤٤ صلة تأريخ الطبري، عريب القرطبي، ص ١٣٤ ذيل حوادث سنة ١٣١٦ وجدير بالذكر أن تأريخ الطبري ينتهي في سنة ٣٠٢. ومما تجدر إليه الإشارة كذلك أن فتنة القرامطة في مكة حدثت سنة ٣١٧ بينما أوردها القرطبي في ذيل الحوادث ٣١٦ وهو اشتباه واضح.

٤- ٤٥ اتحاف الوري، ج ٢، ص ٣٧٦.

٥- ٤٦ البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٧٢.



ص: ٢١٦

وقد حمل القرامطة الحجر الأسود إلى الإحساء، ويدل ذلك على أن ما ذكرته المصادر التاريخية من أن القرامطة حملوا الحجر الأسود إلى البحرين أو هجر هو صحيح إذ إن منطقة واسعة من شمال الجزيرة العربية اليوم كانت تدعى بالبحرين أو الهجر حيث تقع الإحساء في داخل هذه المنطقة كذلك.

هذا، ولما خرج القرامطة من مكة حاملين معهم الحجر الأسود والأموال التي غنموها من الناس متوجهين إلى هجر، تعقب «ابن محلب» أمير مكة من قبل العباسيين القرامطة مع جمع من رجاله وطلب منهم ردّ الحجر الأسود إلى مكانه على أن يملكهم جميع أموال رجاله. إلّا أن القرامطة رفضوا طلبه مما اضطره إلى محاربتهم حتى قتل على أيديهم (١).

وكما قلنا سابقاً فالقرامطة يعتبرون أنفسهم جزءاً من الإسماعيلية، ولذا فقد خطب القرامطة في مكة باسم عبيدالله المهدي وهو نفسه أبو عبيدالله المهدي الفاطمي العلوي الذي خرج في أفريقيا، ثم كتبوا إليه كل ما حدث في مكة. فكتب عبيدالله المهدي جواباً شديداً للهجة إلى أبوطاهر القرمطي يقول فيه: لقد اعترتني الدهشة والعجب من رسالتك التي بعثت بها إليّ إذ تمنّ فيها عليّ بأنك ارتكبت جرائم وحشية باسمنا في حرم الله وأهله، وفي مكان لم ترق فيه قطرة دم واحدة منذ الجاهلية، ولم يُهن أهله أو تُنتهك حرمة فيه. بل وتجاوزت حدّك بأخذك الحجر الأسود الذي هو يدالله اليمنى في الأرض فاقتلته وحملته إلى بلدك. فهل كنت تنتظر منا الشكر والتقدير على عملك هذا؟ لعنة الله عليك (٢).

وقد أورد ثابت بن سنان نصّ ومضمون الرسالة بشكل آخر، إذ أرسل عبيدالله المهدي كتاباً إلى أبوطاهر القرمطي بعد أن أطلع على الأحداث المذكورة يقبح فيه عمله هذا ويلعنه على فعلته، فمن جملة ما كتب: «لقد لطخت صفحاتنا في التاريخ بنقطة سوداء لا يمحوها مرور الزمن ولا يزيلها غبار المحن ... لقد وصمت

١- ٤٧ اتحاف الوري، ج ٢، ص ١٧٨.

٢- ٤٨ الكامل لابن الأثير، ج ٦، ص ٢٠٤، البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٧٢. ولم يذكر ابن كثير اسم أمير مكة، في حين أورده ابن الأثير وقال اسمه «ابن محلب» وذكر بعض من المؤرخين ومنهم الذهبي اسم أمير مكة بأنه «ابن محارب». العبر في خبر من غير، ج ٢، ص ١٦٧، وهو كذلك في النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٣٢٤.

ص: ٢١٧

بعملك هذا دولتنا وشيعتنا والدعاء لنا بالكفر والزندقة...» واستطرد عبيدالله المهدي في رسالته إلى أبوطاهر القرمطي يحذره من أنه إن لم يرد أموال أهل مكة التي سرقها وإرجاع الحجر الأسود إلى مكانه ووضع ستار الكعبة عليها مجدداً فإنه سيأتيه بجيش لا قبل له بهم. ثم ذكر أخيراً بأنه يرى منه ومن أعماله كما يبرأ من الشيطان الرجيم (١).

هذا وقد ظل الحجر الأسود بحوزة القرامطة مدة (٢٢) سنة في البحرين، ولم تجد كل المحاولات والمساعى التي بذلها قطبا السياسة الإسلامية (أى القطب العباسي في بغداد والفاطمي في أفريقيا) من أجل الضغط على القرامطة وإجبارهم على إعادة الحجر الأسود، وقد عرض الخلفاء على القرامطة مبلغاً قدره (٢) ألف دينار مقابل إرجاعهم للحجر الأسود، لكن القرامطة ظلوا يخوضون في عنادهم (٥٠). ويقول ابن سنان الذي كان معاصراً لتلك الأحداث:

لقد عرضت الكثير من الأموال على القرامطة كتمن لردهم الحجر الأسود لكنهم رفضوا كل تلك العروض، وكان السبب الحقيقي وراء امتثال القرامطة للأمر هو التهديد الذي وجهه المهدي العلوي الفاطمي إليهم مما أجبرهم على رد الحجر الأسود إلى مكة ثانية (٣). وعلى أي حال فقد أرجع الحجر الأسود إلى مكة سنة (٣٣٩) وقد حمله رجل من القرامطة يدعى سنبر (والذي يحتمل أن يكون حمو أبوسعيد القرمطي) ويقال إن الحجر الأسود حمل قبل إرجاعه إلى مكة إلى الكوفة ونصب في العمود السابع لمسجد الكوفة حتى يتسنى للناس رؤيته، وقد كتب شقيق أبوطاهر رسالة جاء فيها (٤): أخذناه بقدره الله وردناه بمشيئة الله (٥). ولما رد الحجر الأسود إلى مكة كان أمير مكة حاضراً مع حشد من أهلها. وأرجع سنبر الحجر بيديه إلى مكانه، وقيل إن رجلاً يدعى حسن بن مزوق

١- ٤٩ اتحاف الوري، ج ٢، ص ٣٧٨.

٢- ٥٠ تاريخ أخبار القرامطة، ص ٥٤.

٣- ٥١ البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٣٧.

٤- ٥٢ تاريخ أخبار القرامطة، ص ٥٧.

٥- ٥٣ البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٣٧، تاريخ أخبار القرامطة ص ٥٧، الكامل لابن الأثير، ج ٦، ص ٣٣٥.

ص: ٢١٨

البناء قام بنصب الحجر عند جدار الكعبة وأحكم مكانه بالجص (١)، هذا وقد ورد ذكر أسماء آخرين ممن ساهموا في ذلك. وفيما يخص الشخص الذي قام بوضع الحجر الأسود في مكانه، فقد نُقِلَ عن أحد علمائنا الكبار خبراً يتضمّن حادثه موجزة نقلها إلى القارئ الكريم باختصار:

نُقل عن الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه أحد أبرز العلماء المحدثين المشهورين لدى الشيعة واستاذ الشيخ المفيد، أن في نفس السنة التي تمّ إرجاع الحجر الأسود إلى مكة من قبل القرامطة، قرّر الشيخ السّيفر إلى هذه المدينة المقدّسة. ولما كان علماء الشيعة يعتقدون بوجود حضور المعصوم أو ولي الله؛ ليقوم بوضع الحجر بنفسه في مكانه، وأنه لا يمكن ولا يجوز لأي شخص غير المعصوم من وضع الحجر في مكانه، فقد عزم بن قولويه على السفر إلى مكة وأعدّ عدته ليشهد حضور إمام العصر عليه السلام. لكنّه وللأسف الشديد ساءت حالته الصحيّة أثناء الطريق ممّا اضطرته إلى التخلّي عن السفر والبقاء في بغداد. إلّا أنّه بعث أحد أصدقائه المعتمدين لديه ويُدعى (ابن هشام) وأرسله نائباً عنه إلى مكة وسلّمه رسالته وأوصاه بتسليمها إلى الشخص الذي يراه وهو يضع الحجر الأسود وينصبه عند جدار الكعبة. فوصل ابن هشام إلى مكة ولحسن الحظ كان حاضراً لمراسم وضع الحجر الأسود. يقول ابن هشام: لقد رأيت أنّ كلّ من حاول أن يضع الحجر الأسود في مكانه أن الحجر يسقط من بين يديه، حتّى ظهر شابٌ حسن الصورة آدم الوجه فاستلم الحجر من الواقفين ووضعه في محلّه فاستقرّ الحجر في مكانه وفرح الحاضرون بذلك. ثمّ خرج ذلك الشاب من المسجد الحرام وذهبت أنا وراءه حتّى تسنّى لي تسليم رسالته ابن قولويه إليه فنظر إلىّ دون أن يفتح الكتاب أو يقرأه وقال: قل له لا بأس عليك فستعمّر

ص: ٢١٩

ثلاثين سنة أخرى. ثم التفت فلم أجده معي ودهشت من ذلك (١).

على أي حال فقد رجع الحجر الأسود إلى مكانه ثانية بعد غياب استغرق (٢) سنة وانتهت بذلك محنة المسلمين في الأرجاء كافة، وبقيت وصمة العار هذه مطبوعة على جبين القرامطة إلى انقضاء الدهر.

ولا يسعنا إلا أن نتصور زعماء القرامطة كأفراد وضعوا معتقدات الناس فيما يخص المهدي وظهوره تحت تصرفهم وسخروها لأغراضهم الدنيئة، وكان همهم الوحيد هو الوصول إلى سدة الحكم والرئاسة والجاه والمنزلة، وكان السخط الشديد الذي عم المسلمين والناس عموماً ضد بطش وإرهاب العباسيين أرضية مناسبة للقرامطة لتنفيذ أغراضهم، والدعوة الكاذبة في كونهم دعاة المهدي الموعود مما حدا بالكثيرين ممن عانوا الظلم والقهر إلى الالتفاف حولهم. واجتمع هؤلاء المخدوعون وكان أغلبهم من الفقراء ومتوسطى الحال حول القرامطة الذين ادّعوا زوراً أنهم رجال المهدي والدعاة إليه، تجرّهم أوهام وأمانى في أن القرامطة هم المخلصون لهم من أيدي الظلم العباسي، حتى إذا ما استوى القرامطة على كرسی الزعامة وتسلطوا على رقاب الناس خيّبوا آمال الكثيرين ممن آمن بهم وصدق ادّعاءهم، وما كانوا إلا لشرذمة تركض وراء المال والجاه، واستخدموا أقسى الأساليب وأشدّها وحشية في التاريخ.

ويلاحظ أن العلة في ادّعاء القرامطة أنهم ينتسبون إلى الفاطميين في المغرب، تكمن أولاً في أن هذه المسألة تتيح لهم سهولة نشر دعوتهم، خصوصاً فيما يتعلق بكونهم يدعون زوراً إلى الحركة المهدية باسم داعية الفاطميين وهو أبو عبيد الله المهدي العلوي. وثانياً العداوة والخصومة التي كانت بين الفاطميين والعباسيين (٣) ممّا هيا لهم جواً مناسباً خصوصاً كونهم يعيشون في البلاد التي يسيطر عليها العباسيون مستفيدين من سخط الناس على السلطة العباسية،

١- ٥٥ اتحاف الوري، ج ٢، ص ٣٩٥.

٢- ٢٢ الممل والنحل للشهرستاني، ج ١، ص ١٩٤.

٣- ٥٦ القطب الراوندي، الخرائج الجرائح، ج ١، ص ٤٧٦، كشف الغمّة ج ٢، ص ٥٠٢ وبحار الأنوار ج ٥٢، ص ٥٨.

ص: ٢٢٠

فاستطاعوا تسخير هذا السخط لصالحهم، وقد يكون السبب في فتنه سنة ٣١٧ وهجوم القرامطة على مكة في موسم الحج وقتلهم الأبرياء وسلبهم الحجر الأسود، هو تهيئة الأجواء لتسلط الفاطميين على مكة والسيطرة عليها. نظراً لما كان يُشاع في تلك الفترة من أن «أمير المؤمنين» الحقيقي هو من يستطيع الاستيلاء على الحرمين الشريفين وتعيين أمير الحاج كذلك. لكننا لاحظنا كيف أن الخليفة الفاطمي وبخ القرامطة على تلك الأعمال، وقبح مسلكهم في الرسالة شديدة اللهجة التي بعثها المهدي العلوي، والتي أوردنا هنا قسماً منها، وكيف أنه تبرأ منهم ومن أعمالهم واعتبرها وصمة عار لا يمحو آثارها مر السنين.

وكما أشرنا آنفاً، ... كرس القرامطة موضوع المهدي لخدمة أغراضهم الدينية. فقد اندحر جيش القرامطة مرة أمام الجيش العباسي سنة ٣١٦ وذلك قرب مدينة الكوفة، وسقطت رايات القرامطة من أيديهم وفروا هارين، وقد لوحظ أن الآية الكريمة التالية قد كتبت على تلك الرايات وهي: (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين)

(١) ونحن نعرف أن هذه الآية لها علاقة بخلاص قوم موسى من أيدي الفراعنة في مصر، ثم فسرت أيضاً بعد ذلك بكونها تصف ظهور الإمام المهدي عليه السلام وتخليص المجتمع البشري من فراعنة الزمان والطغاة. وهكذا فقد استغل زعماء القرامطة هذه النقطة والاعتقاد السائد حول المهدي، وغدت العوبة بأيديهم في تلك الفترة.

وبعد أفول نجم القرامطة قامت الحكومات في ذلك الوقت بملاحقتهم وقتلهم، ونخص بالذكر السلطان محمود الغزنوي الذي كان أشد المناوئين للقرامطة. ويُنشد شاعر البلاط الغزنوي «فرخي سيستاني» في ذلك فيقول:

قد أخذت الرّيّ فانظر مُلكك اليوم منّي وكذا الصفاً ثم أنشد الشاعر نفسه بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي يرثيه قائلاً:

١- ٥٧ وقد وصل حدّ المنافسة بينهما إلى درجة أن الخليفة العباسي طعن في نسب الفاطميين في مصر، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من بني هاشم، وقد أصدر وثيقة سنة ٤٠٢ موثقة من كبار العلماء والرجال المعروفين من الأسرة العلوية من جملتهم السيد المرتضى والسيد الرضى. في حين كان الرضى قد مدح الفاطميين مراراً في أشعاره. راجع السيوطي. حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٥١، والكامل لابن الأثير، ج ٧، ص ٢٦٣.

ص: ٢٢١

أبكى وقد فرح القرامط إثر موتك فلاخافوا شجاعاً ولابطشاً كبطشك الهوامش:



ص: ٢٢٣

(٥٨) الكامل لابن الأثير، ج ٦، ص ١٩٤.

**مختصر معجم معالم مكة التاريخية (١٤)**



ص: ٢٢٤

مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٤)

عائق بن غيث البلادي

**عَيْنُ زُبَيْدَةَ**

عَيْنُ زُبَيْدَةَ:

عين عذبة الماء غزيرة، أجزتها أم جعفر زبيدة زوج هارون الرشيد. تنبع من وادي نعمان، ثم تمرّ في عرفات فتقطع وادي عُرنَةَ إلى الخُطم ثم تنحدر إلى منى فمكة، وكانت مصممةً بطريقة انسيابية انحدارية، وكانت تسقى أهل مكة، إلى أن أجريت عيون أخرى في العهد الحديث. انظر المعجم.

لقد هجر اليوم مجرى العين فحولت إلى أنابيب ضخمة. وكانت هناك عين المشاش أجريت من حنين، غير أنها كانت قليلة الجدوى فتوقفت، وبقيت عين زبيدة تقاوم التأريخ إلى اليوم، وقد مرّ عليها قرابة ألف ومئتي سنة، وظل الولاية والحكام يولونها عناية خاصة، فيتعهدونها بالإصلاح والعمل، ولها اليوم إدارة خاصة تسمى إدارة عين زبيدة والعزيرية.

وكان من مشاكل عين زبيدة:

ص: ٢٢٥

أ- أنه تجيء السيول فتسد الدبل أو تكسره، فيتوقف الماء عن مكة مدة قد تطول أو تقصر.  
 ب- أنه كلما هاجم مكة عدو استغل عين زبيدة فأوقفها حصاراً لأهل مكة، لذا كثرت الآبار في مكة حتى بلغت عدداً كبيراً (عددتُ منها مما أعرفه ٤٥ بئراً ومع أنى نوهتُ مراراً إلى أن هذا العمل العدائي قد يحدث أى يوم، وطلبت أن تعلم هذه الآبار وترسم فى خرائط كى يهتدى إليها وقت الحاجة، إلّا أن الناس أصبحوا يعيشون ليومهم، وكأنهم ضمنوا المستقبل، فردمت كل آبار مكة إلّا ما يعد على الأصابع).

### غَيْنَاء

غَيْنَاء:

بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة، يمد ويقصر: وهى قنّه ثَبِير الأَثَر أو ثَبِير غَيْنَاء- إسمان لمسمى- وهى رأس ثَبِير الأعظم الذى يسميه أهل مكة اليوم «جبل الرخم» ذلك أن الأنوق من عاداتها أَلّا تضع بيضها وتتخذ مساكنها إلّا فى أعسر موقع، وغيناء كذلك، وإذا أتيت مكة من أسفلها رأيت قنّه ثَبِير (غَيْنَاء) تبدو من وراء كلّ مكة لا يحجبها حاجب، وعلى جانبيها ما يشبه الكتفين مما يجعل ثَبِيراً يشبه نسرّاً مستقبلاً مغيب الشمس، وفى غَيْنَاء يقول أبو جندب الهذلى: وقد ينسب إلى أبى خراش الهذلى أيضاً: (١)  
 لقد عَلِمْتُ هذيل أنّ جارى لدى أطراف غَيْنَاء من ثَبِيرِ  
 أَحْضُ فلا أجير، ومن أجره فليس كمن يدلى بالغرورِ قال: لدى غيناء كناية عن المنعة والعزة لارتفاعها الشاهق.  
 وكانت تسمى (ذات القَتَادَة) لشجرة قتاد كانت عليها، ولذلك يقول الحارث بن خالد:

ص: ٢٢٦

إلى أطراف الجمار فما يليها إلى ذات الفتادة من تبيير أما الأثره فقد تقدم البحث عنها في حرف الثاء.

فَجَّ

فَجَّ:

على لفظ الفَجَّ الذي هو الطَّرَق:

هو الوادى الرئيسى الثانى بمكة، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبل السَّتَّار عند علمى طريق نجد، وجبل حِراء، وما حوله، ولما عدلت مياه وادى إبراهيم العلى حولت إلى فح هذا، ويسمى اليوم بعدة أسماء: أعلاه خريق العُشر ووسطه الزاهر والشهداء، وأسفل من ذلك أم الجود. وكان ما بين الزاهر والحديبية يسمى بَلَدَح، وقد ذكر. وكان فح فى عهد الأزرقى يسمى أعلاه مكة السدر، وأطلق عليه وادى مكة، وسمى وادى ابراهيم وادى بكه. وفح مشهور بتلك الواقعة التى وقعت سنة ١٦٩ هـ. بين العلويين بقيادة الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، وبين العباسيين بقيادة العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، فالتقوا يوم الترويه، فقتل العلويون يومئذ قتلاً ذريعاً حتى قيل: ما كانت مصيبة بعد كربلاء بأشد من يوم فح، وظل القتلى ثلاثة أيام فى العراء حتى أكلت لحمهم الكلاب، فرثاهم عيسى بن عبد الله قائلاً (١):

فلأبكين على الحسى - ن بعولته وعلى الحسن

وعلى ابن عاتكة الذى واروه ليس بذى كفن

تركوا بفح غدوة فى غير منزلة الوطن وقال داود بن سلم (٢):

يا عين بكى بدمع منك منهمر فقد رأيت الذى لاقى بنى حسن

١-١ معجم معالم مكة التاريخية والأثرية فح.

٢-٢ المصدر نفسه.

ص: ٢٢٧

صرعى بفتح تجر الريح فوقهم أذيالها وغواذى دُلج المزن

حتى عفت أعظم لو كان شاهداها محمداً ذب عنها ثم لم تهن وهناك من روى أن عبد الله بن عمر دفن بفتح، والصواب أنه دفن بمقبرة بنى أسيد بأذخر. وبفتح مقبرة كانت تعرف بمقبرة المهاجرين وهي لا زالت معروفة مسورة. وقد تقدم معنا في بلدح شعر يذكر أصحاب فح ينسب إلى أحد الجن.

وكذلك تقدم شعر بلال رضى الله عنه، ومنه:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلتة بفتح وحولى أذخر وجيليل وقد أصبح فح اليوم يسمى وادى الزاهر، وعليه أحياء عديدة من مكة، من أعظمها حى الشهداء، وهو نفس المكان الذى وقعت فيه تلك الوقعة المشار إليها، وحى الزاهر الجميلان، وانظر تفاصيل أوفى فى الجزء السابع من «معجم معالم الحجاز».

## قَعَقَعَانِ

قَعَقَعَانِ:

بضم القاف وفتح المهملة وكأنه تصغير قَعَقَعَانِ: هو الجبل الضخم المشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربى، ممتداً بين ثنيتى: كداء، وكُدَى - بالقصر - بين وادى إبراهيم شرقاً ووادى ذى طوى غرباً.

ولا يعرف اليوم اسم قعيقعان إنما يسمى بأسماء كثيرة: فطرفه الشمالى الغربى يسمى جبل العبادى، والشرقى المشرف على ثنية كداء (الحجون) والمشرف على مقبرة المغلاية يسمى جبل السليمانية، نسبة إلى حى السليمانية المنسوب إلى الشيخ محمد بن سليمان المغربى، أما جزؤه الجنوبى فجله يسمى (جبل هندی) وشرقه

ص: ٢٢٨

المتصل بربيع الفلق - فلق ابن الزبير - إلى نفق السليمانية يسمى جبل الفلق، ويسمى طرفه المشرف على حارة الباب جبل المطابخ، وطرفه المشرف على ثنية كُدَى - بالقصر - ريع الرّسّام اليوم يسمى قرناً، وما أشرف على دحلة المواردع بجرول يسمى جبل السودان، وبين الفلق والقرارة له عدة أجزاء: جبل القرارة، وجبل فلفله، وجبل النّقا، إلخ. وقال الأقدمون في سبب تسميته: إن جُزهم وقُطُوراء - حيان سكتنا مكة - تحاربت بمكة، فخرجت جرهم وعلى رأسها مضاض بن عمرو الجرهمي من قُعيّعان فققعع السلاح، فسمى الجبل ب (قعيّعان) وخرجت قُطُوراء من أجياد على الخيل فسمى أجياداً. قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: (١)

هيئات منك قُعيّعان وأهلها بالحننتين، فشطّ ذاك مزارا وقد مرّ معك أنه أحد أخشبي مكة، وقد كان يسدّ هواء الشمال عن المسجد الحرام فيزيد من شدة الحر هناك حتى شُقّت فيه الأنفاق، مثل: انفاق السليمانية، ونفق المواردع، فانساب الهواء منها، وقربت المسافة لأهل جرول والعتيبيّة، فصار كثير منهم يحضر الصلاة في المسجد الحرام مشاءً.

## كَدَاء

كَدَاء:

بفتح الكاف وفتح الدال المهملة والمد:

ثنية من ثنايا مكة أصبحت تعرف اليوم بربيع الحُجُون، تفصل بين جبل قُعيّعان وجبل الحجون، وتفضى إلى البطحاء على مقبرة أهل مكة، وكانت هذه الثنية كَدَاء شاقّة المسلك، وما زالت الحكومات المتعاقبة تنجر جوانبها وتسهلها حتى أصبحت واسعة سهلة المسلك، وحتى إعداد هذا الكتاب للطبع والعمل

ص: ٢٢٩

جار في توسعتها، قال ابن قيس الرقييات (١):

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدي فالركن فالبطحاء وقال ابن أبي سنه العجلي: (٢)

أفاض المدامع قتلى كدى وقتلى بكثوة لم ترمس قالوا: كثوة مكان من مكة. وقال الأصوص الأنصاري:

رام قلبي السلو من أسماء وتعزى وما به من عزاء

إننى والذى تحج قريش بيته سالكين نقب كداء

لم ألم بها وإن كنت منها صادراً كالذى وردت بدءا قلت: والأكديء بمكة ثلاثة: كداء هذا، بفتح الكاف والمد، وكديء، بضم الكاف والقصر منوناً، وكديء بضم الكاف أيضاً وفتح الدال والياء المثناة تحت.

وهذا لا يزال معروفاً، يصل بين مسفلة مكة وجبل ثور جنوب المسجد الحرام. أما المقصور فيعرف اليوم بريع الرسام، ذلك أن باب حيدة كان فيه، وفيه كان يؤخذ الرسم على البضائع الداخلة عن طريق جدة، وسمى الحى الذى قام عند هذا الباب حارة الباب، ثم نقل باب جدة إلى جرول، حيث يسمى اليوم البيبان، نسبة إلى باب جدة الأخير (٣).

## المآزمان

المآزمان:

مثنى مأزم، وهو الطريق الضيق بين الجبلين ونحوه، وهو طريق يأتي المزدلفة من جهة عرفه، لا يدفع الناس ليلة المزدلفة إلامعه، فإذا أفضوا منه كانوا في المزدلفة.

وهى (جمع) وهو طريق ضيق بين جبلين يسميان الأخشبين، وهما غير أخشى مكة ومنى، وقد عبّدت اليوم وجعلت له ثلاث معبّدت: إحداهما للمشاة

١-١ معجم معالم الحجاز كداء.

٢-٢ الأغاني: ١٥٥٣، هو عبد الله بن عمر بن عبد الله، يكنى أبا عدى، من بنى أمية، قال فى الأغاني: ابن أبى سنه وفى معجم البلدان ابن أبى شيبه.

٣-٣ والبحث فى المطول وفى معجم معالم الحجاز بأطول من ذلك.

ص: ٢٣٠

فقط، يفصلها عن طريقى السيارات شبك يمنع اختلاط الناس بالسيارات، وطريقان أو مساران بالأصح للسيارات.

وقال أعرابى، قيل هو من جرهم:

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليله وأهلى معاً بالمأزمين حُلُولُ وهل أبصرنَّ العيس تنفح فى البرى لها بمنى بالمحرمين ذميلُ  
منازلُ كُنَّا أهلها فأزالنا زمانُ نبا بالصالحين حُدُولُ وقد يطلق اسم المأزمين على منى عند العقبة لضيق المكان.

قال كثير بن عبد الرحمن (١):

فقد حلفتُ جهداً بما نحرثُ له قريشَ عَداءَ المأزمين وصلّتُ أما أبيات الأعرابى المتقدّمة فتمثلُ أمماً كثيرة سادت مكة ثم بادت،  
أزالها الله بما أحدثت وبما أفسدت وعلت فى أرض الله التى حرّمها يوم خلق السماوات والأرض، فأذاقها الله وبال أمرها، وجعلها  
أحاديث وعبراً، من هذه الأمم جرهم وإياد ورَبِيعه الفرس وغيرها.

وكلما ضاق الوادى بين جبلين سموه (مأزماً أو بازماً) ثم يتنون ذلك أو يجمعونه كعادتهم، ومن ذلك (البرم) جمع بازم (٢).

### مُحَسَّر

مُحَسَّر:

بضم الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد السين المهملة أيضاً، وآخره راء:

هو وادٍ صغير يأتى من الجهة الشرقية لثبير الأعظم من طرف (نَقَبَة)

١- ١ ديوانه: ٩٦.

٢- ٢ انظر: معجم معالم الحجاز.

ص: ٢٣١

ويذهب إلى وادي عُرنَةَ- بالنون- فإذا مرَّ بين منى ومزدلفة كان الحدَّ بينهما، فيتجه جنوباً، ويمرَّ سبيله عند عين الحسينية قبل أن يصب في عُرنَةَ، وهو قبل ذلك يختلط بأودية المفاجر الثلاثة؛ فتصير وادياً واحداً، وقد عُمر اليوم اجتماعها فصار حياً من أحياء مكة. ليست بمحسر زراعة ولا- عمران، والمعروف منه للعامة ما يمرُّ فيه الحاج بين مزدلفة ومنى، وله علامات هناك منصوبة، وكثير من الناس يركضون حتى يجتازوه، كما يركضون بين الصفا والمروة، إذا وصلوا بطن وادي إبراهيم.

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: عرفه- بالفاء- كلها موقف، وارتفعوا عن بطن عُرنَةَ- بالنون- وجمع كلها موقف، وارتفعوا عن بطن مُحسّر. ويسمى مُحسّر (وادي النَّار) ويسمى (المُهَلَّل) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يوضع فيه راحلته، أي يحثها على العدو. وكان عمر يفعل كذلك ويقول:

إليك تسعى قلقاً وضيئها مخالفاً دين النصارى دينها

معتزلاً في بطنها جنيئها قد ذهب الشحم الذي يزينها وكان ابنه عبدالله يفعل ذلك إذا هبط بطن مُحسّر ولا زالت ترى هذه السنة من المشاء.

## المُصَّصِب

المُصَّصِب:

بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الصاد المهملة أيضاً، مع الكسر ويروى بالفتح، ثم موحدته تحتية:

اختلف المتقدمون في تحديده، فقال بعضهم هو من شعب عمرو- الملاوى اليوم- إلى شعب بنى كنانة، قرب البياضة، وقال آخرون: هو خيف بنى كنانة، وحده من الحجون إلى منى. وقال غيرهم: هو موضع رمى الجمار، ذلك أن



ص: ٢٣٢

حصى الجمار يسمى الحصباء، واستدل بالشاهد الآتى: «ترمى جمار المحصب»، والذي أراه أنّ المحصب هو المكان الذى تنتظم فيه الجمرات الثلاث، فهو يخصّص من منى بالمحصب، ومنى يشمل المحصب وخيف بنى كنانة، حيث مسجد الخيف، من منى.

## لاحج

### لاحج

كفاعل اللّحج: قال ياقوت: من نواحي، وأورد:

أرقت ليرقٍ لاح في بطنٍ لّاحجٍ وأرّقتى ذكر المليحة والذكر (١)

ويظهر أنّ هذا الشعر متأخر تدل على ذلك ركاكته. وتوجد اليوم اللّاحجة:

مؤنث الذى قبله، وهو الوادى الذى يتدئ من وجه جبل ثور الشمالى، ومن غرب جبل سُدير، ثم يسيل غرباً ماراً بين ثور فى الجنوب الشرقى وجبل السرد فى الغرب، وأسفله يسمى بطحاء قريش، وينتهى سيله الى عرنه بطرف جبل حُبشى من الغرب. يمر فيه طريق كُدَيّْ الى ثور والحُسينية، كان يسمى (درب اللّاحجة) وهذيل تقول: (اللّاحية) وماسمعت هذه اللّغة عند هذيل إلا فى هذا. ومن روافده: حُمّ، المتقدم، والنّبعة: نَبْعَةُ كُدَيّْ وكانت حُمّ وبتحاء قريش، ولا زالت من متنزهات أهل مكة. ومن جياذ الكبير إلى اللّاحجة طريق تأخذ ربع بخش من رأس أجياد ثم فى شعب خم فالى حى الهجره فى المفجر الغربى. ومن قال: إن خيف بنى كنانة قرب الحجون فقد أخطأ.

قال الحارثى بن خالد المخزومى: (٢)

يا دار أقفر رسمها بين المحصب والحجون

أقوت وغير آيها مّ الحوادث والسنين وهذا يشهد أنه بعيد من الحجون، بحيث يكون بينهما حوز.

١- ١ له بقية فى المطول.

٢- ٢ الأغانى ١١٧٥ ط. دار الشعب.

ص: ٢٣٣

وقال أحمر الرأس السلمى:

عكوفاً وقوفاً بالمحصب من منى يدرون شمساً إن يحين ظلامها فقال من منى. وهذا شاهد أيضاً يدحض من قال: إنه من الابطح عند الحجون.

وقال عمر بن أبي ربيعة: (١)

نظرت إليها بالمحصب من منى ولى نظر- لولا التحرم- عارم

فقلت: أشمس أم مصايح بيعة بدت لك تحت السجف أم أنت حالم؟ أما إذا سلمنا أن هذا الذى يقولون عنه خيف بنى كنانة صحيح، فهما خيفان: خيف منى وهو الوارد فى الشواهد الشعرية، وخيف بنى كنانة.

### مسجد

مسجد:

المساجد التاريخية والاثريّة كثيرة فى مكّة، منه ما هو معروف تاريخه وسبب بنائه، وبعضها يظهر أنه حدث فى عصور متأخرة ولكنه بنى على أساس روايات تاريخية، كمسجد أبى بكر ومسجد خالد ومسجد الجن وغيرها. ونحن نورد طائفة منها هنا حسب تسلسلها المعجمى، مع ذكر شىء موجز عنها، وذكر المصدر لمن أراد التعمق فى معرفة ذلك.

### مسجد إبراهيم الخليل

مسجد إبراهيم الخليل:

جاء فى أخبار مكّة للأزرقى:

أنّ أول من جمع بالحاج صلاة الظهر والعصر هو إبراهيم عليه السلام فى (مسجد إبراهيم) ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة (٢). وهذا المسجد يعرف بمسجد (نمرة)

١- ١ الأغاني ١١٧٥ ط. دار الشعب.

٢- ٢ أخبار مكّة: ٧٠ / ٢.

ص: ٢٣٤

ونمرة جبل تراه غرب المسجد بينهما بطن عُرْنَه، وهو معروف أيضاً في عهد الأزرقى، وبعضهم يسمي المسجد بالمكان فيقول (مسجد عرفه) والأزرقى سماه (مسجد إبراهيم خليل الرحمن) (١).

ثم يقول الأزرقى: ومسجد بعرفه عن يمين الموقف يقال له: مسجد إبراهيم، وليس بمسجد عرفه الذى يصلى فيه الامام (٢).  
ومسجد على جبل أبى قبيس، يقال له مسجد إبراهيم، سمعت يوسف بن محمد بن إبراهيم يسأل عنه، هل هو مسجد إبراهيم خليل الرحمن؟ فرأيته ينكر ذلك، ويقول: إنما قيل هذا حديثاً من الدهر. ثم نسب المسجد الى إبراهيم القبيسى نسبة الى أبى قبيس (٣).  
أقول: وهذا المسجد يسمى اليوم مسجد بلال، وليس هو بلال بن رباح.  
وقد هدم سنة ١٤٠٦ هـ ضمن إزالة عمران أبى قبيس.

### مسجد الإجابة

مسجد الإجابة:

مسجد ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقع فى شعبة النور، وقد تقدمت وذكر بأوفى من هذا فى (مسجد قنفذ)

### مسجد أبى بكر

مسجد أبى بكر:

لم يذكره الأزرقى ضمن المساجد التى ذكرها، وهذا دليل على أنه لم يكن موجوداً، ثم ذكره ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف، فقال: مسجد بأسفل مكة ينسب لأبى بكر الصديق، يقال: إنه من داره التى هاجر منها إلى المدينة. ويعرف الآن بدار الهجرة، وهو بالقرب من بركة الماجن (٤).

أقول: وهذا المسجد لا زال معموراً بمسفلة مكة بسفح ثبير الزنج من

١- ١ الجامع اللطيف ص ٣٢.

٢- ٢ أخبار مكة: ٢ / ٢٠١.

٣- ٣ الجامع اللطيف ص ٣٣٢.

٤- ٤ الجامع اللطيف ص ٣٢.

ص: ٢٣٥

الشرق. وبركة الماجن، صوابها بركة الماجل.

**مسجد البيعة**

مسجد البيعة:

قال الازرقى، ومسجد بأعلى مكة أيضاً يقال له: (مسجد الجن) وهو الذى يسميه أهل مكة (مسجد الحرس) وإنما سمي مسجد الحرس أن صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى إليه وقف عنده ولم يجزه حتى يتوافى عنده عرفاؤه وحرسه، الى أن يقول: وهو فيما يقال: موضع الخط الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود ليلة استمع الى الجن، وهو يسمى (مسجد البيعة) يقال: إن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فى ذلك الموضع (١).

أقول: هذا المسجد لا يعرف اليوم إلا بمسجد الجن، وهو بعد ريع الحجون الى المسجد الحرام غير بعيد، وقد عمر سنة ١٣٩٩ هـ عمارة بديعة، ولبست جدرانه الخارجية بالحجر الممثل الجميل.

ومسجد البيعة أيضاً: مسجد دوين العقبة، مبنى بالحجر والجص بناه عثمانية، يظل دائماً مهجوراً، وربما صلى فيه أيام الحج، وهو المكان الذى بايع الانصار فيه رسول الله مرتين فى منى ودعوه الى المدينة. وذكره ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف. وأخبار البيعة مستفيضة فى السيرة.

**مسجد التنعيم**

مسجد التنعيم:

التنعيم واد يقع شمال مكة والمسجد الأثرى هناك يسمى مسجد عائشة، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أمر عبدالرحمن بن أبى بكر بعد النزول من حجة الوداع بأن يعمر أخته عائشة من ذلك الموضع؛ لأنها عندما قدمت مكة حاجة كانت حائضاً، فأعمرها بعد الحج، وهذا المسجد أقرب الحل الى الحرم، وقد عمر

ص: ٢٣٦

حديثاً عمارة حسنة. وظل الناس يعتمرون منه، وفيهم كما روى الأزرقى - عبدالله بن الزبير، ثم ابنتى محمد بن على الشافعى مسجداً فى ذلك الموضع، وذكر الأزرقى أيضاً أنه كان خراباً فى عهده، ثم عمره أبو العباس عبدالله ابن محمد بن داوود، وجعل على بيته قبئاً، وكان أمير مكة، ثم بنته (العجوز) وجودته وأحسنه بناءه (١). ولا زال هذا المسجد معروفاً، ويزدحم بالحجاج أيام الحج، وله خط منظم من النقل الجماعى.

روى الأزرقى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة عمرة الجعرانة، والرابعة عمرة حجته. ثم ذكر أن رجلاً من قريش بنى مسجداً هناك (٢)، غير أنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بالعدوة القصوى بينما المسجد اليوم وفى عهد الأزرقى فى العدو الدنيا، ولا زال معموراً يعتمر منه أهل مكة، وهو مبنى بالاسمنت.

### مسجد الجن

مسجد الجن:

انظر: مسجد البيعة. مسجد الحرس / مسجد البيعة أيضاً.

### مسجد خديجة

مسجد خديجة:

ذكر فى المطول، وقد هدم سنة ٤٠٦ فى التوسعة الجديدة.

### مسجد الارقم

مسجد الارقم:

ذكر فى المطول.

### مسجد الخيف

مسجد الخيف:

راجع المطول.

### مسجد ذى طوى

١- ١ أخبار مكة: ٢ / ٢٠٩.

٢- ٢ أخبار مكة: ٢ / ٢٠٩.



ص: ٢٣٧

مسجد ذى طوى:

قال الأزرقى: ومسجد بذى طوى بين ثنية المدنيين المشرفة على مقبرة مكة، وبين الثنية التى تهبط على الحصاحص، بنته (زبيدة) بأزج (١).

قلت هذا التحديد لا- يستقيم؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بات عند بئر ذى طوى، وهى معروفة الآن الى يمين هذا التحديد للداخل الى مكة بمسافة تبعتها عنه، ولكن بجوار هذه البئر على أقل من عشرين متراً مسجداً كان عامراً قبل الدولة السعودية، ثم عمر سنة ١٤١١-١٤١٢ هـ عمارة حسنة وبنيت فيه منارتان، فهذا قمنه أن يكون محل مصلاه، صلى الله عليه وآله وسلم.

### مسجد الراية

مسجد الراية:

لا زال معروفاً بالمعلاة، مقابل مصب شعب عامر، معموراً بالمصلين. وأنظر المطول، فالبحت هناك.

### مسجد سوق الغنم

مسجد سوق الغنم:

قال الأزرقى: ومسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم عند قرن مسقله، ويزعمون أن عنده بايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس بمكة يوم الفتح (٢).

المؤلف: سوق الغنم يتغير باستمرار، ولكنه فى وقت الأزرقى كان بشارع الجودرية فى نهاية الغزة من أعلاها، ومسجد الغنم معروف اليوم عند كبار السن من أهل مكة. وهو على يسار البطحاء قبيل أن يفترق سوق الجودرية عن سوق الغزة، ويليه من يسار النازل مع الوادى فم شعب عامر، ويقابل شعب عامر من الجهة اليمنى مسجد الراية.

### مسجد سلسبيل

١-١ أخبار مكة: ٢/ ٢٠١.

٢-٢ أخبار مكة: ٢/ ٢٠١.

ص: ٢٣٨

## مسجد سلسيل

ذكره الأزرقى بنص قد يكون فيه تحريف، فقال: الحجون الجبل المشرف على مسجد الحرس (مسجد الجن) بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد، وهو أيضاً مشرف على شعب الجزائر في أصله دار ابن أبي ذر الى موضع القبة بمسجد سلسيل أم زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر (١).

قلت: لم أسمع عن هذا المسجد، غير أن هناك مسجداً يجاور مسجد الجن، لا أعلم اسمه. وقوله: على يمينك وأنت مصعد سبق قلم، صوابه على يسارك، ذلك أن جبل الحجون هو الذى فى أصله مقبرة مكة القديمة، وفى جانبه الغربى كانت المجزرة الى ما بعد عام ١٣٧٠هـ، ثم نقلت الى أذاخر. وسلسيل أظنه تحريف سليل.

هذا ما كان فى المطول الذى نشر سنة ١٤٠٠هـ، ولكنى استدرك هنا النقاط التالية:

- ١- ظهر لى بعد ذلك أن مسجد سلسيل: هو المسجد الصغير الذى إذا تجاوزت مسجد الجن ذاهباً إلى المسجد الحرام تراه على يسارك، مسجد صغير بجوار موقف السيارات الذى أقيم هناك، ويسمى ما وراءه الى الشرق (دحلة الجن).
- ٢- المسجد الذى يجاور مسجد الجن من جهة المسجد الحرام، ظهر أنه هو مسجد الشجرة الذى فى مكة.
- ٣- استدراكى على الأزرقى بأن قوله: على يمينك وأنت مصعد، سبق قلم، أرى مؤرخى مكة قد تواطأوا عليه، وكلهم فيما يبدو ناقل عن الأزرقى، ولكنى أرى الرجوع إليهم وموافقته ملحس بالقول: إن هذا هو الحجون الجاهلى، والله أعلم.
- ٤- صح أن اسم المسجد المشار اليه آنفاً هو (سلسيل) تيمناً بما جاء فى



ص: ٢٣٩

القرآن الكريم.

**مسجد الشجرة**

مسجد الشجرة:

ذكره الأزرقى قرب مسجد الجن، وقال ابن ظهيرة: قد اندثر. ولكن المشهور بمسجد الشجرة هو مسجد الحديبية، ولم يذكره مؤرخو مكة؛ لأنه خارج الحرم، والناس يتعسبون أن يكون المسجد الذى صلى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة الحديبية، ولكن الثقات من الصحابة قالوا: لقد التمسناه بعد مدة فلم نعرفه.

راجع ذلك فى السيرة النبوية، وراجع الحديبية وتفاصيل عنها فى (معجم معالم الحجاز). وهذا المسجد هو اليوم خراب، وقد بنت الحكومة السعودية مسجداً غيره يصلّى فيه. ثم ظهر بعد ذلك أن مسجد الشجرة الذى فى مكة هو الذى يجاور مسجد الجن، كما قدمت آنفاً.

**مسجد قنفذ**

مسجد قنفذ:

قال الأزرقى: إن شعب قنفذ يسارك وأنت ذاهب إلى منى من مكة فوق حايط خرمان، وفى هذا الشعب مسجد مبنى يقال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، صلى فيه (١). قلت: هذا الشعب يسمى اليوم شعبة النور، والمسجد لا زال يصلّى فيه، والناس لا زالوا على اعتقادهم به. كما قال الأزرقى: إنه منسوب إلى قنفذ بن زهير من بنى أسد بن خزيمه. وقال ابن ظهيرة: مسجد يعرف بمسجد الإجابة ثم وصفه بما تقدم (٢).

**مسجد**

مسجد:

بقية المساجد الأثرية انظرها فى المطول أو فى معجم معالم الحجاز.

**المعابد**

١- ١ أخبار مكة ٢: ٢٨٧. وقنفذ: لغة فى قنفذ لسان العرب.

٢- ٢ الجامع اللطيف: ص ٣٣٣.

ص: ٢٤٠

المعابدة:

هى اليوم أحد أحياء مكّة، وتقع بين المنحنى إلى شعبة النور إلى البياضة، وسبب ذكرها هنا أتى رأيت أحدهم تحمل فقال: إنها منسوبة إلى امرأة تدعى أم عابدة، كان الجمال يعقلون جمالهم عندها إذا هبطوا مكّة، وهذا القول مفند لسببين:

١- إن الجمال الذين كانوا يهبطون مكّة من الناحية الشرقية ما كانوا ينيخون في المعابدة بعدها عن السوق، وكانت سوقهم هى المعلاة، ما بين موقع البريد اليوم إلى المسجد الحرام، وقد أدركنا آخر العمل على الجمال بين ٦٤ و ١٣٧٢ هـ، فكانت المناخات حول الحلقة القديمة من زقاق الراقوبة إلى الفلق إلى دحلة الجن.

٢- ذكر التقى الفاسى المعابدة فى ترجمه: محمد بن عمر المعابدى المتوفى سنة ٧٨٢ هـ، ثم قال: والمعابدى نسبة إلى موضع بظاهر مكّة (١). وكانوا يرون آنذاك كلما تجاوز سوق المعلاة، خارجاً عن مكّة. وبهذا النص يظهر لك أن المعابدة كانت ضاحية من ضواحي مكّة قبل سبعة قرون.

## المعلاة

المعلاة:

مكة عموماً تقسم جغرافياً إلى: معلاة ومسفلة. فالمعلاة كلما ذهبت من المسجد الحرام مصعداً، والمسفلة كلما ذهبت منه هابطاً. ولكن عامية الناس لا يعرفون اليوم من المعلاة إلا مقبرة مكّة؛ لأنها تسمى مقبرة المعلاة، ويحرفونها فيقولون (المعلا)، وكانت مقابر مكّة كمقابر العرب عموماً يدفن كل شخص فى قبر مستقل، حتى قام الشيخ محمد بن على بن سليمان فشرع يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٠٨٦ هـ فى هدم قبور المعلاة، وبنى مقبرة خاصة ذات جدر

ص: ٢٤١

أربعة، وقسمها تقسيم الشطرنج (١).. إلخ.

قلت: فسميت المقبرة السليمانية إلى حين، ثم توحد الحى المجاور لها باسم السليمانية، وكذلك وجه قعيقعان من جهتها سمي جبل السليمانية.

## يَأَجُّ

يَأَجُّ:

بالمشاة من تحت، وهمزة ثم جيمين: ويعرف اليوم باسم (ياج)، حذفت منه الجيم الأخيرة، وتخفف همزته: وادٍ من أودية مكة يمر شمال عمرة التنعيم، فيصب في مَرَّ الظهران عند دفِّ خُزاعة بينه وبين المقوقع.

وتسمية عامة أهل مكة - وادي بئر مقيت - لبئر هناك. وقد أصبح قسمه الذي يمر به الطريق من مكة إلى المدينة معموراً، وبه بساتين ضعيفة. وكان من منازل ابن الزبير، وبطرفه من الشمال الموضع الذي قتل فيه الصحابي الشهيد حُبيب بن عَدي - أحد أسرى يوم الرجيع. وطول هذا الوادي ٣٣ كيلاً. قال أبو ذهيل الجُمحي:

وأبصرتُ ما مَرَّتْ به يوم يَأَجُّ ظباءً وما كانت به العَيْرُ تحدِّجُ وقال عمر بن أبي ربيعة:

وموعدك البطحاء من بطن يَأَجِّجِ أو الشعبُ ذو الممروخِ من بطنِ مغربِ الهوامش:

## واقعة الحرّة

١-١ شفاء الغرام ١: ٢٩٤.



ص: ٢٤٣

واقعة الحرّة

شهاب الدين الحسيني

تعريف الحرّة: (أرض ذات حجارة سوداء نخرة، والحرّة: الأرض مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث، فيها أحجار أمثال الإبل البروك، وما تحتها أرض غليظة) (١).

والواقعة حدثت في حرّة واقم، وهي الحرّة الشرقية من المدينة وهي: (أطم من أطام المدينة تنسب إليه الحرّة) (٢). وكانت أول واقعة يتمرد فيها أهل المدينة على حكومة يزيد بن معاوية بعد واقعة الطف، استنكاراً لمقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام ورفضاً للسيادة الأموية على مقدّرات المسلمين، وانتهت الواقعة بسيطرة جيش الشام واستباحته المدينة ثلاثة أيام فكثر القتل والنهب والسلب والاعتداء على الأعراض، خلافاً لتحذيرات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتكررة من الاعتداء على أهل المدينة.

١- ١ معجم البلدان- الحموي ٢: ٢٤٩. دار إحياء التراث العربي ١٣٧٩ هـ.

٢- ٢ معجم ما استعجم: عبد الله الأندلسي ١: ٤٣٨، عالم الكتب ١٤٠٣ هـ الطبعة الثالثة.

ص: ٢٤٤

قال صلى الله عليه وآله وسلم (من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (١).  
ولمّا مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحرّة وقف فاسترجع وقال: (يُقتل في هذه الحرّة خيار أمتي) (٢).

### العوامل والاسباب البعيدة للواقعة

العوامل والاسباب البعيدة للواقعة

لم تكن الواقعة وليدة عام ٦٣ هـ ولم تكن مفاجئة للحكم الأموي أو لأهل المدينة أو للمسلمين عموماً، بل تضافرت عوامل وأسباب عديدة لتتفجر في تمرد واسع قام به أهل المدينة، وكان يزيد يتوقع ذلك منهم حسب وصيّة أبيه معاوية له حيث جاء فيها: (إن رابك منهم ريب أو انتقض عليك منهم أحد فعليك بأعور بنى مرّة مسلم بن عقبة) (٣).

ويمكن تحديد العوامل والأسباب البعيدة بما يلي:

أولاً:

هواجس الأنصار من وصول الأمويين للحكم.

كانت للأنصار هواجس ومخاوف من وصول الطلقاء إلى الحكم سواء كانوا من بنى أمية أو من غيرهم أعلنوا عنها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالخصوص في اجتماع السقيفة سنة ١١ هـ، وكان الحباب بن المنذر يخاطب الأنصار والمهاجرين مؤكداً هواجسه من ذلك (أما والله وكأني بأبنائكم، وقد وقفوا على أبوابهم يسألون الناس الماء فلا يسقون ... هيهات يا أبابكر ... إذا مضيت أنا وأنت وجاءنا قوم من بعد يسومون أبناءنا سوء العذاب، والله المستعان) (٤).

وفي مقطع آخر من الحوار قال الحباب: (منا أمير ومنكم أمير، إنا والله ما نفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكننا نخاف أن يليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم واخوانهم).

١- ١ الذهبي، تاريخ الاسلام: ٢٦، دار الكتاب العربي ١٤١٢ هـ. ط ١.

٢- ٢ الإمامة والسياسة: للدينوري ١: ٢١٩. القاهرة ١٣٨٨ هـ.

٣- ٣ م. ن ١: ٢٠٩.

٤- ٤ كتاب الردة للواقدي: ٧٢.

ص: ٢٤٥

وفى تعليق يحيى بن محمد العلوى نقيب البصرة على هذه الفراسة قال: (لقد صدقت فراسة الحجاب، فإن الذى خافه وقع يوم الحرّة، وأخذ من الأنصار ثأر المشركين يوم بدر) (١).

واستمرت الهواجس متفاعلة فى نفوس الأنصار وجعلتهم لا يتفاعلون مع الوضع الجديد الذى أفرزه اجتماع السقيفة واعترف عمر بن الخطاب بذلك قائلاً:

(وتخلفت عنّا الأنصار بأسرها) (٢).

ثانياً:

تهديد بعض القرشيين للأنصار.

لما بويع أبو بكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً (وذكروا علياً وهتفوا باسمه) وجزع لذلك المهاجرون، وكان أشد قريش على الأنصار سهيل بن عمرو فكان يقول: (فادعوهم الى صاحبكم والى تجديد بيعته، فإن أجابوكم وإلا قاتلوهم)، والحارث بن هشام (فإنهم قد خرجوا مما وُصِموا به، وليس بيننا وبينهم معاتبه إلا السيف)، وأبو سفيان (وأيم الله لئن بطروا المعيشة وكفروا النعمة، لنضربنهم على الإسلام كما ضربوا) (٣).

فأثارت هذه التصريحات حفيظة الأنصار، وأيقنوا صحة ما يتخوفون منه، وكادت الفتنة أن تحدث لولا المسارعة فى اخمادها من قبل الإمام على عليه السلام، وتأسلت المخاوف فى نفوس الأنصار، وكانوا يتعاملون مع غيرهم بحذر، وتتوج هذا الحذر بأقصى الدرجات بعد وصول الأمويين الى المراكز الحساسة فى عهد عثمان بن عفان، ثم وقوفهم فى وجه الحكم الجديد الذى يقوده الإمام على عليه السلام، ووقوف الأنصار فى صفه فى معركة الجمل وصفين؛ للحيلولة دون عودة الأمويين الى الحكم، وتبددت طموحات الأنصار بعد انتقال الحكم الى معاوية ثم ابنه يزيد.

ثالثاً:

السيادة الأموية فى عهد معاوية.

١- ١ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢: ٥٣. دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢.

٢- ٢ تاريخ الطبرى ٣: ٢٠٥. مطبعة سويدان.

٣- ٣ الأخبار الموفقيات: الزبير بن بكار: ٥٨٤. منشورات الشريف الرضى ١٤١٦ هـ. ط ١.

ص: ٢٤٦

عادت السيادة الأموية من جديد بعد اضطرار الإمام الحسن عليه السلام الى تسليم السلطة الى معاوية، وبها فقد الأنصار مواقعهم في المسيرة التاريخية للمسلمين، وأيقنوا أن السيادة الأموية جادة في استئصالهم، فمعاوية قبل وصوله للحكم وبعد استقلاله بالشام وفي عهد علي عليه السلام كان يرسل الغارات على المدينة ويوصى من يكلفه بالغارة الى إخافة أهل المدينة ونهب أموالهم، وفي الوقت نفسه يوصيه بعدم التعرض لأهالي مكة، وفعلاً غزا بسر بن أرطاة المدينة ونهب الأموال ثم صعد المنبر وقام خطيباً (يا أهل المدينة.. شأهت الوجوه)، واستمر بشتمهم الى أن نزل من المنبر (١).

واستمر معاوية على نهجه في التنديد بالأنصار واهانتهم بعد وصوله الى الحكم وكان يسميهم بأبناء (قيلة) وهو اسمهم في الجاهلية ويزعج من كلمة الأنصار (٢).

واستعان معاوية بالأخطل النصراني لهجاء الأنصار فهجاهم بقوله:

(ذهبت قريش بالسماحة والندی واللؤم تحت عمائم الأنصار) (٣)

وشعر الأنصار أن الدين الذي شيدوه بجهادهم ودمائهم أصبح أداة بيد من وقف أمام زحفه في بدر وأحد، وان الجاهلية عادت من جديد بلباس اسلامي فمعاوية قد حوّل الخلافة الى ملك وكان يقول: (رضينا بها ملكاً) (٤).

وصرح بعدم الوفاء بشروط الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام: (ألا ان كل شيء أعطيته للحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به... اني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتحجوا: ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم) (٥).

وازداد حنق أهل المدينة على الحكم الأموي وعلى رأسه معاوية حينما تنصل معاوية عن الشروط التي وافق عليها قبل الصلح، ولم يف بها في الواقع بعد

١-١ تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٧-١٩٨. دار صادر- بيروت.

٢-٢ دائرة المعارف الشيعية: حسن الأمين ١: ٢٠.

٣-٣ الأخبار الموفقيات: ٢٢٨.

٤-٤ البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٢٠٠.

٥-٥ مقاتل الطالبين: ٧٧-٧٨. أنساب الأشراف ٣: ٤٤.



ص: ٢٤٧

استشهاد الامام الحسن (لعن معاوية علياً على المنابر، وكتب الى عماله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا) (١).  
ولعن على عمق كراهة معاوية في قلوب الأنصار، لأن علياً مثل موقف الحق في الفتنة، وكانوا يرونه امتداداً للرسالة ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واستمر معاوية على نهجه في عدم الوفاء بالشروط فقتل حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وآخرين من خيار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي السنوات المتأخرة على استشهاد الإمام الحسن عليه السلام (ازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد.... إلّا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض) (٢).

ولما استخلف زياد بن سمرة بن جندب على البصرة أكثر القتل فيها (قال ابن سيرين: قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف) (٣).  
وازداد بغض أهل المدينة للحكم الأموي، وأيقنوا أن الاسلام قد أصبح مشوها في عهد معاوية، وقد حُرّف عن الأسس الثابتة التي شيدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت مسيرة معاوية بعيدة كل البعد عن تلك الأسس ومنها استثنائه بالفىء وضربه من لاحد له، واسقاط الحد عمّن يستحقه، وحكمه برأيه في الرعية، واستلحاقه زياد بن سمية بأبي سفيان، وشراء الضمائر بالأموال واختيار الولاية القساء وتسلطهم على رقاب المسلمين (٤).

وقد عبر الأنصار عن كراهيتهم للحكم الأموي، وعن حقيقة الصراع بينهم وبينه حينما أغلظ لهم معاوية في قوله: (ما فعلت نواضحكم)، فقالوا: (أفئيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدك وخالك) (٥).

وكانوا قد تخلّفوا عن استقباله حينما قدم للمدينة، وقد اعترف معاوية بكراهية الأنصار لحكمه قائلاً: (أمّا بعد فإنني والله ما وليت أمركم حين وليته إلّا وأنا أعلم أنكم لاتسرون بولايتي ولاتحبونها، وإني لعالم بما في نفوسكم، ولكنني

١-١ العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٥: ١١٤. دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ. ط ١.

٢-٢ شرح نهج البلاغة ١١: ٤٦.

٣-٣ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٤٦٢. دار صادر ١٩٦٥ م.

٤-٤ شرح نهج البلاغة ٥: ١٣٠-١٣١.

٥-٥ تاريخ يعقوبي ٢: ٢٢٣.

ص: ٢٤٨

خالستكم بسيفي هذا مخالسة ... واياكم والفتنة، فلا تهموا بها فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث الاستئصال (١). وأدخل معاوية مبدأً جديداً في نظام الحكم يتنافى ويتعارض مع مبادئ الاسلام وهو توريث الحكم وتحويل الخلافة الى ملك يتوارثه الأبناء من الآباء، فعين ابنه يزيد ولياً للعهد، وأجر أهل المدينة وبقية الأمصار على بيعه ابنه، فكانت خلافة الأمويين (بنظر الفقهاء ملكاً دنيوياً لا تستند الى الدين ... وكانت المدينة يومئذٍ مركز الفقهاء، وكانت حانقة على الأمويين) (٢). واستمر أهل المدينة وأغلبهم من الأنصار في كراهيتهم للحكم الأموي في عهد معاوية ومن بعده يزيد.

### العوامل والأسباب القريبة للواقعة

العوامل والأسباب القريبة للواقعة

كان لمعاوية سياسة خاصة تختلف عن سياسة ابنه يزيد، فكان يستخدم الشدة مع اللين في سياسته مع أهل المدينة، كما وكان مدارياً للأنصار بأساليب عديدة من اغراء وخداع وترغيب وإذا لم تنفع هذه فيأتي دور التهيب، فأبقى أحقادهم وكراهيتهم لحكمه في نطاق المعارضة السلمية، ولم تظهر منه موبقات كالتى ظهرت في عهد يزيد، فتحولت المعارضة السلمية الى معارضة مسلحة أفرزتها الممارسات السلبية التي ارتكبها يزيد في سنوات حكمه القليلة:

### أولاً: تشجيع حياة المجون والانحراف

أولاً: تشجيع حياة المجون والانحراف:

اشتهر يزيد بولعه بالمعازف وشرب الخمر والغناء واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش والدباب والقروود، ومامن يوم إلأويصبح فيه مخموراً، وكان يشدّ القرد على مسرحه ويسوق به ويلبسه قلانس الذهب (٣).

١- ١ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ٢٥-٤٥. دار الفكر ١٤٠٨ هـ. ط ١.

٢- ٢ موجز تاريخ الحضارة العربية: د. عبد العزيز الدوري: ٢١.

٣- ٣ البداية والنهاية ٨: ٢٣٥.

ص: ٢٤٩

(كما كان فاسقاً قليل الدين مدمن الخمر ... وله أشياء كثيرة غير ذلك غير أنني أضربت عنها لشهرة فسقه ومعرفة الناس بأحواله) (١). وانتقل الفسق والانحراف من يزيد الى كثير من ولاته، ولم ينحصر ذلك بين الحاكم وولاته بل عملوا على: (تشجيع حياة المجون في المدينة من جانب الأمويين الى حد الإباحية ... لأجل أن يمسخوا عاصمتي الدين (مكة والمدينة) بمسحة لاتليق بهما ولا تجعلهما صالحين للزعامة الدينية) (٢).

فوجد أهل المدينة أن الإسلام بدأ ينحسر عن التأثير وتنطمس معالمه وأسسها التي شيدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي شيدها بمازرتة ومناصرتة، وان الجاهلية عادت من جديد ودب الانحراف واستشرى في عاصمة الإسلام مصحوباً بالغاء دور المدينة في سير الأحداث واصلاح الأوضاع الطارئة، فلم يبق لهم إزاء هذه التطورات الخطيرة إلا التخطيط لاعادة الأمور الى مجاريها التي أرادها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعدوا العدة لاسترجاع مكانة المدينة، واسترجاع المفاهيم والقيم الإسلامية الى ماكانت عليه قبل حكم الأمويين بتحكيم الاسلام وتقرير مبادئه في العقول والقلوب والمواقف، وتأجيل الموقف الثورى الى وقته وظرفه المناسب.

### ثانياً: مقتل الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته

ثانياً: مقتل الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته:

كان مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وخيرة الصحابة والتابعين معه ذا أثر كبير على نفوس أهل المدينة؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام يمثل القيادة الحقيقية للمسلمين، والأمل المنشود في اعادة الإسلام الى ماكان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضافاً الى الحب والتكريم الذى يكتنه أهل المدينة له، باعتباره ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن أمير المؤمنين على عليه السلام الذى وقف أهل المدينة معه

١- ١ النجوم الزاهرة ١: ١٦٣.

٢- ٢ الإمام الحسن لعبد الله العلايلي: ٢٦. منشورات الشريف الرضى ١٤١٥ هـ. ط ١.

ص: ٢٥٠

في جميع أدوار مسيرته التاريخية، فازدادت كراهية أهل المدينة خصوصاً والمسلمين عموماً للحكم الأموي بمقتل الحسين عليه السلام تلك القتل المأساوية، من قتل للكبار والصغار وقتل بعض النساء، وما رافقها من تمثيل بجث القتلى، واقتياد بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا إلى الكوفة ثم إلى الشام، وحمل رؤوس الشهداء على الرماح، وضرب عبيد الله بن زياد لوجه الحسين بالقضيب (١).

وتحدّى الحكم الأموي مشاعر أهل المدينة بنصب (رأس الحسين في المدينة) (٢). وهو تحدّ سافر لهم، تحدّ لعواطفهم وأفكارهم، فوجدوا أنّ هتك حرمة الإسلام بمقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق لأحد حرمة بعده، ومما زاد في كراهيتهم ليزيد وتحريك ضمائرهم باتجاه التمرد على حكم يزيد قيام الإمام علي ابن الحسين عليه السلام وعمته زينب وزوجة أبيه الرباب باثارة المظلومية وابرار تفاصيل الظلم الذي تعرض له الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، فحرّكت تلك المظلومية كوامن الغضب والكراهية وتحولت من طور القوة إلى طور الفعل والتحدّي العسكري، فتضافرت جميع الوقائع في انضاج الموقف الثوري، كما قال المسعودي: (ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه، وما ظهر من فسقه، من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنصاره وما أظهر من شرب الخمر وسيره سيرة فرعون، بل كان فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته، وأنصف منه لخاصته وعامته ... أخرج أهل المدينة عامل يزيد ...) (٣).

وقال الديار بكرى: (إنّ أكابر أهل المدينة نقضوا بيعه يزيد لسوء سيرته، وأبغضوه لما جرى من قتل الحسين) (٤).

### ثالثاً: الاستهانة بالمفاهيم والقيم الإسلامية

ثالثاً: الاستهانة بالمفاهيم والقيم الإسلامية:

لم يكتفِ يزيد بقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته، بل ترقى في موبقاته ليعلن

١- ١ الكامل في التاريخ ٤: ٧٩-٨٠. تاريخ الطبري ٥: ٤٥٦.

٢- ٢ أنساب الأشراف للبلاذري ٣: ٢١٩. دار التعارف ١٣٩٧ هـ. ط ١.

٣- ٣ مروج الذهب للمسعودي ٣: ٦٩. دار الهجرة ١٤٠٩ هـ. ط ٢.

٤- ٤ تاريخ الخميس لحسين الديار بكرى ٢: ٣٠٠. مؤسسة شعبان.

ص: ٢٥١

بصراحة ما يختلج في خاطره من مفاهيم واعتقادات ومن أهداف أراد تحقيقها فتحققت أولى خطواتها بمقتل الحسين عليه السلام، فحينما شاهد يزيد رؤوس الشهداء على المحامل لم يتمالك خواطره وأفصح عن سريره في شعره الذي يقول فيه:

(لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على شفا جيرون

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني) (١)

فأثبت يزيد أن دوافع قتل الحسين دوافع جاهلية تعود الى طلب ثأر المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين على عليه السلام، وتأسف يزيد على قتلى المشركين في معركة بدر وتمنى حضورهم لمشاهدة أخذ الثأر فأنشد شعراً له أو لغيره متمثلاً به.

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا لي هتياً لا تسل

حين حكى بقاء بركها واستحز القتل في عبد الاشل

قد قتلنا الضعف من أشرافكم وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل (٢) وقد أضاف ابن العماد الحنبلي بيتاً آخر ليزيد.

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحى نزل (٣)

ومن خلال هذه الأشعار أفصح يزيد عن متبنياته الفكرية والعاطفية والسلوكية، وأعلن تحديه الواضح لأفكار المسلمين وعواطفهم، فأيقن أهل المدينة انحراف الحكم الأموي عن الإسلام وتخطيطه لعودة الجاهلية الى مسرح الأحداث من جديد، فوجد أهل المدينة ان اصلاح الأوضاع القائمة لا يتحقق من خلال المعارضة السلمية الهادئة، فلا جدوى للقول ولا معول على الكلام، مالم يتخذ موقف يتناسب وحجم التحدي، حجم المخاطر المحيطة بالاسلام وبالكيان الإسلامي، فكان الموقف هو الثورة المسلحة في أوانها.

#### رابعاً: السخط العام على الحكم الأموي

١- ١ روح المعاني للأكوسي ٢٦: ٧٣. دار احياء التراث العربي.

٢- ٢ البداية والنهاية ٨: ١٩٢. المنتظم ٥: ٣٤٣.

٣- ٣ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١: ٦٩. دار الآفاق بيروت.

ص: ٢٥٢

رابعاً: السخط العام على الحكم الأموي

واجه الحكم الأموي سخط عام من قبل المسلمين جميعاً وفي جميع الأمصار، واستشرى السخط العام ليمتد الى الأسرة الحاكمة نفسها والموالين لها، فتبرأت أم عبيد الله بن زياد من ابنها لاصدار أوامره بقتل الإمام الحسين عليه السلام وساندها في البراءة أحد أبنائها، ولاقى يزيد استنكاراً شديداً من قبل نسائه ومن قبل أخواته، واستنكر يحيى بن الحكم أخو مروان مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصاب الندم الغالبية العظمى من قادة الجيش وجنوده الذين شاركوا في مقتل الحسين كعمر بن سعد وشيث بن ربيعي (١).

كما استنكر البقية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقتل الحسين عليه السلام ومنهم زيد ابن أرقم ووائله بن الاسقع، وندم الكثير من المسلمين لعدم اشتراكهم في المعركة الى جنب الحسين عليه السلام، خصوصاً أهل الكوفة والبصرة والمدائن، وأخذوا يعدون العدة للوثوب على الحكم الأموي في ثورة مسلحة، وقد اعترف يزيد بالسخط العام على حكومته، وحاول التنصل عن جريمة قتل الحسين وإلقاء اللوم على عبيد الله بن زياد فقال: (بغضني بقتله الى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر) (٢).

وقد اضطرّ يزيد إلى إكرام الإمام زين العابدين، وارساله مع نساء الحسين الى المدينة بتجيل واحترام ملقياً باللوم على ابن زياد، وهذه الأحداث جعلت أهل المدينة يشعرون بضعف الحكم الأموي وانحسار شعبيته في داخل الشام وحدها، خصوصاً أنه لم يتخذ موقفاً حازماً من تمرّد عبد الله بن الزبير في مكة وجمعه للأتباع والأنصار، فازداد شعور أهل المدينة بضعف الحكم الأموي، ممّا دفعهم للتخطيط الى القيام بثورة مسلحة.

### العوامل والأسباب الفعلية للواقعة

١- ١ الكامل في التاريخ ٤: ٨٦-٩٠.

٢- ٢ البداية والنهاية ٨: ٢٣٢.

ص: ٢٥٣

العوامل والأسباب الفعلية للواقعة

**أولاً: الاعتداء على بعض أهل المدينة**

أولاً: الاعتداء على بعض أهل المدينة

جعل والى المدينة عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته عمرو بن الزبير، فأرسل بدوره الى نفر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً منهم المنذر بن الزبير وابنه محمد، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم، ومحمد بن عمّار بن ياسر وغيرهم، ممّا أثر هذا الموقف على نفوس أهل المدينة من بقية المهاجرين وأنصارهم والأنصار، واعتبروا ذلك بداية للاستهانة بهم والاعتداء على كرامتهم وأرواحهم، وأيقنوا أن الحكم الأموي الذي تجرأ على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سيكون أكثر جراً واقداماً على قتلهم وهو يعلم بكراهيتهم لحكمه، فأيقنوا أن الهجوم على المدينة بات وشيكاً فتهيأوا للمواجهة المسلحة.

**ثانياً: التحولات الادارية**

ثانياً: التحولات الادارية

عزل يزيد عمرو بن سعيد الأشدق عن ولاية المدينة، وأعاد الوليد بن عتبة اليها، ثم عزله فولّى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وهو فتى حدث صغير السن قليل التجربة في الإدارة وفي التعامل مع أهل المدينة، وفيهم بقايا المهاجرين والأنصار، ورافق كل التحولات تغيير في الأجهزة الحكومية العاملة في المدينة ممّا أضعف السيطرة عليها وأصبحت الفرصة مناسبة للخروج من قبضة الحكومة الحالية.

**ثالثاً: الاطلاع المباشر على ممارسات يزيد**

ثالثاً: الاطلاع المباشر على ممارسات يزيد

أرسل عثمان بن محمد وفداً من أهل المدينة الى يزيد ومنهم عبد الله بن

ص: ٢٥٤

حنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي وبعض الأشراف فأكرمهم يزيد بالأموال والعطايا لشراء ذممهم، ولكن ذلك لم ينههم عن عزمهم بعد ان اطلعوا اطلاقاً مباشراً على ممارسات يزيد المخالفة للمنهج الإسلامى، فلما رجعوا أظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: (... قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطناير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب). وقال ابن حنظلة موضحاً دوافع الثورة: (... فوالله ماخرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة) (١). وقد أخذوا العطايا من يزيد لتعينهم على التمرد المسلح فى وقته المناسب.

### رابعاً: مصادرة الأموال وردود الأفعال الحكومية

رابعاً: مصادرة الأموال وردود الأفعال الحكومية

منع أهل المدينة من وصول الحنطة والتمر الى الشام، واعتبروا ذلك حقاً لهم فى ظرف الفقر الذى خيم عليهم والذى فرضه الحكم الأموى عليهم، فأخبر المسؤول عن إيصالها الوالى عثمان بن محمد فأرسل الى رؤوس أهل المدينة وكلمهم بكلام غليظ وتأزم الموقف فأعلنوا الخروج عليه، وحينما سمع يزيد بالحدث كتب اليهم كتاباً شديداً للهجة جاء فيه: (... وأيم الله لئن آثرت أن أضعكم تحت قدمى لأطأنكم وطأة أقل منها عددكم، وأترككم أحاديث تتناسخ كأحاديث عادٍ وثمود، وأيم الله لا يأتينكم منى أولى من عقوبتى فلا أفلح من ندم).

ولما قرئ الكتاب وأيقن عبد الله بن مطيع ورجاله معه أن يزيد باعث الجيوش اليهم أجمعوا على الخلاف والخروج عن طاعته (٢). وهكذا (كان تحرك المدينة استنكاراً مباشراً لمقتل الحسين ورفضاً للسيادة

١-١ تاريخ الاسلام للذهبي: ٢٧. تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٦٧.

٢-٢ الامامة والسياسة ١: ٢٠٧.



ص: ٢٥٥

الأموية التي حادت برأيهم عن الشرعية وانحرفت عن روح الإسلام (١).

واستثمر يزيد موقفهم لابرار موقفه الانتقامي منهم بدافع التار لما حدث في بدر، لأن غزوة بدر (التي كانت غالبيتها من الأنصار ... قد أثارت حقد قريش على هؤلاء مُلقية عليهم مسؤولية الهزيمة التاريخية التي ظلت تتفاعل أجيالاً في نفوس بني أمية) (٢).

## سير الاحداث

### سير الأحداث

ولّى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة وهو فتى حدث، لم يمر بتجربة في التعامل مع الأفراد أو التعامل مع الأحداث، فأرسل وفداً من أهل المدينة الى يزيد ومنهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي فأكرمهم يزيد بالعطايا، ولكن ذلك لم يمنعهم من إظهار مساوئه التي اطلعوا عليها، فلما وصلوا الى المدينة اتفقوا على خلع يزيد، ومنعوا من وصول الحنطة والتمر الى الشام، فلما سمع يزيد بالخبر بعث الجيوش اليهم، فأعلنوا العصيان المسلح وتهيأوا للمقاومة وحاصروا بني أمية ومواليهم وكانوا ألفاً ثم أخرجوهم بعدما أخذوا منهم المواثيق أن لا يظاهروا عدوهم عليهم.

أوصى يزيد قائد الجيش مسلم بن عقبة: (أدع القوم ثلاثاً فان أجابوك وإلا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فانهبها ثلاثاً). وقام أهل المدينة بحفر خندق حولها، وحين وصول جيش الشام خان مروان وأبناؤه الميثاق، وظاهروا الجيش على قتال أهل المدينة، وأقنعوا بني حارثة بادخال جيش الشام من جهتهم، فدخل الى جوف المدينة، فكان الهجوم على أهلها من الأمام ومن الخلف ثم من الجهات الأربع، فحوصرت المدينة، لكن أهلها استبسوا بالقتال واستطاع عبد الله بن حنظلة أن يهزم كل من توجه الى

١- ١ التوابون للدكتور ابراهيم بيضون: ٨٢.

٢- ٢ الأنصار والرسول: د. ابراهيم بيضون: ٢٩.

ص: ٢٥٦

قتاله الى أن قُتل أخوه وأبناؤه العشرة، وبعد مقتلهم انهزم أهل المدينة، واستطاع الجيش الأموى اخماد حركتهم وأباح قاندهم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، ودعى ابن عقبه أهل المدينة الى البيعة على أنهم عبيد ليزيد يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهلهم فمن أبى البيعة بهذه الصورة قُتل، واستثنى من ذلك الإمام على بن الحسين عليه السلام، واستطاع عليه السلام أن يشفع لبقية أهل المدينة، وأنقذهم من القتل (١).

## نتائج الحقد الأموى على المدينة وأهلها

### أولاً: عدد القتلى

أولاً: عدد القتلى

استمر الجيش الشامى بإبادة أهل المدينة وإكثار القتل فيهم ثلاثة أيام، حتى بلغ العدد الذى أحصى يومئذٍ (من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبعمئة، وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان).  
 (وقُتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثمانون رجلاً، ولم يبق بدرى بعد ذلك) (٢).  
 وفى رواية الزهرى: (سبعمئة من وجوه الناس، ومن لا يعرف من عبد وحر وامرأة عشرة آلاف) (٣).  
 وفى رواية ابن أعثم (٦٥٠٠) ورواية المسعودى (٤٢٠٠) (٤).  
 والظاهرة البارزة فى هوية القتلى تُظهر التركيز على أبناء الصحابة وبقية الصحابة من حملة القرآن ومن المشاركين فى بدر، حتى كانت الحرّة نهايةً للبدرين جميعاً وقتل فيها  
 (سبعمئة من حملة القرآن) (٥).  
 ومن الوجوه البارزة التى قتلت فى الواقعة: عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وأبناؤه العشرة وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس وزيد بن عبد

١-١ الكامل فى التاريخ، تاريخ الطبرى، الامامة والسياسة، مروج الذهب.

٢-٢ الامامة والسياسة ١: ٢١٥-٢١٦.

٣-٣ المنتظم ٦: ١٦.

٤-٤ الفتوح ٥: ١٨١. مروج الذهب ٣: ٧٠.

٥-٥ تاريخ الاسلام للذهبي: ٣٠.

ص: ٢٥٧

الرحمن بن عوف، وعبد الله بن زيد بن عاصم، ومحمد بن عمرو بن حزم، وعبد الله بن عبد الرحمن بن حاطب، ومعقل بن سنان الأشجعي، وإبراهيم بن نعيم النخام، ومحمد بن أبي كعب، وسعد وسليمان وإسماعيل وسليط وعبد الرحمن وعبد الله أبناء زيد بن ثابت، وعون وأبو بكر ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وجعفر بن محمد بن الحنفية والفضل بن العباس بن ربيعة، وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث، والعباس بن عتبة بن أبي لهب، ومحمد بن أبي الجهم.

### ثانياً: الاعتداء على النساء والأطفال

ثانياً: الاعتداء على النساء والأطفال

لم يرع الجيش الشامي أية حرمة للنساء والأطفال، فاستقبلوا أوامر الإباحة باندفاع منقطع النظير، وحولوها الى واقع ملموس، فبعد هزيمة أهالي المدينة (افتض فيها ألف عذراء) وانه (حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج) (١). فقد خالف الجيش المسلمات الأساسيه في الشريعة الإسلاميه وفي الأعراف القائمه، فمهما كان ذنب الرجال فلا ذنب للنساء وهنّ مؤمنات مسلمات لا يجوز سبيهنّ أو الاعتداء عليهنّ. ودخلت الجيوش الشاميه أحد البيوت فلما لم يجدوا فيه إلّا امرأة وطفلاً ليس لديها مال أخذوا طفلها وضربوا رأسه بالحائط فقتلوه (٢). وقام أحد جنود الشام بتكرار العمليه حينما ضرب ابناً لابن أبي كبشه الأنصاري بالحائط فانتشر دماغه في الأرض (٣).

### ثالثاً: النهب والسلب

ثالثاً: النهب والسلب

أول دور انتهت والحرث قائمه دور بني عبد الأشهل، فما تركوا في المنازل التي دخلوها شيئاً إلّا نهبوه من أثاث وحلى وفرش حتّى الحمام والدجاج كانوا

١-١ تاريخ الخلفاء: ١٦٧. البداية والنهاية ٨: ٢٢١. تاريخ الاسلام: ٢٦.

٢-٢ المحاسن والمساوي للبيهقي ١: ١٠٤.

٣-٣ الامامة والسياسة ١: ٢١٥.

ص: ٢٥٨

يذبحونها، ودخلوا على أبي سعيد الخدرى، فقال لهم أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له جنود الشام: مازلنا نسمع عنك، ولكن أخرج الينا ما عندك، فلما لم يجدوا عنده شيئاً نتفوا لحيته وضربوه، ثم أخذوا ما وجدوه من مواد عينية لقيمة لها، وأرسلت سعدى بنت عوف المزى الى مسلم بن عقبة المزى تطلب منه عدم التعرض لابلها باعتبارها ابنه عم له، فقال: (لاتبدأوا إلبها)

، واستمر جيش الشام بالنهب والسلب ثلاثة أيام فما تركوا مالاً أو ممتلكات عينية إلا أخذوها (١).

## رابعاً: انتهاك المقدسات

رابعاً: انتهاك المقدسات

لم يرع جيش الشام أى حرمة للمقدسات الإسلامية فكان همّه ارضاء يزيد بن معاوية بأى اسلوب كان، وكانت طاعته مقدمة على كل شىء، فكان الجيش يخاطب بقايا المهاجرين والأنصار (يايهود) (٢).  
وسمى ابن عقبة المدينة (نتنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيبة) (٣).  
وعطت الشعائر الإسلامية ثلاثة أيام، قال أبو سعيد الخدرى: (فوالله ما سمعنا الأذان بالمدينة ... ثلاثة أيام إلا من قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم) (٤).

وحيثما وصلت الأخبار الى يزيد وفى رواية حينما ألقيت الرؤوس بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبيرى:

ليت أشياخى بيدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حكت بقباء بركها واستحر القتل فى عبد الأشل (٥)

وسبق ليزيد أن تمثل بهذه الأبيات حينما وصل اليه رأس الإمام الحسين عليه السلام.

وهكذا كانت الواقعة تعبيراً عن الحقد الذى يكنه الأمويون للأنصار منذ واقعة بدر، والذى ظهر فى توجيهات يزيد لابن عقبة قبل الواقعة: (فإذا قدمت

١- ١ م. ن: ١- ٢١٣. المنتظم ٦: ١٥.

٢- ٢ أنساب الأشراف: قسم ٤، ١، ٣٢٧.

٣- ٣ مروج الذهب ٣: ٦٩.

٤- ٤ الفتوح ٥: ١٨٢. ابن أعثم دار الكتب العلمية ١٤٠٦ هـ. ط ١.

٥- ٥ أنساب الأشراف ٤- ١- ٣٣٣. الأخبار الطوال: ٢٦٧. العقد الفريد ٥: ١٣٩.

ص: ٢٥٩

المدينة فمن عاقتك عن دخولها أو نصب لك الحرب، فالسيف السيف، أجهز على جريحهم وأقبل على مدبرهم واياك أن تبقى عليهم (١).

وقد نفذ ابن عقبة تلك التوجيهات وشجع على الإبادة الجماعية فكان مناديه ينادى: (من جاء برأس فله كذا وكذا ومن جاء بأسير فله كذا وكذا)، فلم يبق بدرى إلّا قتل (٢).

فأخذ يزيد ثأر المشركين الذين قتلوا ببدر يوم الحرة فانتقم من بقايا المهاجرين والأنصار وأبناهم انتقاماً متناسباً مع درجة الحنق التي يكتنّها لهم.

## النتائج البعيدة للواقعة

### أولاً: تنامي الحركات المسلحة

أولاً: تنامي الحركات المسلحة:

قال الذهبي: (لما فعل يزيد بأهل المدينة مافعل، وقتل الحسين واخوته وآله ... بغضه الناس وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك الله في عمره) (٣).

تنامي البغض عند المسلمين ليتحول بالتدريج الى موقف عملي مسلح، فلم يمر على واقعة الحرة إلا عام واحد حتى تمرد أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل مكة على الحكم الأموي. وضعفت سيطرة الولاة الأمويين على هذه الأمصار، فكانت واقعة عين الوردية وحركة المختار الثقفي وحركة عبد الله بن الزبير، وكان لمقتل الحسين عليه السلام ولمقتل أهل المدينة دور كبير لتفاعل العمل الثوري وتنميته واستشرائه في أرض الواقع بالتخلص من السيطرة الأموية.

### ثانياً: زوال الدور السياسي لأهل المدينة

ثانياً: زوال الدور السياسي لأهل المدينة:

كانت واقعة الحرة محنة عظيمة تعرض لها أهل المدينة، وقدموا فيها خسائر

١-١ الامامة والسياسة ١: ٢٠٩.

٢-٢ معالم الفتن ٢: ٣١٧. عن كتاب المحن ١: ١٥١-١٥٨.

٣-٣ تاريخ الاسلام: ٣٠.

ص: ٢٦٠

كبيرة كميّاً ونوعاً طالّت رجالهم وممتلكاتهم، حيث فقدوا فيها القيادات المؤثرة في سير الأحداث من بقايا المهاجرين والأنصار وخصوصاً المشاركين في بدر حيث كانت لهم مكانة خاصة عند المسلمين، وبفقدانهم فقدت المدينة مؤهلاتها القيادية كما يقول الدكتور ابراهيم بيضون: (ان المحنة العظيمة التي نزلت بهم في الحرّة دفعتهم الى العزلة التامة وانتهت بهم الى زوال دورهم السياسي بصورة نهائية) (١).

فالمآسى التي تعرض لها أهل المدينة والوحشية التي واجهها الجميع بقيت ماثلة أمامهم، أدّت بهم الى الركون الى حياة الدعة والانسحاب من الأحداث الساخنة، ولم تبرز للعيان عملية مشابهة للحرّة إلّا في سنين متأخرة من الحكم الأموي والحكم العباسي. وقد أصبحت مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حكم بنى أمية (كالواحة في الصحراء التي تحيط من جهاتها الأربع الكآبة الموحشة، والظلام الدامس، ولم تسترد المدينة قط عهودها الغابرة حتّى أصبحت في عصر بنى أمية بلدة الماضي السحيق) (٢).

### ثالثاً: انكشاف حقيقة الحكم الأموي

ثالثاً: انكشاف حقيقة الحكم الأموي:

لم يستطع يزيد أن يستمر في إضفاء الشرعية على حكمه والباسه لباساً اسلامياً بعد الذي حدث في واقعه كربلاء وواقعه الحرّة، فقد أبدى يزيد فرحه بما جرى على أهل المدينة وأنشد شعر ابن الزبيرى مستشفياً بقتلى أهل الحرّة مصرّحاً بأخذ ثأر بدر منهم، وقد كشفت الممارسات اللاإنسانية الحقيقة التي أخفاها الأمويون والمتمثلة بإحياء المفاهيم والقيم الجاهلية من جديد، فلم يستطع يزيد ولا ولاته ولا بعض الفقهاء السائرين وراء مصالحهم الذاتية من

١- ١ الأنصار والرسول: ٥٦.

٢- ٢ الامام الحسين للقرشى ١: ٢٩٢. عن مختصر تاريخ العرب: ٧٥.

ص: ٢٤١

إخفاء الحقائق، فأصبح الحكم الأموي في نظر المسلمين حكماً فاقداً للشرعية لا يمثل الخلافة بل هو حكم ملكي قائم على أساس الوراثة التي ابتدعها معاوية.

### تقييم أسباب الانتكاسة العسكرية

تقييم أسباب الانتكاسة العسكرية

كان هدف أهل المدينة هو الثأر لدم الحسين عليه السلام ورفضاً للسيادة الأموية، وكانت البيعة تتركز على بذل الدماء، فلم يكن للتمرد العسكري أهداف أخرى ومنها اسقاط الحكم الأموي، لذا كان التخطيط منصّباً على تكريس التحدي، ولهذا كانت النتيجة هي الانتكاسة العسكرية، التي يمكن تحديد أسبابها بالنقاط التالية:

### أولاً: فقدان الموقع الاستراتيجي

أولاً: فقدان الموقع الاستراتيجي:

لم تكن المدينة ذات موقع استراتيجي صالح للعمليات العسكرية من ناحية الهجوم والدفاع، وقد أثبتت الوقائع عدم قدرتها على المقاومة حينما داهمتها قوات معاوية بقيادة بسر بن أرطأة في عهد الإمام على عليه السلام حيث استطاع بسر احتلالها دون مقاومة، إضافة الى ذلك فإن المدينة بقيت في العهد الأموي تعيش الفقر بسبب قلّة الموارد الأولية من جهة وكثرة الضرائب المفروضة عليها، حيث كانت مواردها الأساسية تبعث إلى الشام، ولا يبقى لها والى المدينة إلّا اليسير من الموارد، وكان أهل المدينة يشعرون بفقدانها الموقع الاستراتيجي لذا اضطروا الى حفر خندق حولها كما اضطّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الخندق الى حفره، ولهذا لم تستمر المقاومة في المدينة لجيش الشام أكثر من نهار واحد.

### ثانياً: عدم التنسيق مع الأمصار الأخرى

ثانياً: عدم التنسيق مع الأمصار الأخرى:

ان الأمصار الأخرى كالبصرة والكوفة واليمن وغيرها مهياً للمقاومة

ص: ٢٦٢

المسلحة، وكانت تنتظر الفرصة المناسبة للانقضاض على الحكم الأموي، فلو حدث تنسيق بينها وبين المدينة لتغيرت مسيرة الأحداث نحو الأفضل بتكاتف الجهود والأعمال المسلحة، ولكن لم يحدث أى تنسيق يؤدي الى توزيع القوى وفتح جبهات عديدة لتشتيت الجيش الأموي والتقليل من مركزه في موقع واحد، فأهل المدينة بمفردهم لا يستطيعون الصمود في وجه جيش محترف أكثر من يوم واحد وهي نتيجة معلومة سلفاً بدون تنسيق مع الأطراف الأخرى.

### ثالثاً: تعدد القيادة العسكرية

ثالثاً: تعدد القيادة العسكرية:

توزعت القيادة العسكرية على قائدين: عبد الله بن مطيع العدوي على قريش، وعبد الله بن حنظلة على الأنصار، وقد تنبأ عبد الله بن عباس بالنتيجة العسكرية من جراء تعدد القيادة قائلاً: (أميران! هلك القوم) (١). فالقيادة الواحدة تعمل على تنسيق البرامج والخطط، وتجعل الأوامر والتوجيهات واحدة وتساعد على سرعة تنفيذ الأعمال والنشاطات، أما تعدد القيادة يؤدي الى تعدد كل ما يتعلق بسير الأحداث، فكانت النتيجة هي استشهاد عبد الله بن حنظلة وانسحاب عبد الله بن مطيع من المعركة ولحوق أتباعه به، وكانت النتيجة هي الهزيمة وعدم الصمود أمام القوات المهاجمة.

### رابعاً: عدم التكافؤ بين القوتين

رابعاً: عدم التكافؤ بين القوتين:

اعداد القوة كماً ونوعاً من ضروريات الحسم العسكري، وفي واقعة الحرة لا يوجد تكافؤ بين القوتين من حيث الكم والنوع، فالجيش الأموي كان يفوق الجيش المدني أضعافاً، فقد أرسل يزيد مع مسلم بن عقبة: (اثني عشر ألف فارس وخمسة عشر ألف راجل) (٢). وهم جيش منظم ومدرب ومحترف

١-١ العقد الفريد ٥: ١٣٧.

٢-٢ البداية والنهاية ٨: ٢١٨.



ص: ٢٤٣

للقتال واشترك جميعهم في عدة معارك سابقة، أما الجيش المدني فإنه جيش غير منظم يعتمد على المتطوعين فقط، ولا توجد لديه امدادات ومراكز إسناد إن احتاج الى ذلك على عكس ما عليه الجيش الشامي.

### خامساً: التسرع وعدم اتخاذ التدابير اللازمة

خامساً: التسرع وعدم اتخاذ التدابير اللازمة:

كان التحرك سريعاً فلم يسبقه تخطيط متواصل وكانت القرارات أشبه بالارتجالية فلم تتخذ التدابير اللازمة في انجاح سير الحركة، فأهل المدينة أطلقوا الأمويين ومواليهم وكان عددهم ألفاً، فكشفوا أسرارهم الى الجيش الأموي، وأعطوهم المعلومات الكاملة عن نقاط الضعف والثغرات المتروكة، وفعلاً استطاع مروان أن يدخل الى داخل المدينة برفقة بعض القطعات العسكرية من ناحية بنى حارثة، فشجعت هذه الثغرة جيش الشام على الالتفاف ومحاصرة أهالي المدينة من جميع الجهات.

### سادساً: وجود المشبطين للعزائم

سادساً: وجود المشبطين للعزائم:

العزيمة والروح المعنوية لها تأثيرها الملحوظ في الاندفاع للقتال والاستمرار عليه دون كلل أو ملل أو تراجع أو نكوص، وعلى الرغم من تحلى أهل المدينة بالعزيمة والاندفاع والاستبشار بالصمود والمقاومة لكن العزيمة لم تدم طويلاً لوجود المشبطين والناهين عن التمرد والخروج، وعلى رأس المشبطين عبد الله بن عمر، فقد منع أبناءه من الاشتراك في المقاومة وقال لهم: (فلا يخلعن أحد منكم يزيد، ولا يسرعن أحد منكم في هذا الأمر فيكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيني وبينه). وكان يدخل على قادة التحرك وأتباعهم ويحاول منعهم من الخروج،

ص: ٢٦٤

فدخل على عبد الله بن مطيع وقال له: (إنما جئتك لحدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من نزع يداً من طاعه فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له، ومن مات مفارق الجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية) (١).  
وأنكر على أهل المدينة مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت، وقال: (إنما كنا نبايع رسول الله على أن لانفر) (٢).  
ولما انهزم أهل المدينة وسمع ابن عمر صياح النساء والصبيان قال: (بعثان ورب الكعبة) (٣).  
فكان له تأثير كبير على اضعاف معنويات المقاتلين باعتباره فقيهاً من فقهاء المدينة وممن عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.  
وهكذا اجتمعت ظروف وملابسات عديدة أدت الى الهزيمة العسكرية واستباحة المدينة بسيطرة الأمويين عليها، والقضاء على روح الثورة فيها.  
الهوامش:

## المساجد والاماكن الاثرية المجهولة (٥)

### لزائر المدينة المنورة الميمونة

#### إشارة

- ١-١ مختصر تاريخ دمشق ٢٨: ٢٨. تاريخ الاسلام: ٢٥.
- ٢-٢ البداية والنهاية ٨: ٢١٨.
- ٣-٣ م. ن ٨: ٢٢١.





ص: ٢٦٧

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة (٥)

لزائر المدينة المنورة الميمونة

تأليف عبد الرحمن خويلد

## مقدمة

## إشارة

مقدمة:

بما أن للمدينة المنورة فضلاً كبيراً على المسلمين، لأنها مهاجر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعاصمة الإسلام الأولى، ومنها انطلق الإسلام إلى الآفاق، وعمّ بنوره البشري، وأنقذ من هداه الله سبحانه من الشك والضلالة إلى التوحيد والهداية؛ لذلك لا بدّ من معرفة معالمها المهمة، وآثارها الرائعة.

وقد رأيت أن أكثر الزائرين لطيفة الطيبة لا يعرف عنها سوى المسجد النبوي الشريف، والبقيع، والمزارات الأربعة المشهورة، وهي (مسجد قباء، ومسجد القبليتين، والمساجد السبعة، وشهداء أحد)، علماً بأنّ قسماً منهم لا يعرف حتى هذه المزارات الأربعة إلّا بعد سماعه عنها من أصحابه أو من بعض سائقي السيارات عندما يرفعون أصواتهم بعبارة (زيارة يا حاج).

أما بقية المساجد والأماكن الأثرية الأخرى فأعتقد أن أغلب زوّار هذه

ص: ٢٤٨

المدينة العزيزة إن لم يكن كلهم لا يعرف أو لم يسمع عن بعضها، بالرغم من زيارته للمدينة المنورة مرّات عديدة. وكيف تُجهل هذه المساجد والأماكن التي كانت عامرة بنزول الوحي عليه السلام، أو كونها مصلى أو مقيلاً أو مبيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

فتجول زوارها في ربوعها يعيد إلى أذهانهم الذكريات العطرة، والصور الرائعة للسيره النبوية على هذه الأرض المباركة، مما يثلج صدورهم ويسعد نفوسهم، ويزيد إيمانهم؛ لذلك رأيت أن من الضروري إخراج هذا الكتاب لينتفع به الزوّار. والمنهج الذي اتبعته في ذلك هو: تصوير هذه المساجد والأماكن لسهولة التعرّف عليها أوّلاً، وللحفاظ على صورتها خشية اندثارها ثانياً، ثمّ إيضاح أماكنها، والتعليق عليها.

وقد رتبتها من حيث القرب والبعد عن مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مراعيّاً في ذلك موقعها في اتجاه واحد. ووضعت خريطة تبيّن أماكنها، وتسلسل أرقامها؛ ليستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر، وختمت الكتاب بوضع أربعة فهارس له. وحرصت على ذكر المساجد التي ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى فيها. راجياً من الله تعالى العون والسداد والتوفيق لما يحبه ويرضاه، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

ص: ٢٦٩

**٢٣- بئر عَرَس**

٢٣- بئر عَرَس

مكان هذه البئر على يسار القادم من مسجد قباء أو من قربان إلى باب العوالي، وهي خلف الإشارة الضوئية، من الجهة الشرقية، وتبعد عنها بمسافة تقدر بخمسمائة وخمسين متراً، وتقع بمحاذاة معهد دار الهجرة ومدارس الشاوي

ص: ٢٧٠

الأهلية من الناحية الغربية. وهي الآن مسورة من جهاتها الأربع، ولا يمكن رؤيتها إلا بالصعود على جدار سورها. وهذه البئر معلّم أثري قديم، وهي لسعد بن خيثمة، الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبيت أيامه في منزله في قباء قبل أن ينتقل إلى المدينة (١).

جاء في تاريخ معالم المدينة (٢) الآتي (قال المطري: وكانت هذه البئر قد خربت فجددت سنة ٧٠٠ هـ وهي كثيرة الماء وعرضها عشرة أذرع وطولها يزيد على ذلك، وماؤها تغلب عليه الخضرة وهو طيب عذب، وقد خربت بعد ما اشتراها وما حولها الخواجة حسين بن الشهاب أحمد القاواني، وحوط عليها حديقة وعمرها، وجعل لها درجة ينزل إليها من داخل الحديقة وخارجها، وأنشأ بجانبها مسجداً عام ٨٨٢ هجرى) (٣).

أما الآن فهي جافة من الماء، وقيل: إن من اغتسل من مائها ثلاثة أيام ذهب حُمته، وقد جرّب ذلك من لازمته الحمى فترة طويلة أو متقطعة، فبرئ منها، وقيل: (٤) إن في مائها مادة معدنية تداوى مخص المعدة وآلامها.

وقد توهّم الأستاذ عبيد الله كردى محقق كتاب تاريخ معالم المدينة المنورة (٥) بقوله: (وموقعها الآن أمام معهد دار الهجرة، يفصل بينها وبين المعهد الشارع، كما أن بئر غريس بالتصغير تلاصق المعهد من الناحية الغربية).

والصواب كما سألت بعض أهل المحلّة، وكذلك التقيت بالفلاح الكبير السن الذى يعمل فى المزرعة التى فيها هذه البئر، فأخبرونى بأن هذه البئر المجاورة للمعهد هى المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهى المجرب ماؤها فى شفاء بعض الأمراض، ولكن يسميها بعض الناس بئر غرس، ويطلق عليها البعض الآخر بئر غريس.

وقد دعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدلو من مائها فتوضأ منه، ثم سكب بقيه وضوئه

١-١ تاريخ المدينة: ١/ ١٦٢، والمغانم المطابة: ص ٤٥٦.

٢-٢ ص ١٨٢.

٣-٣ لم يبق أثر لهذا المسجد.

٤-٤ الدر المنثور: ص ١٢٦.

٥-٥ ص ١٨٢ فى الهامش.



ص: ٢٧١

فيها. (١) وذكر المراغي في كتابه تحقيق النصره (٢) أن أبا نعيم وابن النجار رَويا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة، فأصبح على بئر غرس، فتوضأ منها، وبزق فيها، وقيل: أهدى له عسل فصبه فيها». وجاء في طبقات ابن سعد (٣) «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرب من بئر غرس وبرك فيها، وقال: هي عين من عيون الجنة». وروى عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرب من بئر غرس وغسل منها. وأخرج ابن ماجه في سننه (٤) عن علي رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أنا مت فاعسلوني بسبع قرب من بئر غرس».

١-١ تاريخ المدينة: ١ / ٦١؛ وتاريخ معالم المدينة: ص ١٨؛ والدُر الثمين: ص ١٢٦.

٢-٢ ص ١٧٠.

٣-٣ ١٣ / ٥٠٢ - ٥٠٤.

٤-٤ تاريخ المدينة: ١ / ١٦٢.

ص: ٢٧٢

## ٢٤- مسجد الفقير

## ٢٤- مسجد الفقير

يقع هذا المسجد على يمين الطريق الموصل بين قربان والعوالي، ويبعد عن مسجد قباء بمسافة تقدر بكيلو متر واحد وتسعمائة متر، وعن الإشارة الضوئية بمسافة كيلو متر واحد، ومكانه على يمين محطة (نفط) للبنزين بالنسبة للقادم من قباء أو قربان. وفيه أثر لمسجد قديم، وهو عبارة عن غرفة مبيتة من الحجر، لكنه مُهْمَل، ومع ذلك يصلّي فيه بعض الزوّار، وقد سور بسور حديدي حديثاً.

وسبب تسميته بالفقير، لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لسلمان رضى الله عنه عندما جمعت له فساتل النخل: «اذهب يا سلمان فقراً (١) لها، فإذا فرغت فأتنى: أكن أنا أضعها بيدي» (٢). وكان سلمان رضى الله عنه مسترقاً ليهودي، وقيل ليهودي يملك هذا المكان الذي

١- ٥ فقراً أى احفر، ينظر: القاموس المحيط، فصل الفاء- باب الراء، ص ٥٨٨.

٢- ٦ سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٦، وينظر: وفاء الوفاء ٢: ٩٩١-٩٩٢.

ص: ٢٧٣

كان أصله بستاناً.

وعندما أسلم سلمان رضى الله عنه بعد تأكده من صحته علامات النبوة للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والتي أخبره بها آخر راهب نصراني كان يعمل معه، وهي: أنه صلى الله عليه وآله وسلم يقبل الهدية، ولا يقبل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة. ولما طلب من اليهودى عتقه من الرق، شرط عليه ذلك اليهودى شرطاً إعجازياً، فأخبر سلمان رضى الله عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فحقق له المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الشرط، جاء في الدر الثمين (١) (ولما قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين إلى مهاجرين وكلفهم بالجهة الغربية من الخندق، وإلى أنصار وكلفهم بالجهة الشرقية منه، اختلفوا فى سلمان رضى الله عنه، فقال الأنصار: سلمان منا، وقال المهاجرون سلمان منا، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: سلمان منا أهل البيت، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى دفع عوض عتقه لليهودى الذى كان يسترقه، وهذا العوض: غرس ثلاثمائة نخلة حتى تثمر، وأربعون أوقية من الذهب، فغرس النبي صلى الله عليه وآله وسلم النخل بيده الشريفة فلم تمض عليه سنة حتى أثمر (٢)، وأعطاه قدر بيضة من الذهب، فوزن منها أربعين أوقية وبقيت كما كانت، وكتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك كتاباً بينه وبين اليهودى).

## ٢٥- مشربة أم إبراهيم

٢٥- مشربة أم إبراهيم

مكان هذه المشربة على امتداد شارع العوالى بعد مستشفى الزهراء الخاص، ثم أتباع الشارع الأيسر المتجه إلى مستشفى المدينة الوطنى، وتبعد عن مستشفى الزهراء بمسافة تقدر بسبعمئة متر، ويمكن للقادم من مسجد الفقير إلى العوالى الوصول إليها باتخاذ الشارع الأيمن.

وموقعها مقابل باب سور ضخيم، مبنى بالطوب الأحمر، كتبت عليه عبارة (انتاج الميمنى للطوب الأحمر)، وباب المشربة أخضر اللون، ويمكن من خلاله

١- ١ ص ٢٠٤، وينظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٦-٢٢٧.

٢- ٢ أحرقت هذا النخل قبل فترة من الزمن، وبقيت بعض آثاره.

ص: ٢٧٤

رؤية الربوة المرتفعة الواقعة في الوسط، والتي هي أصل مكان المشربة. وكانت عبارة عن غرفة مبيّنة من الحجر، وفي أسفلها سلالم توصل إلى بئر فيه ماء، وقد دخلت الغرفة، وصليت فيها عام ١٩٨٧ م.

وقد أزيلت الغرفة قبل ست سنوات تقريباً، وأُبدل الباب الخشبي القديم بباب حديدي، ويصعب الدخول إليها في الوقت الحاضر إلّالأهل تلك المحلّة؛ لدفن بعض الموتى هناك.

وأصل المشربة أحد بساتين مخيريق بن النضير، التي أوصى به وبغيره من أملاكه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد اشتراكه في غزوة أحد، وقتله فيها (١)، جاء في سيرة ابن هشام (٢) (قال ابن إسحاق: وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق: وكان أحد بنى ثعلبة بن الغطيون قال: لما كان يوم أحد، قال: يا معشر اليهود، والله لقد علمتم أنّ نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إنّ اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعدّته، وقال: إنّ أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء؛ ثمّ غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقاتل معه حتّى قُتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فيما بلغنا - مخيريق خير

١-١ سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩، وتاريخ المدينة ١/ ١٧٢.

٢-٢ ٢٩/ ٢٢.

ص: ٢٧٥

يهود).

وكانت السيدة مارية القبطية- رضى الله عنها- تسكن ذلك البستان، وفيه ولدت إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، جاء فى الدرّ الثمين (١) (وقد صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى مشربة أم إبراهيم فى بعض زيارته لجارته وسريته وأمّ ولده (ماريا القبطية) وبُنِي فى مكان صلّاته مسجد فى أيام عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة).

وقيل (٢): إنّ سبب تسميتها بمشربة أم إبراهيم هو تعلق السيدة مارية القبطية بخشبة من خشب تلك المشربة حين ضربها المخاض وقت ولادة إبراهيم.

وكان موقعها يُسمى قديماً بالدشت أو الدشيت، وهو بين نخل تُعرف للأشراف القواسم، وهى نسبة إلى بنى قاسم بن جعفر أخى الحسن العسكرى (٣).

١-١ ص ١٤٩.

٢-٢ عمدة الأخبار: ص ١٧١؛ والدرّ الثمين: ص ١٤٩.

٣-٣ معالم تاريخ المدينة: ص ١٢١.

ص: ٢٧٦

## ٢٦- مسجد الفضيخ

## ٢٦- مسجد الفضيخ

يقع هذا المسجد إلى الجنوب من مشربة أم إبراهيم، في الشارع الموصل بين شارع العوالي وخط الحزام، على الطريق المتجه إلى مستشفى المدينة الوطني، في الشارع الفرعي الأيمن قبل صالته (مرحبا) للأفراح بمسافة تقدر بخمسمائة متر. وكلمة الفضيخ هي عصير العنب، أو شراب يتخذ من البسر، وهو التمر قبل إرطابه. وفَضُّخُه: أى دَفَّقُه (١). وقد ذكر ابن شبة في كتابه تاريخ المدينة (٢) سبب تسميته بمسجد الفضيخ أنه روى عن (جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: حاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنى النضير، فضرب قَبْته قريبا من مسجد الفضيخ، وكان يصلّي في موضع الفضيخ ست ليالٍ، فلَمَّا حرّمت الخمر خرج الخبر إلى أبي أيوب ونفر من الأنصار وهم يشربون فيه فضيخاً، فحلّوا وكاء السقاء، فهرقوه فيه، فبذلك سُمِّيَ مسجد الفضيخ).

١- ٤ القاموس المحيط، باب الخاء- فصل الفاء ص ٣٢٩، والصحاح، باب الراء- فصل الباء ٢ / ٥٨٩.

٢- ٥ / ١ ٦٩. وينظر: عمدة الأخبار: ص ١٧١، والدّر الثمين: ص ١٤٢.

ص: ٢٧٧

وبناء هذا المسجد متين، تعلوه خمس قباب، وله رحبة واسعة تحت السماء، وفيه روحانية وخشوع، ويؤمّه أهل تلك المحلّة وغيرهم للصلاة فيه.

ويرى البعض (١) أنّ حادثه ردّ الشمس لعلّي كرم الله وجهه بعد غروبها؛ ليدرك صلاة العصر، وقعت في هذا المسجد، فلما فرغ من صلاتها انقضت انقضاء الكوكب. وهذا الرأي هو الأكثر صحّة؛ لأنّه المروى عن عدد من العلماء القدامى (٢).

وقيل: إنّ هذا المسجد يُطلق عليه اسم مسجد الشمس؛ لوقوعه إلى جهة شروق الشمس بالنسبة لمسجد قباء (٣). وهذا تعليل غير واقعي؛ لأنّ هناك الكثير من المساجد واقعة في جهة شروق الشمس بالنسبة لمسجد قباء، فلم لم تُسمّ بمسجد الشمس؟ كمسجد الفقير ومسجد بنى قريظة (٤) ومسجد بنى ظفر (٥).

جاء في كتاب عمدة الأخبار (٦) (قال القاضي عياض في الشفا: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يُوحى إليه ورأسه في حجر عليّ رضي الله عنه، فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشمس، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أصليت يا عليّ؟ قال: لا، فقال: اللهم إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها طلعت بعد ما غربت، ووقفت على الجبال والأرض).

وأخرجه الطماوي في مشكل الآثار (٧)، وقال: (عن أحمد بن صالح إنّ كان يقول: لا ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء الذي روى لنا عنه، لأنّه من أجل علامات النبوة).

وذكر الطريحي في كتابه ردّ الشمس (٨) نص قول الفضل بن الحسن الطبرسي الآتي (ما استفاضت فيه الأخبار ونظمت فيه الأشعار رجوع الشمس له مرتين، في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّة وبعد وفاته أخرى. فالأولى قد روتها أسماء

١-١ آداب الحرمين: ص ١٤٧.

٢-٢ ردّ الشمس: ص ٩٤.

٣-٣ الدرّ الثمين: ص ١٤٠؛ وتاريخ معالم المدينة: ص ١٢٥؛ وآثار المدينة: ص ٩٧.

٤-٤ لم أقف له على أثر، وقد صلّى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيام حصاره لبني قريظة.

٥-٥ قد أزيل مكانه، وأصبح الآن وسط شارع الملك عبد العزيز في أوّل صعوده مع الحرة الشرقية، وقيل: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى مسجد بنى ظفر، ومعه بعض الصحابة، وأمر قارئاً أن يقرأ عليه القرآن فقرأ حتّى أتى على قوله تعالى في سورة النساء ١٤/٤ فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، فبكى صلى الله عليه وآله وسلم. ينظر: الدرّ الثمين: ص ١٥٢.

٦-٦ ص ١٧١.

٧-٧ ١١/٢٧، وينظر: البداية والنهاية ١٦/٨٠.

٨-٨ ص ٣٧.

ص: ٢٧٨

بنت عميس وأُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدرى فى جماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم فى منزله وعلّى عليه السلام بين يديه إذ جاء جبرئيل يناجيه عن الله عزّ وجلّ فلما تغشاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام فلم يرفع رأسه حتّى غابت الشمس وصلى العصر جالساً بالإيماء فلما أفاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: أدعُ الله ليردّ عليك الشمس فإنّ الله يُجيبك لطاعتك الله ورسوله، فسأل الله عزّ وجلّ أمير المؤمنين فى ردّ الشمس فردّت عليه حتّى صارت فى موضعها من السماء وقت العصر فصلى أمير المؤمنين الصلاة فى وقتها ثمّ غربت وقالت بنت عميس: أمّا والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصير المنشار فى الخشب.

وأما الثانية: أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم وصلى بنفسه فى طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس عن عبورهم حتّى غربت الشمس وفات كثيراً منهم الصلاة، وفات جمهورهم فضل الجماعة، فتكلّموا فى ذلك فلما سمع كلامهم فيه سأل الله عزّ وجلّ ردّ الشمس عليه فأجابته بردها عليه فكانت فى الأفق على الحال التى تكون وقت العصر فلما سلّم بالقول غابت فسمع لها وجيب (١) شديد).

ومن الخير للمسلم أن يدعو فى هذا المسجد قائلاً:

(اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، ولا تدع لى فى هذا المكان المكرّم والمسجد المعظّم ذنباً إلاّ غفرتّه، ولا همّاً إلاّ فرّجتّه، ولا مرضاً إلاّ شفيتّه، ولا عيباً إلاّ سترتّه، ولا رزقاً إلاّ بسطتّه، ولا خوفاً إلاّ آمنتّه، ولا شملاً إلاّ جمعتّه، ولا غائباً إلاّ حفظتّه وأدنيته، ولا ديناً إلاّ أدّيتّه، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولى فيها صلاح إلاّ قضيتّها يا أرحم الراحمين) (٢).

١-١ وجيب: خَفَق، ينظر: القاموس المحيط، باب الرء فصل الواو ص ١٨٠.

٢-٢ آداب الحرمين ص ١٤٧.



ص: ٢٧٩

الهوامش:





ص: ٢٨٢

- ٥٩- من أحاديث الإمام الخميني- رضوان الله تعالى عليه- في الحج ٦٠٥
- ٦٠- الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مد ظله العالی - ٦٠٧
- ٦١- فلسفة الحج وأسرار مناسكه ٦١١
- ٦٢- مناسك الحج (منسك مختصر في أعمال الحج والعمرة) ٦٤٩
- ٦٣- بيعة العقبة ٦٦٩
- ٦٤- مقام إبراهيم ٦٧٩
- ٦٥- الحرم المكي في مرآة الفقه ٧١٧
- ٦٦- تعمير الكعبة ومراسمه ٧٤٢
- ٦٧- الحج البدلي ٧٧٣
- ٦٨- الحج في الأدب العربي ٧٩٢
- ٦٩- القرامطة وفتنتهم في مكة ٨٠١
- ٧٠- مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٤) ٨٢٤
- ٧١- واقعة الحرة ٨٤٤
- ٧٢- المساجد والأماكن الأثرية المجهولة ٨٦٨

ص: ٢٨٣

الحج في أحاديث الإمام الخميني - رضوان الله تعالى عليه - ٦٠٩

الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مد ظله العالی - ٦١١

فلسفة الحج وأسرار مناسكه ٦١٥

مناسك الحج (منسك مختصر في أعمال الحج والعمرة) ٦٥٣

بيعة العقبة ٦٧٣

مقام إبراهيم ٦٨٣

الحرم المكي في مرآة الفقه ٧٢١

تعمير الكعبة ومراسمه ٧٤٦

الحج البدلي ٧٧٧

الحج في الأدب العربي ٧٩٦

القرامطة وفتنتهم في مكة ٨٠٥

مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٤) ٨٢٨

واقعة الحرّة ٨٤٧

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة (٥) ٨٧١



ص: ٢٨٥

الصفحة الأولى من المخطوط بخط المصنف رحمه الله  
الصفحة الأخيرة من المخطوط بخط المصنف رحمه الله

ص: ٢٨٦

الحجّ البذلي ٧٧٧

الحجّ في الأدب العربي ٧٩٦

الحجّ في أحاديث الإمام الخامنئي - مد ظلّه العالی - ٦١١

الحجّ في أحاديث الإمام الخميني - رضوان الله تعالى عليه - ٦٠٩

الحرم المكي في مرآة الفقه ٧٢١

القرامطة وفتنتهم في مكّة ٨٠٥

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة (٥) ٨٧١

بيعة العقبة ٦٧٣

تعمير الكعبة ومراسمه ٧٤٦

فلسفة الحجّ وأسرار مناسكه ٦١٥

مختصر معجم معالم مكّة التاريخية (٤) ٨٢٨

مقام إبراهيم ٦٨٣

مناسك الحجّ (منسك مختصر في أعمال الحجّ والعمرة) ٦٥٣

واقعة الحرّة ٨٤٧



## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعيدته جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافته و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمساائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافته على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلامية، إناله المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" ومفترق "وفائي" / بناية "القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

